الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والفنون

العربية بين أمسها وحاضرها

الدكتور ابراهيم السامرائي

منشورات وزارة الثقافة والفنون ـ الجمهورية العراقية
سلسلة دراسات ـــــــــــــــــــــــ ١٩٧٨
(١٥٩)

الدكتور ابراهيم السامرائي

العربية بين أمسها وحاضرها

المقدمة

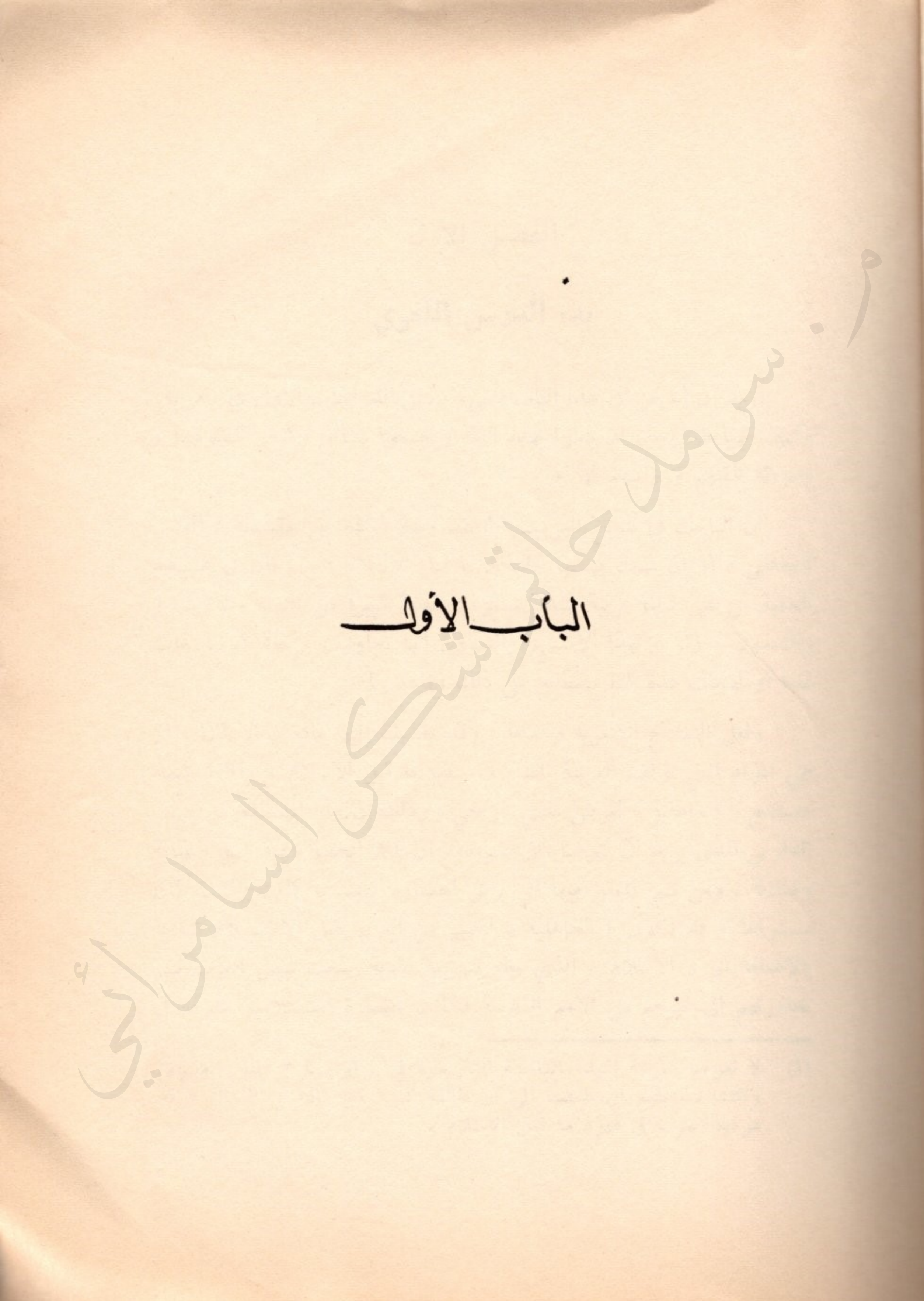
اذا كان لنا ان نضمن سلامة العربية وان تكون اداة صالحة نافعة في عصرنا هذا وجب علينا أن ندرسها درساً تاريخياً نستجلي اصولها وقواعدها. ولابد ان نعرض لتاريخ هذه اللغة العريقة فنتبين مراحلها واحوالها وكيف تهيأ لها ان تواجه العصور والحضارات . وهذا يلزمنا ان نفهم تطور هذه اللغة وكيف اتسعت تلك العربية السامية الصحراوية لحياة اخرى فشملت عوالم وتفسحت في أرضين شاسعة وتقبلتها أمم شتى فكانت لغة الحضارة العريقة ولغة العلم فاتخذها العربي القديم عنوان حضارة يتقدم بها الى شعوب تواقة اليها محتاجة أشد الاحتياج . واتخذها غير العربي مسلماً كان ام غير مسلم لغة العلم ولغة للتطلع الى المستقبل فكتب بها وصنف وباشرها سلوكاً وحياة .

وتوالت العصور ولم تنل منها عهود الانحطاط كثيراً وظلت في صعود وركود طوال قرون عدة . ثم جاءت عصورنا الحديثة فاذا هي تواجه أزمة بل أزمات وليس ذلك راجعاً الى انها لا تقوى على البقاء والمواجهة ولكننا نحن أهليها لا نملك من أمورها ما يعيننا على النهوض بها .

وها أنا أتوخى في عملي هذا ان أدرس هذا التاريخ وان أصل فيه الى مرحلتنا هذه فاتكلم في موضوع الحفاظ عليها وسلامتها وكيف نقف بها ازاء هذا التحدي الحضاري . آمل ان أكون قد شاركت في اقامة هذا الهيكل الجديد الذي ما زال يحتفظ بكثير من أبهته وروائه .

ابراهيم السامرائي

١٩٧٨/٣/٢



الباب الأول



الفصل الاول

بدء الدرس اللغوي

أريد أن أعرض في هذا الباب لشيء يتصل بالدراسات الأولى في العربية، وكيف تهيأ للدارسين ان يلموا بهذه اللغة ويجمعوا شتاتها وكيف تلقوها ، وطريقة تلقيهم وروايتهم لها .

ان الباحث في تاريخ العربية ليقف وقفة طويلة على حقبة « العصر الجاهلي » أو ان شئت فسمها حقبة « ما قبل الاسلام » . وكان في هذه الحقبة من غير شك عربية قد استوفت قدراً كبيراً من النماء والاتساع والشمول . وأريد بهذا الاتساع والشمول انها تجاوزت مرحلة كونها لغات عدة أو لهجات عدة كما نصطلح على ذلك في عصرنا .

ولعل النماذج الشعرية وحدها ، وقد نضيف إليها مادة « الامثال »[1] هي المواد التي تؤلف العربية الفنية في حقبة ما قبل الاسلام . وأنا استبعد مصطلح « الجاهلية » لغرض علمي تاريخي ، وذلك ان هذا المصطلح قد يشعر الدارس الذي يريد ان يتوصل الى علم نافع ان تلك الحقبة حقبة جهل وعماية وضلالة ، ومن ثمّ فليس فيها أي بريق لحضارة كيفما كانت وكيف كان مستواها . قد تكون « الجاهلية » لكثير من العرب قبل الاسلام ضلالة بالاضافة الى « الاسلام » الذي جاء بشريعة هادية جمعت شمل العرب ثم تجاوزتهم الى غيرهم من الامم القديمة فكانت حضارة اسلامية مشرقة في

(١) لا نعرف معرفة أكيدة الناحية التاريخية في « أولية » المثل العربي ولكننا نستطيع ان نذهب الى ان طائفة كبيرة من مادة « الامثال » قد عرفها العرب في عهود ما قبل الاسلام .

الوانها المختلفة . غير أن هذا لا يعني ان الدارس يغمض الطرف عن الحقائق التاريخية في الدراسة الانسانية للمجتمع العربي القديم .

أقول : ان الدارس ليهتدي بيسر الى ان في « الجاهلية » قبل الاسلام معالم انسانية تشير الى مواد حضارية كان لها مكان في مجتمعهم القديم ، ومن ثمّ فهي تشغل مكاناً في الدراسة العلمية الجادة . تشير مصادر ادبنا القديم الى ان للجاهليين عناية بالشعر بل قل ان الشاعر لينشَّأ تنشئة خاصة ، وهذه التنشئة تقتضيه ان يتبع اسلوباً خاصاً ومنهجاً للوصول الى الهدف المنشود .

ان الناشىء القديم قد أخذ نفسه بشيء من الدرس والتلقي ، وهذا الدرس أو هذا التلقي يظهر حين يلزم الناشىء الذي يتشوف الى الشعر شاعراً معروفاً بل قل شاعر قبيلته يستمع إليه وينشد شعره وقد يسأله ما أنبهم عليه من معناه[٢] حتى يكون له راوية . وكأن هذا الراوية يتخذ من الشاعر الذي لزمه المثال الذي يحتذيه فهو يقلده لما استقر في عقله وذوقه انه المثال المفضل ، وبذلك يستقيم البناء فتحصل الموهبة فيدرك ما يريد فيكون شاعراً معدوداً تتخذه القبيلة لساناً لها يدافع عنها ويفتخر بمآثرها وأيامها .

ولقد جاء في كتب النقد القديم ان الشاعر زهير بن ابى سلمى راوية أوس بن حجر ، والحطيئة راوية زهير وأبو ذؤيب راوية ساعدة بن جويرية[٣] . وهذا يعني ان الذي يتشوف الى فضيلة الشعر ويحس أن في نفسه ما يعين على ذلك يأخذ نفسه بشيء من الدربة والاهتمام او قل ان شئت بشيء من الدرس . لقد أثر ان الحطيئة راوية لزهير وابنه كعب ، وهذا يعني أنه لزم آل زهير حتى تهيأت له القدرة فكان من الشعراء الكبار ، ولكنه مع

---

(٢) كان راوية الأعشى يسأله ماذا أردت بقولك :

وسبيئةٍ مما تعتّق بابلٌ   كدم الذبيح سلبتها جريالها

قال : شربتها حمراء وبلتها بيضاء المعرب للجواليقي ط ليبزج ١٨٦٧ ص ٤٦ .

(٣) الوساطة ، دار احياء الكتب العربية ١٩٤٥ ص ١٥ .

ذلك يطلب من كعب بن زهير ان يمكن له عند العرب وآن يشيد به فيقول له : قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي لكم ، وقد ذهب الفحول غيرى وغيرك فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعنى موضعاً بعدك فان الناس لاشعاركم أروى واليها أسرع ، فقال كعب :

فمن للقوافي شانها من يحوكها	اذا ما ثَوَى كعب وفوَّز جَرْوَلُ
يقول فلا يُعيي بشيءٍ بقوله	ومن قائليها من يسيء ويعمَلُ
كفيتك لا تلقى من الناس واحداً	تَنَخَّل منها مثل ما يتنخَّلُ
يثقّفها حتى تلينَ متونُها	فيقصر عنها كلُّ ما يُتَمَثَّلُ[٤]

هذه حال أهل الجاهلية ونظرتهم الى الشعر وعنايتهم به رواية وسماعاً وتلقيناً . وليست الاسواق الجاهلية الا نماذج لندوات يتبارى فيها الشعراء فيسمع الناس ويعجبون بهذا وذاك ويرون رأياً في هذا وذاك الى جانب ما يشغلون انفسهم بأمور أخرى تتصل بالبيع والشراء وشؤون الحياة العامة .

وكأن العناية بالشعر والحرص على روايته وحفظه ودرسه كان بداية العناية باللغة ودرسها وجمعها والاهتداء الى نوادرها وأوابدها ، ويؤيد هذا أنهم أدركوا ان الشعر «ديوان العرب» . وجاء الاسلام فشغل الناس بكتاب الله وتفهم معانيه والوقوف على الفاظه وما ترمي اليه فكان فهمهم للمجاز القرآني في ضوء دراسة لغة القرآن وما اشتملت عليه من غريب ومشكل . لقد وقف العرب من الكتاب الكريم وقفة المتطلع الى شيء لا عهد له به يشتمل على أسرار هي موضع بلاغته التي تحدّى بها جمهرة فُصَحائهم فكان معجزاً لهم ، ذلك انه من عند الله فما كان لهم ان يأتوا بمثله .

على ان هذا الموقف من كتاب الله لم يكن ليصرفهم عن النظر في الشعر فقد أثر عن الخليفة عمر بن الخطاب انه قال : « كان الشعر علم قوم لم يكن

(٤) طبقات فحول الشعراء ص ١٠٤

لهم علم أصح منه »[٥] . وقال ابن سلام : « فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الاسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالامصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا الى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب وألفوا ذلك وقد هلكت من العرب بالموت والقتل فحفظوا اقل ذلك وذهب عليهم منه الكثير »[٦] .

يشير ابن سلام الى ان الرواية الأولى كانت مشافهة فلم يستعينوا بالكتابة والتدوين ، غير أنه يرجع فيقول : « وقد تداوله قوم من كتاب الى كتاب ولم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد اذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على ابطال شيء منه ان يقبل من صحيفة ، ولا يروى عن صحفي »[٧] . وهو يشير الى ان أهل العلم اعتمدوا المشافهة وهي الرواية الصحيحة وهو يؤثرها على طريقة اولئك الذين اعتمدوا الكتابة فدوّنوا واخذوا من الكتب ، ومن هنا كانت الصحف اقل اعتماداً لأنها أبعد ما تكون عن العلم الدقيق ذلك ان الصحفي أي المشتغل بهذا الضرب من النقل لايعمل فكره كثيراً ولا يأبه لما يعرض من السهو والخطأ مما قد تأتي به الكتابة والخط . وليس غريباً ان تنشأ كلمة « التصحيف » وتأخذ هذا المعنى المصطلح عليه فتكون من جملة ما يحسب لها الحساب أهل الأخبار والأدب وعلم الرجال .

وكان أهل العلم يؤثرون الرواية والمشافهة على الكتابة والتدوين ، ولم يكن ذلك لأنهم كانوا يجهلون الكتابة ، ذلك ان معرفة الجاهليين بالخط والكتابة أمر أكيد موثوق به . ان الاشارات الى الخط والكتابة وأدوات

---

(٥) طبقات فحول الشعراء ص ٢٤

(٦) المصدر السابق ص ٢٥ .

(٧) المصدر السابق ص ٤

الكاتب وما يستعين به كثيرة في الأدب القديم ، وحسبك ان تعرف انهـا وردت في تشبيهاتهم فقال عبيد بن الابرص في مطلع قصيدة له :

لمن الديـار اقفــرت بالجنــاب   غير نؤيٍ ودمنةٍ كالكتاب[7أ]

أو كقول ابي ذؤيب :

عرفت الديــار كرقــم الدوا   ة يزبره الكــاتب الحميري[8]

ويروى : يزبرها .

والاشارات الى الكتابة والخط كثيرة غير أنهم لم يميلوا الى ان يدونوا أدبهم ولغتهم على النحو الذي نجده عند غيرهم من الأمم القديمة .

ومن أجل ذلك ظلت الرواية الشفهية سائدة طوال القرن الاول الهجري، ولم يكن الشعر في جملته مناقضاً للدعوة الاسلامية ذلك ان قدراً كبيراً منه يرمي الى غايات واهداف جاء الاسلام مؤكــداً لها وحسبنا ان تتذكر ان الرسول الكريم قال : « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

ولقد كان المسلمون الاولون ذوي بصر بالشعر ومعانيه فمن ذلك قول عمر بن الخطاب لابن عباس : هل تروى لشاعر الشعـراء ؟ قال ابن عباس : ومن هو ؟ قال الذي يقول :

ولو أنّ حمداً يخلد الناس أخلدوا   ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت : ذاك زهير ، قال : فذاك شاعر الشعراء : قلت : وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاظل في الكلام ، وكان يتجنب وحشي الشعر ولم يمدح احداً الا بما فيه . ثم قال : أنشدني له ، قال ابن عباس : فأنشدته حتى برق الفجر[9] .

(7أ) ديوان عبيد بن الابرص ص ٢١

(8) شرح ديوان الهذليين ٦٤/١

(9) الاغـاني (ط. دار الكتب) ٢٩٠/١٠ ـ ٢٩١ ، الشعـر والشعراء ٩٣/١ .

وكان علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ يحب سماع الشعر لانه بصير به ناقد له ، فقد ذكر ان اعرابياً شكا اليه حاجته فأذن علي ـ عليه السلام ـ لقنبر ان يدفع إليه حلة من حلله فلما أنشده قال علي : يا قنبر أعطه خمسين ديناراً وتلفت الى الاعرابي قائلاً : أما الحلة فلمسألتك وأما الدنانير فلأدبك[١٠] .

ولقد أثر عن عائشة انها قالت : « رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم »[١١] . وجاء في الأثر ان اسماء بنت ابي بكر ممن عني بالشعر فقد روى عنها عروة قصيدتين هما لزيد بن عمرو بن نوفل وورقة بن نوفل[١٢] .

عرفنا مدى اهتمام الجاهليين والمسلمين الاولين بالشعر ارضاءً لذوق أدبي رفيع . غير أن هذا الاهتمام لابد ان يرمى الى هدف آخر ذلك ان الشاعر لسان قبيلته فهو المتحدث عن أيامها ومآثرها ، المفتخر بأمجادها ورجالها . تلك الحال كانت في الجاهلية حتى اذا جاء الاسلام كان الشاعر ممن يدعو الى الاسلام مدافعاً عنه مؤثراً قيمه ومثله العليا مجاهداً في سبيله .

ولم تكن رواية الشعر وتلقّيه بمعزل عن رواية اللغة ومعانيها واستعمالاتها ذلك ان جمهرة المعنيين برواية الشعر في البصرة والكوفة وسائر الامصار من علماء اللغة كانوا يرمون من جمعهم للشعر القديم وروايته وصنعة دواوينه أن يقفوا على العربية ومجازها وغريبها واوابدها .

---

(١٠) العقد الفريد (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦) ٢٧٤/٥ .

(١١) المصدر السابق ٢٧٥/٥ .

(١٢) الاغاني ١٢٤/٣ ـ ١٢٥ (دار مكتبة الحياة ، بيروت) .

الفصل الثاني

رواية اللغة (الرواية في البصرة)

لابد ان نعرض لرواية اللغة في المصرين الشهيرين البصرة والكوفة وماذا تم من هذا الأمر . من غير شك ان علماء البصرة كانوا اسبق في الدرس اللغوي من علماء الكوفة وان غلب عليهم نحو العربية واعرابها . غير ان الذي يجمع بينهما ان منهجهما في رواية اللغة يكاد يكون واحداً ، فكان كل من الفريقين يأخذ عن الأعراب يقصدهم في البادية كما يقصدهم في المربد وغيره من الندوات . وسأبدأ كلامي على اللغة وتلقيها واخذها عند البصريين .

روي عن الأصمعي انه قال : « جئت الى ابي عمرو بن العلاء فقال : من اين جئت يا أصمعي ؟ قلت من المربد . قال : هات ما معك ، فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي ، ومرت به ستة أحرف لم يعرفها فأخذ يعدو في الدرجة قائلا : شمّرت في الغريب يا أصمعي »[1] وكان هؤلاء الذين يقصدون الأعراب يسمعون عنهم فيدونون يرجعون ببضاعتهم فيقبل عليهم الدارسون ، وكان طلاب اللغة يستمعون اليهم ، ويكتبون عنهم[2] .

ومن ذلك ما روي من أن أبا زيد الانصاري يحكي لابي حاتم السجستاني فقال : قلت لأحدهم (احد الاعراب) : ما المتكأكيء ؟ قال : المتأزّف ، قال : وما المتأزّف ؟ قال المحبنطي ، قال : وما المحبنطي ؟ قال : أنت احمق ومضى . وكأن أبا زيد يبتغي المزيد من الأخذ عن الأعراب . لقد استقر لهم ان الاعراب مصدر اللغة فهم يتكثرون من الأخذ عنهم .

---

(١) معجم البلدان ٢/٢٠٢ .

(٢) أخبار النحويين البصريين (ط الحلبي) ص ٥٦ .

ذكروا ان الاصمعي كان يقيد عن الاعراب الذين يقصدهم كل شيء حين يرجع عنهم ويخلو الى نفسه ، فقد سأله احدهم من أنت ؟ فقال : عبدالملك ابن قريب ، قال : ذو يتتبع الأعراب فيكتب الفاظهم[٣] .

وقد أكثر علماء اللغة من الاتصال بالأعراب والاخذ عنهم حتى كأنهم صاروا يؤمنون أنهم المصدر الاول والأخير للعربية . وكأن هؤلاء الأعراب صاروا يشعرون أنهم اساتذة لهؤلاء الاعلام فلزموا الحواضر وشعروا أن ما يملونه عليهم هو نهاية العلم ، ولعل ذلك صرفهم عن الالتزام بالصدق والأصالة بعض الشيء . وراحوا يتشبثون بأعرابيتهم ويضفون على أنفسهم من المظهر والصنعة ما أبعدهم عن فطرتهم .

هذا ابو مهدية من الأعراب الحجازيين كان يعلق على ملابسه صوفاً وقذراً فاذا سئل عنها قال : انجاس حتى يتنجس منى الموت فلا يقدر عليّ[٤] . كأنه اراد بصنيعه هذا ان يبقى على هيأة أجلاف الاعراب ليشعر اهل الحاضرة أنه ما زال منقطعاً الى بداوته ، ومن ثم فلابد أن يؤخذ عنه العلم واللغة .

وابو مهدية هذا ممن أخذ عنه ابو عبيدة[٥] والأصمعي[٦] . قلت لقد أبى هذا الأعرابي الا أن يتشبث بأعرابيته فهو يصطنعها احياناً كي يقال إنّه ينطق بلحن أهل الحجاز . وما أرى الابيات التي نسبت إليه الا شيئاً من قصده الى ذلك الذي يصطنعه فقال :

يقولون لى شنبذْ ولست مشنبذاً	طوال الليالي ما أقام ثبير
ولا قائلاً زوذا ليعجل صاحبي	« وبِستان » في قولي علي كثير
ولا تاركاً لحني لأُحسِنَ لحنهم	ولو دار صرف الدهر حيث يدور[٧]

---

(٣) طبقات النحويين للزبيدي ص ١٨٢ .
(٤) طبقات النحويين ص ١٧٥ .
(٥) المصدر السابق .
(٦) البيان والتبيين ٢٦٢/٣ .
(٧) طبقات النحويين ص ٣٩ .

ولكن هذا لم يمنع علماء اللغة من الاعتماد على أقواله والأخذ عنه يقول الاصمعي :

« جاء عيسى بن عمر الثقفي ونحن عند ابي عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمرو : ما شيء بلغني عنك تجيزه ؟ قال : وما هو ؟ قال : بلغني عنك تجيز ليس الطيب الا المسك « بالرفع » فقال ابو عمرو : نمت وأدلج الناس • ليس في الأرض حجازي الا وهو ينصب ، وليس في الأرض تميمي الا وهو يرفع • ثم قال ابو عمرو : قم يا يحيى - يعني اليزيدي وأنت يا خلف - يعني خلفاً الأحمر - فاذهبا الى ابي المهدي (مهدية) فانه لا يرفع ، واذهبا الى المنتجع ولقّناه النصب فانه لا ينصب • قال : فذهبا فأتيا أبا المهدي واذا هو يصلي وكان به عارض ، واذا هو يقول : اخسأنانّ عني ، ثم قضى صلاته والتفت الينا وقال : ما خطبكما ؟ قلنا جئناك نسألك عن شيء • قال : هاتيا فقلنا كيف تقول : ليس الطيب الا المسكُ ؟ فقال : أتأمرانّي بالكذب على كبرة سني ، فاين الجاديّ ؟ واين كذا واين بنّة الابل الصادرة ؟ فقال له خلف الأحمر : ليس الشراب الا العسل ، فقال : ما يصنع سودان هجر ما لهم شراب غير هذا التمر ، قال اليزيدي : ليس ملاك الأمر الاطاعة الله والعمل بها فقال : ليس هذا لحني ولا لحن قومي ، فكتبنا ما سمعنا منه ، ثم أتينا المنتجع فأتينا رجلاً يعقل ، فقال له خلف : ليس الطيب الا المسك « بالنصب » فلقنّاه النصب وجهدنا فيه فلم ينصب وأبى الا الرفع »[8] •

والمنتجع هو المنتجع بن نبهان شأنه شأن ابي المهدية فكلاهما من الاعراب الذين يتردد ذكرهم في ترجمة علماء اللغة في البصرة كأبي عبيدة وابي زيد والأصمعي وغيرهم •

وكأن الشك في علم هؤلاء الأعراب قد بدأ يتسرب الى أهل الحواضر ذلك ان أخبار هؤلاء توحي أنهم شعروا بمكانتهم فكانوا يتكثرون ويتزيدون فهذه أم الهيثم الاعرابية تخبر عن حالها ، وقد اصابتها حمى ، بلغة لا يعرفها الا

---

(٨) الأمالي ٣/٣٩ •

المنقطعون في البوادي ، ثم اننا لا نكاد نعرف تلك الالفاظ الا في خبرها الذي جاء في قول عمر بن خالد العثماني فقد ذكر : قدمت علينا عجوز من بني منقر تسمى أم الهيثم فغابت عنا ، فسأل عنها أبو عبيدة فقالوا : انها عليلة ، فقال : هل لكم أن نعودها فجئنا فأستأذنا فقالت : لجو فسلّمنا عليها فاذا هي عليها اهدام وبُجُد ، وقد طرحتها عليها ، فقلنا : يا أم الهيثم كيف تجدينك ؟ قالت : كنتُ وحمى بالدكة (الودك) فشـــهدت مأدبة فاكلت جُبجبة من صفيف هلعة فاعترتني زلخة . فقلنا يا أمّ الهيثم : أيُ شيء تقولين ؟ فقالت أو للناس كلامان ؟ والله ما كلّمتكم الا بالعربي الفصيح[9] .

ومن غير شك ان الباحث يشعر ان احد النحارير ممن مرنوا على تلفيق الأخبار ونسبتها واختراع « الاوابد » اللغوية جاء بأم الهيثم تلك الاعرابية من زوايا التاريخ الوهمي وغير الوهمي فصـــنع على لسانها هـــذه المادة المضطربة .

وقالوا : سأل ابو حاتم السجستاني أم الهيثم هذه عن نوع من الحب يقال له بالفارسية « اسفيوش » ، فقالت : أرنى منه حبّات فأراها فأفكرت ساعة ثم قالت : هذه البخدُق ، وقال ابن خالويه : البخدُق نبت ولم يُعرف الاّ من أم الهيثم[10] .

أقول : وهذا الخبر كنظيره الخبر السابق مما يوحي بشيء من الافتعال والصنعة . ثم كأن قول ابن خالويه شيء يؤكد ما نذهب إليه .

ولكن هذا لا يعني ان الفساد والكذب قد شمل الاعراب كلهم ممن اخذ عنهم علماء اللغة وذلك لان بين العلماء طائفة اوتي لها من العلم ما تستطيع ان تميز بين الزيف الكاذب والعلم الصحيح . ومن أجل ذلك ظل الاعراب مصدراً امد أهل اللغة بعلم غزير .

---

(٩) الأمالي ٦٩/٣ والمزهر ٥٤٠/٢ .

(١٠) اللسان (بخق ، بخدق) .

ولولا الاشارات التي اثبتها علماء اللغة مما يتصل بالأعراب لظل اولئك الاعراب مجهولين لا نعرف عنهم شيئاً . ونحن نقرأ أسماء ابي الدقيش ورداد الكلابي وابا منيع الكلابي وأبا الخطاب عمرو بن عامر البهدلي وابا سوار الغنوي وابا ثوابة الأسدي وابا طفيلة ، وناهض بن ثومة الكلابي والعَدَبس الكناني وابا مسهر وغيرهم كثير[11] .

وهؤلاء ممن اخذ عنهم علماء اللغة ، كأبي زيد الانصاري وأبي عبيدة والأصمعي والمازني وغيرهم . ولولا هؤلاء العلماء لظل اولئك الاعراب هملاً مع من طوتهم الايام . ولقد أحسَّ اولئك بمقامهم وأنهم اهل اللغة واصحابها فصاروا يقصدون مجالس اللغة وحلقات الدرس ، فكان لهم مع الأصمعي وغيره من علماء العربية وقفات ومشاهد . كأنهم أرادوا ان يشعروا اولئك الاعلام أنهم أطول باعاً واغزر علماً واحفظ للغة العرب واخبارها واشعارها . ومن ذلك ما قال ابو عثمان الاشنانداني : كنا يوماً في حلقة الأصمعي اذ أقبل أعرابيٌّ في الخُزوز فقال : اين عميدكم ؟ فأشرنا الى الاصمعي فقال : ما معنى قول الشاعر :

لا مالَ الا العطاف تؤزره أم الثلاثين وابنةُ الجَبَلِ
لا يرتقي النزفى ذلاذله ولا يعدّي نَعليه عن بلل

قال : فضحك الأصمعي واكمل القصيدة فأدبر الأعرابي وهو يقول : تالله ما رأيت كاليوم عضلةً[12] .

ومن اخبار الأصمعي ان اعرابياً جاء مجلسه وهو يريد ان يظهر عليه بعلمه فيغلبه فقال : أيكم الأصمعي ؟ قال : أنا ذاك : قال : انت الذي يزعم هؤلاء النفر انك اثقبهم معرفة بالشعر والعربية وحكايات الأعراب ؟ قال الاصمعي : فيهم من هو أعلم مني ومن هو دوني ، قال : افلا تنشدونني من

---

(11) الفهرست لابن النديم ص ٦٧ – ٧١ (ط. الرحمانية) .
(12) الامالي ٢/٢٦٥

شعر أهل الحضر شيئاً حتى اقيسه على شعراء اصحابنا ؟ فأنشده الاصمعي . فتحداه الأعراب وتبادلا الانشاد[١٣] .

ومثل هذا كثير في اخبار اللغويين المتقــدمين . وكان هؤلاء يعرفون منزلتهم فيأخذون عنهم ويميزون بين اللغة العالية وغيرها مما لا يطمئنون اليه. جاء في « طبقات » الزبيدي[١٤] : ان شبيل بن عزرة الضبعي كان يألف حلقة ابي عمرو بن العلاء ، وكان ابو عمرو يجلّه ويحترمه ويلقي له لبد بغلتــه ليجلس عليه .

قلت : لقد أحسّ اولئك الاعراب أنهم أهــل علم واهــل عربية ، وان هؤلاء الدارسين ليعوّلون عليهم فحفز ذلك في أنفسهم شيئاً فدفع طائفة منهم ان يستقر في الحواضر ويتخذ من التعليم مهنة له . ومن هؤلاء ابو البيداء الذي كان يعلم الصبيان بأجر[١٥] . واصــــطنع ابو خيرة – من الاعراب المعروفين – الوراقة[١٦] . ومثله فعل ابو مالك عمرو بن كركرة[١٧] .

ولقد اندفع نفر منهم الى التصنيف ومن ذلك ما ذكره ابن النديم من ان لأبى خيرة كتاب الحشــرات[١٨] . وصنف الحرمازي الاعرابي كتاباً في خلق الانسان[١٩] . وأثبت صاحب الفهرست طائفة من المصنفــات اللغوية التي صنعها نفر من الاعراب الذين اشتهروا بالمعرفة اللغوية .

وانتقال الأعراب من صفتهم حملة للغة حفظاً ورواية ودراية ، الى أهل حضر اتخذوا الحواضر مستقراً لهم ، أفقدهم شــيئاً من فطرتهم وسليقتهم وعلمهم .

---

(١٣) زهر الآداب ١٠١/٢ تراجع الطبعة .

(١٤) طبقات النحويين ص ٤٩

(١٥) البيان والتبيين ٢٥٢/١ .

(١٦) الخصائص ٣٠٥/٣ .

(١٧) الفهرست ٦٦ .

(١٨) الفهرست ٧٠

(١٩) الفهرست ٧٢ .

ومن ثَمّ فلم يحتفظوا لانفسهم بالمكانة الأولى وصار علماء اللغـة لا يأخذون عنهم الا بحذر • وربما دفع هذا علماء اللغة الى ان يمتحنوا هؤلاء الاعراب في علمهم ليهتدوا ان كانوا قد احتفظوا بشيء من سليقتهم • ومن ذلك ما أثر أن ابا عمرو بن العلاء سأل ابا خيرة الاعرابي عن قول العرب : « استأصل الله عرقاتهم » فنصب ابو خيرة التاء من « عرقاتهم » فقال له أبو عمرو : هيهات يا أبا خيرة ، لان جلدك ، ذلك ان أبا عمرو استضعف النصب لانه كان سمعها منه بالجر»[٢٠] •

ان قول ابى عمرو لابى خيرة الاعرابي « لان جلدك » لدليل على أنه فقد سليقته البدوية حين تحول الى الحضر فألف الحياة الناعمة ففقـد بذلك ما فقـد •

وبسبب من ذلك بدا لطلاب العربيـة ان يتوجهوا الى الاعراب في بواديهم ليأخذوا عنهم العربية لغة وشعراً وخبراً • وفي اخبار ابي عمرو بن العلاء أنه رحل الى البادية فسمع من الأعراب واخذ عنهم كما تشير كتب « الطبقات » •

وحصل لابي عمرو في تردده على البادية معرفة بفصاحة العربية ومواطن الفصاحة • وكأنه دلّ بذلك على معرفة تاريخية بالعربيـة وتوزيعها الجغرافي فقد قال : « أفصح الشعراء لساناً واعذبهم أهل السروات وهي ثلاث : الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن فأولها هذيل وهي التي تلي السهل من تهامة ثم بجيلة ، السراة الوسطى وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ، ثم سـراة الأزد ، أزد شـنوءة وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصـر بن الأزد »[٢١] •

وكان للأصمعي رحلة ايضاً فقد تنقل في البوادي واستمع الى طائفة من العرب في ديارهم • لقد سمع من الأعراب من قبائل مختلفة فبينما تراه يسمع

---

(٢٠) نزهة الالباء ص ١٦

(٢١) العمدة ١/٥٥ .

من غلام من بني أسد بحمى ضريّة[٢٢] • وقد تهيأ له من سماعه هذا مادة كثيرة غزيرة تتصل باللغة واصولها وما يتعلق بها مما يتصل بالحياة العربية القديمة في باديتها وحواضرها •

وتهيأ لعلماء اللغة من الرحلة الى البادية والسماع عن الأعراب في مواطنهم وديارهم معرفة بالجغرافية اللغوية يصح ان يصنع منها شيء يشبه الأطلس اللغوي في ايام عصرنا هذا على النحو الذي يصنعه اللغويون المحدثون • فهذا ابو نصر الفارابي في كتابه « الالفاظ والحروف » يذكر فيما نقله السيوطي عنه في « المزهر » :

والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدي وعنهم اخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد ، فان هؤلاء هم الذين عنهم اكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتّكل في الغريب ، وفي الاعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين • ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فانه لم يؤخذ من حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم فانه لم يؤخذ لا من لَخْم ولا من جُذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام واكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية[٢٣] ، ولا من تغلب واليمن فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عُمان لانّهم بالبحرين مخالطين (كذا) للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن

---

(٢٢) الامالي ١/٦٦ – ٦٧ .

(٢٣) هذا من اوهامهم وكأنه اراد بالعبرانية الآرامية السريانية وذلك لان العبرانية كانت قد اندثرت منذ احقاب بعيدة فلم تكن في هذه الأصقاع عبرانية منذ أواخر القرن الثالث قبل الميلاد . والمعروف ان الارامية حلت محلها .

المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت ألسنتهم »[٢٤]

ان هذا يعني أنهم اخذوا انفسهم بمنهج صارم في تحري اللغة وضبطها وتنقيتها مما قد علق بها من اللغات الخاصة مما اسميه في عصرنا بـ «اللهجات» ومن غير العربية من لغات سامية وغير سامية • وسنأتي على شيء من هـذا في الكلام على اللهجات وعلى ما ندعوه بـ « اللحن » •

ولابد لنا من تعيين مادة الرواية في البصرة ذلك ان كلاً من المصرين قد اتهج نهجاً خاصاً في الأخذ عن الاعراب • ان جُلّ ما عني به البصريون في الاخذ عن الاعراب في الحواضر أو حين رحلوا إليهم في بواديهم كان اللغـة واستعمال الكلمة ودلالة الكلمة وتصويب هذه الدلالة والغريب من اللغة مما حفلت به مروياتهم كما سنرى • وليس من شك ان هذا الغريب يشتمل على « النوادر » ، فاذا كان بين المرويّ شيء من الشعر فليس ذلك الا انه أتى شاهداً في لفظ او تصويباً لكلمة أو مادة • استعين بها على شرح وتفسير وبيان أو مادة جيء بها دليلاً لذكر موضع من المواضـع والدارات والديار والمياه والجبال وغيرها • ولا أريد ان أقصر المروي لدى علماء البصرة على هذا وأنفي عنهم أنهم حملوا الشعر ورووه وذلك لان جماعة منهم قد رووا الشعر ولكن هؤلاء نفر قليل وان المروي من اشعار العرب لدى البصـريين مادة ليست بذات قيمة بالقياس الى ما اضطلع به الكوفيون في هذا الباب •

لقد روي عن الأصمعي انه قال : « كل شيء في ايدينا من شعر امرىء القيس فهو عن حماد الراوية الا شيئاً سمعناه من ابي عمرو بن العلاء »[٢٥].

---

(٢٤) المزهر ٢١١/١ .
(٢٥) الاغاني ٧٣/٦ (ط . دار الكتب) .

الفصل الثالث

المروي عند البصريين

قلت : ان البصريين عنوا بمواد كثيرة ينتظمها حيز واحد هو الحيز اللغوي ، ذلك ان جل المرويّ لا يخرج عن اجزاء رئيسة أو ثانوية في بناء هيكل العربية • ولنبدأ باديء ذي بدء بمادة « الغريب » •

الغريب والنوادر :

لابد أن نقف على شيء مما أريد بالغريب ، هذا المصطلح الذي يتردد في كتب اللغة ومصادرها • لقد جعلوا معرفة الغريب صفة من صفات العالم اللغوي الضليع ، فيقولون مثلاً : كان عالماً بالغريب • ومن أجل ذلك كانوا يتحرون الغريب ويحفظونه ، وربما فاخر بعضهم بعضاً في معرفته واحتوائه • قال الاصمعي : جئت الى أبى عمرو بن العلاء فقال : من اين اقبلت يا اصمعي ؟ قلت : من المربد ، قال : هات ما معك ، فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي ، ومرت به ستة أحرف لم يعرفها فأخذ يعدو في الدرجة قائلاً : شمَّرت في الغريب يا أصمعي »[1] •

والغريب كما في كتب اللغة الغامض من الكلام • ان مسألة الغموض التي تعنى صفة الغرابة شيء خاص ، ذلك ان الغامض ما غمض على الخاصة • والخاصة في هذا الموضوع هم تلك الطائفة المتقدمة من علماء اللغة • والى هذا ينصرف « الغريب » الذي أشار اليه ابو عمرو حين خاطب الاصمعي بعد رجوعه من المربد • ولابد من معرفة الظروف التاريخية لنشأة الاهتمام بالغريب فنقول :

---

(١) معجم البلدان ٢/٢٠٢ •

كانت لغة القرآن سبباً في توجيه اولئك النفر من علماء اللغة الى هذا الضرب من العلم اللغوي • لقد حفلت لغة القرآن بطائفة كبيرة من الالفاظ مما لم يعرفها العرب على النحو الذي استعملت فيه في لغة التنزيل • ومن غير شك ان قدراً غير قليل منها خاص بهذه اللغة العالية ، فكان ذلك سبباً في تساؤلهم واهتمامهم • فصاروا يلتمسون معاني هذه المواد في الشعر • لقد أثر عن ابن عباس انه قال : « اذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب »[٢] •

ولقد كانت لغة القرآن عاملاً مهماً دفع الدارسين الى البحث في الشعر القديم وضبط الفاظه ومعانيه ، يبتغون من ذلك الوصول الى معرفة هذه اللغة الجديدة في الفاظها ودلالاتها •

لقد صار « غريب » القرآن مادة للتصنيف فصنفت كتب كثيرة فيه • ولقد وصلت الينا طائفة من هذه المصنفات فنشرت وما زال قدر كبير منها لم ينشر • واذا كان كتاب الله قد دفع الدارسين الى معرفة « غريبه » و « مجازه » و « مشكله » وصنفت المصنفات في هذه المواد ، كانت لغة الحديث الشريف مادة عرض لها اهل العلم فالّفوا او صنفوا ووصل الينا شيء مما تهيأ لهم في هذا الباب • ثم اندفع أهل العلم ايضاً الى ان يجمعوا الغريب في اللغة بوجه عام ملتمسين مادته في الشعر والامثال وسائر ضروب الادب القديم •

ومعجمنا القديم يشتمل على هذه المواد مما حفل به التراث اللغوي بجملته •

ولا يبتعد هذا الغريب عن النادر الذي « شذ وخرج عن الجمهور » كما جاء في « اللسان » •

غير اننا حين نقرأ « نوادرهم » لا نكاد نقف على شيء متفق عليه في معنى « النادر » فبينما نجد في ما أثر عنهم من هذا الباب شيئاً يتصل بـ

---

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي (ط. دار الكتب) ١/٢٤ .

« اللغات » قائماً على اختلاف القبائل في طرائق استعمالهم من حيث وضع الالفاظ مرة ، ومن حيث اختلاف الحقائق الصوتية أخرى ، نجدهم ايضا يجعلون من النادر ما ندعوه باختلاف الابنية كأن يقول هؤلاء لفظة بفتح اولها فيقول اولئك بكسره . وربما وجدنا شيئاً آخر لا هذا ولا ذاك بل هو شيء من مادة لغوية فيها الشعر وغير الشعر .

وقد حفظ لنا السيوطي في « المزهر » قدراً من نوادر يونس بن حبيب ونوادر ابي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي . ولا نكاد نشعر بشيء مما ورد في المعجمات من ان النادر ما شذ وخرج عن الجمهور . قال يونس : أهل الحجاز يقولون خمس عشرة ، خفيفة لا يحركون الشين ، وتميم تثقل وتكسر الشين ، ومنهم من يفتحها .

اهل الحجاز يقولون : يبطش « بكسر الطاء » ، وتميم : يبطش « بضم الطاء » .

تميم : هيهات ، وأهل الحجاز : « أيهات » .

ومثل هذا مادة اخرى مما سبيله اختلاف الحركة الذي يؤدى الى اختلاف البناء وهو شيء يتصل بالأصوات في العلم الحديث .

وقد نجد شيئاً يرجع الى اختلاف في الوضع الذي يتأتى من اختلاف في الاصوات عند هؤلاء واولئك ومنه :

« اهل الحجاز يقولون : ما رأيته منذ يومين ومنذ يومان .

وتميم : مذ يومين ومذ يومان . فيتفق أهل الحجاز وتميم على الاعراب ويختلفون في مذ ومنذ فيجعلها أهل الحجاز بالنون وتميم بلا نون ... »[٣]

ومثل هذا ما ورد في « المزهر » من نوادر اليزيدي الذي اشرنا إليه . جاء فيه :

يقول اهل الحجاز : أنا منك بَراء وسائر العرب : أنا منك بريء .

---

(٣) المزهر ٢/٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

اهل الحجاز يخففون « الهدي » يجعلونه كالرَّمْي ، وتميم يشددونه فيقولون : الهديّ كالعشيّ والشقيّ ....

واهل الحجاز يقولون : هي التمر وهي البُرُّ وهي الشعير وهي الذهب وهي البُسر ، وتميم تذكّر هذا كله(٤) .

وهذه نماذج من هذه النوادر التي لم تصل الينا والتي حفظ لنا شيئاً منها السيوطي في « المزهر » ومن المفيد ان نعرض لشيء مما ورد في نوادر ابي زيد وهو من الكتب المطبوعة . وهذا الكتاب على شهرته وقيمته التاريخية لا نكاد ندرك فيه وضوحاً من منهج اتبعه صاحبه ، فما النوادر فيه وما الفكرة أو الحد في معرفة هذه النوادر ؟ لا شيء من ذلك ندركه أو نهتدي إليه . ان مادة هذا الكتاب لا تخرج عن ابيات هنا وارجاز هناك وكلام على كلمة وردت في هذا وذاك وكيف استعملت .

واستطيع ان اقول ان ما جاء في « اللسان » من أن النادر ما شذ وخرج عن الجمهور شيء لم نجده واضحاً في المأثور من هذا الباب مما وصل الينا . ولعل في الكتب والمصنفات التي لم تصل شيء يؤيد هذا الذي أثبت في اللسان .

ان مادة ابي زيد الانصاري في « نوادره » شيء نجده مبثوثاً في اكثر كتب اللغة والادب القديم . ان الكتاب ينتقل بين شعر ورجز ونوادر وهو في كل منها يأتي بالبيت فيشرح ما فيه من كلم فيعرض لفوائد فيأتي بشاهد عليها، فينتقل الى مادة اخرى وهكذا يجرى في سائر الكتاب . ولابد من نماذج واضحة لنتبين طريقة المؤلف ومنهجه ومن ثم نهتدي الى المراد بـ « النوادر ».

باب شعر

جاء في « النوادر » :

قال ابو زيد : انشدني المفضَّل لضمرة بن ضمرة النهشلي وهو جاهلي :

---

(٤) المصدر نفسه ٢/٢٧٦ – ٢٧٧ .

بَكَرتْ تلومك بعد وهن في الندى

بَسْلٌ عليــــك ملامتي وعتــابي

أأصُرُّهــا وبُنَيُّ عمّي ســاغِبٌ

فكفاكَ من إبَـــةٍ عليَّ وعــابِ

قال ابو الحسن وزاد الأصمعي :

أرأيت أن صَــرَخت بليــل هامتي

وخَرَجْتَ منهــا عاريــاً أثوابي

رجعت الرواية لأبي زيد :

هــل تخمشنْ إبلي عليَّ وجوهَها

أم تَعصِبنَّ رؤوسَهــا بسِــلاب

قال ابو حاتم : بَكرت أي عجلت ولم يرد بُكور الغُدوّ ، ومنه باكورة الرُطَب او الفاكهة للشيء والمتَعجَّل منه • وتقول : أنا ابكّر العشيّة فآتيك أي أعجّل ذلك وأُسرعه ، ولم يُرد الغُدُوّ • ألا تراه يقول : بعد وَهْن أي بعد نَومة • والندى : السخاء والعطاء فلامته في ذلك وأمرَتْه بالإِمساك •

بَسْلٌ عليك : حرام عليك وكذلك قول زهير :

بــلادٌ بهــا نادمتُهم والفتُهــم

فإنْ تُقوِيا منهم فإنّهما بَسْــلُ

قال ابو حاتم : هي بَسْلٌ وهما بَسْلٌ وهُنَّ بَسْلٌ ، الواحــد والاثنان والثلاثة والذكر والانثى فيه سواء كما يقال : رجلٌ عَدْلٌ وامرأة عَدْلٌ ورجلان عَدْلٌ وامرأتان عَدْلٌ وقَوم عَدْل • وساغب : جائع •

يقول : فلا أصُرُّ نُوقي وابن عميّ جائع حتى أُرويه • والسَغَب : الجوع •

والإبَة : الخزي والحياء ، يقال : خزيت من الشيء أي استحييت منه[5] •

ثم يمضي ابو زيد في بيان الإبَة وكيف ذهبت الواو كما ذهبت واو « عِدة » ويذهب بعيداً في هذا الباب من علم الصرف والاشتقاق • وقد تجرّه كلمة الى اخرى ثم يعود الى الاصل حتى يأتي الى آخر ما في البيتين في أول الباب • وفي كل هذا شواهد من شعر ورجز •

ولنأخذ شيئاً من « النوادر » في قوله :

باب رجز

وقال آخر :

مَلْسا بذَود الحُمَسيّ مَلْسا

من عُدْوةٍ حتى كأنّ الشَّمسا

بالأفق الغَربيّ تُطْلَى وَرْسا

قال ابو زيد : المَلْس : السير الشديد • قال ابو حاتم : وأقول أنا لا عن ابي زيد : المَلْس : السير السريع السهل • وقوله : « تطلَى ورسا » قد اصفرّت للغروب ••• وينتقل من رَجَز الى شعر الى حديث الى رجز فيقول :

ان لنا رَبائطاً كراما لاصافِناً تَشكو ولا انحِطاما

ولا شَظا عَظمٍ ولا انفصاما من كُلّ مُهْرٍ يعرِفُ الاِجْداما

يقال : اجدَمْتُ بالفرس اجداماً اذا زَجَرْتَه ليسير (بالدال غير معجمة) •

وقال ابو العباس المبرّد : اجذَمت (بالذال معجمة) ، قال ابو الحسن:

---

(٥) النوادر ص ٢ – ٣ .

واجذَمتُ به حَثَثْتُه على السرعة ، قال ابو حاتم : « يعرف الاِجداما » أي قد تعلّمَ هذا وهو مؤدَّبٌ • والشّظا هاهنا مصدر أي ولا نخاف ان يَشْظَى عظمه • والصافن عرق في اليد اذا أخذه أشالَ يده • والشَظا يكون في الأوظفة ، قال الراجز :

وَيْهاً فداءٌ لك يا فَضالَهْ

أجرِّه الرمحَ ولا تُهالَهْ

قال ابو حاتم : « ولا تهاله » فتح اللام أراد النون الخفيفة فحذفها ومثله :

من أيِّ يَومَيَّ من الموتِ أفِرّْ

أيَومَ لم يُقْدَرَ امْ يَومَ قُدِرْ

فتح راء « يُقْدرَ » يريد النون الخفيفة فحذفها ، وبقي ما قبلها مفتوحاً • أنشدناه أبو عبيدة والأصمعي ، فان قيل : أيَدْخُل النون هاهنا ، فقد قال الراجز :

يحْسَبه الجاهِلُ ما لم يَعْلَما

بالنون الخفيفة وهي تدخل في كل مجزوم • قال ابو حاتم : أنشدني الأخفش بيتاً مصنوعاً لطرفة :

اضرِبَ عنك الهمومَ طارِقَها

ضَربَكَ بالسَّوطِ قَوْنَس الفَرَسِ

وقال : اراد النون الخفيفة • ووَيْهاً كلمة إعزاء • « أجرُّه » كَسَر الراء لالتقاء الساكنين ولو فَتَحَ كان اجودَ[٦] •

ويحسن بنا ان نجتزى بشيء مما اسماه « باب نوادر » لنرى مادة هذه النوادر التي خصصها بالاسم :

---

(٦) المصدر السابق ص ١١ — ١٤ •

ابو زيد : قال الكلابيون المَهْرُوس والمَجْشُوش واحد ، هي هَرِيسة" وجَشيشة .

وقال ابو المضاء الكلابي : الهريس والجشيش الحَبُّ حين يُدَقُّ بالمهراس قبل أن يُطبخ فاذا طُبخ فهو هَرِيسة" وجشيشة اذا جَشُّوه .

وقال : استقبلتُ الماشيةَ الوادي فأنا استقبلها ايّاه وأقبلتُها الوادي اقبالاً اذا اقبلت بها نحوه . وقَبَلَت الماشيةُ الوادي تقبله قبولاً اذا استَقْبَلَتْه هي ، قال الراجز :

اذا سمِعنَ زأرَه تَعديدا

في زَفْرةٍ يُقبلُها الكؤودا

رَفَعْنَ امثال الخوافي سودا

والكؤود : العقبة الشاقّة .

ويقال : تاقت نفسي الى كذا تَوقاً وتَوَقاناً وتُؤوقاً .

ويقال : كانت مأدَبةُ فلان (بفتح الدال) على النَّقَرى لا على الجَفَلَى أي على الخاصّة لا على العامّة ، وانشدَ ابو زيد :

دعا النَقَرى دوني رِياح" سَفاهةً

وما كان يَدري رَدْمةُ العَير ماهيا

الرَّدْمة : الضَّرطة ، وانشدَ :

اثخَنَت العَلوخَ رُداما

أبو زيد : قال طرفة :

نحن في المشتاةِ ندعُو الجَفَلَى

لا تَرَى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ[7]

(٧) المصدر السابق ص ٨١ — ٨٢ .

وليس من شك ان الدارس لا يستطيع ان يدرك ادراكاً كافياً ما يرمي اليه المصنف من مادة « النوادر » • ان نهج الكتاب ومادته لا تشعرنا انه يختلف عن مادة « الغريب » في مصنفات « غريب » اللغة •

ان مواد كثيرة من العربية تدخل في هذا الباب الواســع مما يتعلق بالالفاظ وابنيتها واحوالها ودلالاتها •

ومن غير شك ان هذه المواد الوافية التي اشتملت عليها العربية كانت مواد المعجم حين فكر اللغويون في وضع شيء منه • ان جمع اللغة في موادها الكثيرة كان البداية لعمل معجمي ظهر في كتاب « العين » أول مرة في تاريخ العربية وسنتكلم على هذه البداية في فصل من فصول هذا الكتاب •

الفصل الرابع

اللغة والرواية في الكوفة

لم يَرد ذكر البصرة في الدراسات النحوية واللغوية والأدبية وغيرها مما يتصل بالنشاط الثقافي والفكري الا وردت الكوفة شريكة لها في هذه الميادين الرحبة .

وأريد ان أقصر كلامي على الدرس اللغوي[1] في الكوفة وكيف كان وما مادته وكيف تم لعلماء هذا المصر أن يشاركوا في اقامة ذلك الصرح الثقافي .

ومن غير شك ان البصريين سبقوا الكوفيين في الدرس والتلقي والاهتمام بالعلم ، ولكن هذا السبق لم يكن كبيراً ذلك ان تمصير الكوفة لم يخلف البصرة الا ببضع سنوات . غير أن الثابت المعروف ان علماء الكوفة قد تلمذوا لعلماء البصرة وكانوا يقصدونها يأخذون عن شيوخهم ، وليس من حاجة الى الكلام على هذا فهو معروف في مصادر طبقات النحويين واللغويين .

ثم اني لا أرى حاجة ان اتكلم على البغداديين في هذا المضمار وذلك لأني لا استطيع أن اضبط هذه المشاركة البغدادية الأصيلة في مادتها وشخوصها من الاعلام المشهورين .

---

(١) أقول : الدرس اللغوي ليكون كلامي مقصوراً على الجهود التاريخية في رواية اللغة وجمعها وتصنيفها وضبط أصولها مبعداً هذه المواد عن العلم النحوي بمادته وحدوده .

ان جمهرة من اشتهروا ببغداد من أهل اللغة والنحو والأدب هم اولئك الذين نعرفهم اعلاماً بصريين او كوفيين ، ولذلك كان الكلام على من دُعوا بغداديين شيئاً يفتقر الى كثير من التدقيق العلمي(٢) .

لقد عني الكوفيون باللغة كما عني البصريون فأخذوا عن البصريين وتلمذوا لهم لسبقهم في هذا الباب .

لقد قصد الكسائي البصرة يأخذ عن علمائها اللغة والنحو فقد سمع من عيسى بن عمر والخليل بن احمد ويونس بن حبيب(٣) . واخذ الفرّاء عن يونس واستكثر منه(٤) .

ومن الذين قصدوا البصرة للرواية وتلقى اللغة والأدب المفضّل الضبي(٥) .

وكأنّ الرحلة الى البصرة لم تكن لتشمل الكثير من أهل العلم من الكوفيين ذلك ان كتب الطبقات لا تشير الا الى نفر قليل منهم تلمذوا للبصريين وقد اشرت الى جماعة منهم .

ولم يأخذوا عن الاعراب فيلزموا انفسهم بالمنهج الصارم الذي اتبعه البصريون الذين تجشموا الرحلة لتحقيق ما ارادوا تحقيقه من التوفر على اللغة والأخبار وما يتصل بذلك من فوائد .

غير ان فئة قليلة منهم قد وجدت ان لا غنى من اتباع ما انتهجه البصريون فأخذوا عن الاعراب وتجشموا الرحلة اليهم . واول هذه الفئة القليلة من الكوفيين علي بن حمزة الكسائي الذي خرج الى البصرة فلقي

---

(٢) لقد ادرك هذه الحقيقة العلمية نفر من الباحثين الغربيين والشرقيين ويعد كتاب « الدرس النحوي في بغداد » للدكتور المخزومي مقطع الرأي في هذا الباب .

(٣) معجم الادباء ١٧/١٦٩ .

(٤) المصدر السابق ٢/١٠ .

(٥) طبقات فحول الشعراء ١/٢٣ .

الخليل وجلس في حلقته فقال له رجل من الأعراب : تركت أسـد الكوفة وتميمها وعندهما الفصاحة وجئت الى البصرة ، فقال للخليل : من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة فخرج ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينة من الحبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ[٦] .

ومن اولئك النفر الذين قصدوا الاعراب في باديتهم ابو عمرو الشيباني فقد قالوا : انه دخل البادية ومعه دستيجان حبراً فما خرج حتى أفناهمـا يكتب سماعه عن الاعراب[٧] . ومنهم من اخذ عن الاعراب دون ان يتكلف الذهاب اليهم ، قال المفضل الضبي : « لم يزل ابن الاعرابي عندنا مرمداً في علمه غير مفارق للناس حتى قدم علينا أعراب من اليمامة ففاتحهم الغريب ففتقوا له وكان علمه الذي حصل في نحو من شهر[٨] .

خصائص الرواية في البصرة والكوفة

لقد اتخذ البصريون الرواية عن الاعراب وسيلة لضبط اللغة وجمعها ومعرفة غريبها ونوادرها وما يتصل بذلك من شعر واخبـار لتوثيق تلك الاصول اللغوية التي شملت العربية في اصولها واشتقاقها ولغاتها .

اما الكوفيون فلم يكن من اهتمامهم الاستيعاب الشامل لتلك الاصول على نحو ما صنع البصريون ، فلم يأخذوا عن الاعراب كثيراً ، ولم تكن الرواية اللغوية موضوع مادة لهم بقدر اهتمامهم بالشعر واخبار الشعراء . وليس من وكدي ان أذهب بعيداً في هذه المسألة بل اكتفي بهذه الاشارة الموجزة وأقول : لولا ما وصل الينا من الشعر مما أثر عن حماد الراوية والمفضَّل الضبي وابى عمرو بن الشيباني لذهب شعر كثير .

---

(٦) إنباه الرواة ٢/٢٥٧ ــ ٢٥٨ .

(٧) المصدر السابق ٢/٢٢٤ .

(٨) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٢١٤ .

لقد روى حماد شعراً كثيراً ، وقولي « كثير » لا تنقل الصورة الدقيقة التي وصلت الينا في اخباره عن عظم ما كان يروى مما لم يسهل علينا تصديقه والاعتماد عليه • كان الوليد بن يزيد قد سأله يوماً : بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية ؟ فقال : بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به • ثم أروي لاكثر منهم ممن تعرف انك لم تسمع به ، ثم لا أنشد شعراً قديماً ولا محدثاً الا ميّزت القديم منه من المحدث • فقال : ان هذا العلم وابيك كثير • فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطّعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال سأمتحنك في هذا ، وأمره بالانشاد فأنشدَ الوليد حتى ضجر ، ثم وكل به من استخلفه ان يصدقه عنه ويستوفي عليه فأنشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين وأخبر الوليد بذلك[٩] •

ومن غير شك ان هذا الفيض من القصائد والمطولات التي عرفت عن طريق حماد دفع النقاد والمؤرخين الى الشك فظهرت مسألة الانتحال المشهورة• ولم تكن هذه المسألة وليدة عصورنا الحديثة التي أخذت بالمناهج الحديثة في النقد القائم على الشك ، بل ان الاقدمين أنفسهم بل قل المعاصرين لحماد قد تكلموا في مروياته وما أثر عنه •

جاء في « الاغاني » : ان المهدي جمع بين المفضل الضبي وحماد فسأل المفضل عن زهير بن ابي سلمى وكيف افتتح قصيدته بقوله :

دعْ ذا وعَدِّ القولَ في هَرِمٍ

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما أمر نفسه بتركه ؟ فاعتذر المفضل عن شيء سمعه في هذا الباب وأجاب بشيء توهمه • فلما سئل حماد افتتح القصيدة بثلاثة أبيات قالها على الفور بحيث يستقيم السياق فاستحلفه أمير المؤمنين فأقرَّ له انه قائلها[١٠] •

---

(٩) الاغاني (ط . دار الكتب) ٧١/٦ •

(١٠) معجم الادباء ١٦٦/١٩ ــ ١٦٧ •

وكان المفضل يحمل على حماد فيما نال الشعر منه فيقول : قد سلط على الشعر من حماد ما أفسده فلا يصلح ابداً ، فقيل له وكيف ذلك أيخطىء في روايته أو يلحن ؟ قال ليته كان كذلك فان اهل العلم يردّون من اخطأ الى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب واشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد واين ذلك(١١) .

وعلى الرغم من هذه الاخبار التي تكشف عن حقيقة حماد الراوية وقدرته في صناعة الشعر ونحله والزيادة فيه نجد طائفة من ثقات علماء اللغة يأخذون عنه ، بل قل يوثقونه فقد ذكر ان الاصمعي قال : كل شيء في ايدينا من شعر امرىء القيس فهو عن حماد الراوية الا شيئاً سمعناه من ابي عمرو بن العلاء(١٢) . وقال ابو عمرو الشيباني : ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد الراوية الا قدّمه على نفسه(١٣) .

وهكذا اجتمع البصريون والكوفيون في العلم فاستكمل هؤلاء ما قصّرَ فيه اولئك وتهيأ من هذا اللفيف المجموع هيكل اللغة بموادها ولهجاتها واصولها وما اشتملت عليه من فوائد تتصل بالشعر والامثال والاخبار وسنأتي على أهم الآثار اللغوية التي صنفها علماء المصريين فنتكلم عليها على أنها نتائج لذلك الجهد الشاق الذي بذلوه للتوفر على العربية لغة وادباً وثقافة .

---

(١١) الاغاني ٨٩/٦

(١٢) المزهر ٤٠٦/٢ .

(١٣) الاغاني ٧٣/٦ .

الفصل الخامس

آثار البصريين اللغوية

كتاب العين :

لا أريد ان اتكلم على قصة كتاب العين وما قيل في صاحبه ان كان هو الخليل بن احمد ام كان مصنف آخر هو الليث مثلاً • ولا أريد ان اعرض فيما خاض فيه الأقدمون فهو معروف والمسألة مشهورة لا تحتاج الى تعليق جديد • ولكني أوجز فأقول ان مصنف الكتاب من غير شك هو الخليل وان جل ما فيه ان لم يكن كله من مادة الخليل • اقول « جله » ذلك ان شيئاً يسيراً لابد ان يكون قد أضيف الى الكتاب كما يشير النص الذي بين أيدينا • واندراج هذا القسط اليسير في نص الكتاب أمر طبيعي من شأنه ان يعرض ، وذلك لان الكتاب قد مر بظروف خاصة فقد خفي عن جمهرة الدارسين عشرات السنين واظن ان هذه الحقبة وحدها تكفي ان تضيف اليه بل قل تعبث فيه • ثم عاد إليه الدارسون مستفيدين وناقدين وانتهت المسألة الى الحالة التي نعرفها لدى اللغويين القدامى بين مؤيدين ومنكرين واصحاب رأي خاص •

ثم عاد الكتاب منسياً قروناً طويلة لا يعرفه الناس ولا يفيدون منه الا عن طريق غير مباشر ذلك ان الذين أتوا بآراء الخليل واقواله من اللغويين واصحاب المصنفات اللغوية ولا سيما المعجمات المطولة كانوا يأخذون مادتهم تلك من « الجمهرة » لابن دريد او من « التهذيب » للازهري أو من غيرهما•

ولا نعرف نحن اهل هذا العصر كتاب العين الا في مخطوطاته المتأخرة التي لا يوجد منها ما يسبق نهاية النصف الاول من القرن الحادى عشر الهجري[1] .

ولا أريد أيضاً ان اتكلم على طريقة العين في تصنيف مواد العربية فأمر ذلك معروف للدارسين منذ ان نشر الاب الكرملي قطعة صغيرة منه . ولكني اوجز فاقول انها طريقة جديدة لم يعرفها العرب قبل الخليل بن أحمد ، انها طريقة قامت على ترتيب الاصوات حسب مخارجها وتأليف الالفاظ من تلك الاصوات فبدأ بالعين وما يثنيها ويثلثها ثم يصل الى الرباعي والخماسي من الالفاظ التي يكون العين احد الفاظها حتى اذا استوفى هذه المجاميع من الالفاظ تحول الى الحاء وما ينضم اليه من الاصوات في الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ثم يتحول الى الهاء ثم الخاء ثم الغين وهكذا ينتهي من مجموعة اصوات الحلق وما يتصل بها من اصوات في جمهرة الالفاظ المعروفة في العربية .

ومما يلاحظ في ترتيب الاصوات التي أثبتها الخليل في كتاب العين أنها تختلف عنها في كتاب سيبويه ، وهذا يعطينا فائدة خاصة تتصل بما يكتب عن « الكتاب » لسيبويه وان جُلَّ ما فيه للخليل بن أحمد . ولا ننكر ان يكون في كثير من المواد النحوية واللغوية ومنها الاصوات ما أفاده سيبويه من الخليل ابن أحمد غير ان لسيبويه ايضاً اضافات اثبتها دلّت على أصالةٍ في الرأي الى جانب ما اثبته من العلم الدقيق مما سأل عنه الخليل .

ان كتاب العين عمل من الاعمال التي لا يصل اليها الا أهل الأصالة والعبقرية ذلك انه ابتكار لنظام ادى الى جمع العربية ولم تكن عملية الجمع والتوفر عليها من المسائل الهينة ، بل هي على العكس من ذلك في غاية العسر والصعوبة . لقد عجز من تقدم الخليل من علماء اللغة ومن خلفه منهم عن

---

(١) انظر كتاب العين « الجزء المطبوع » من نشرة الكرملي ونشرة الدكتور عبدالله درويش . ومن الجدير بالذكر ان « كتاب العين » ينشر نشرة محققة جديدة وسيمثل الجزء الاول منه قريباً .

الوصول الى شيء من هذا الهدف وهو التوفر على « المعجم » فلم يتأت لاي منهم شيء من ذلك .

لقد صنع اللغويون الاقدمون رسائل صغيرة تتصل كل رسالة بموضوع من الموضوعات فيجتمع فيها مواد ذلك الموضوع كالرسائل التي توفرت على « خلق الانسان » و « الابل » و « الخيل » و « الحشرات » و « الوحوش » و « السيف » و « الرمح » و « العصا » و « السرج واللجام » و « المطر والسحاب » ومثل هذا كثير ، ولم يستطع أحد من اولئك ان يحقق ضرباً من معجم يفي بمطالب العربية كلها حتى جاء الخليل وادرك هذه الغاية ، ومن هنا كانت منزلة الخليل لا يساميها أحد في تاريخ العربية .

وأرى ان الخليل اهتدى الى المعجم وجمعه والتوفر عليه وهو يدرس اصوات العربية ويصنفها وكيف تجتمع هذه الاصوات في اللفظ . ولعل في حكاية الليث بن المظفر ما يوحي للدارس ان يذهب الى اطلاق هذا الحكم . حكى الليث فقال :

كنت اصير الى الخليل بن احمد فقال لي يوماً : لو أنّ انساناً قصد وألّف حروف : ألف وباء وتاء وثاء على ما أمثّله لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب فتهيّأ له أصل لا يخرج عنه شيء منه بتة ، قال : فقلت له : وكيف يكون ذلك ؟ قال : يؤلّفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وانه ليس يعرف للعرب كلام اكثر منه .

قال الليث : فجعلت استفهمه ويصف لي ولا أقف على ما يصف فاختلفت اليه في هذا المعنى اياماً ، ثم اعتلّ وحججته فما زلت مشفقاً عليه وخشيت ان يموت في علته فيبطل ما كان يشرحه لي ، فرجعت من الحج وصرت إليه فاذا هو قد ألّف الحروف كلها على ما في صدر هذا الكتاب ، فكان يُملي عليّ ما يحفظ ، وما شك فيه يقول لي : سل عنه فاذا صحّ فاثبته الى أن عملت الكتاب[٢] .

---

(٢) الفهرست (طبع مصر) ص ٦٤ .

اذا كان كتاب العين أول معجم في العربية وان مصنفه قد فتح فيه فتحاً جديداً في هذا العلم ، فلم ينسج على منوال سابق له ولم يقلد شيئاً في لغة أخرى غير عربية ، فلابد ان يعرض له قليل او كثير مما يستدرك عليه به من النقص والوهم والاشتباه . ولابد أن يدخل فيه شيء ليس للخليل ، وربما ظهر هذا ونحن نقرأ مواد هذا المعجم . وطبيعي أنه عرض له ما عرض اذا عرفنا - كما اشرنا الى ذلك - أنه طوي سنين طوالاً لا يعرف عنه الدارسون شيئاً ثم ظهر ثانية ، ثم انطوى ثانية حتى وصل الينا في صورته الاخيرة التي بين أيدينا التي اشتملت على سند لا يوحي كثيراً من الثقة فهو قصير جداً .

وبسبب من ذلك كله استدرك غير واحد على كتاب العين زيادة وتكملة وبيان خطأ ووهم .

والذي دفع اللغويين الى ان يشكوا في الكتاب ونسبته الى الخليل انهم رأوا فيه اشارات لعلماء كان بينهم المعاصر للخليل وممن هم قد اخذوا عنه كالأصمعي وابي عبيدة وسيبويه . وكان فيه لجماعة لم يكن لهم شأن في عصر الخليل كابي سعيد والضرير وأبي احمد . وفي الكتاب اسماء لا نجدها الا فيه مثل زائدة ومبتكر وحماس وابي ليلى .

وللازهري صاحب التهذيب من علماء القرن الرابع الهجري ، رأي في كتاب العين وأنه من اوائل من انكر نسبته الى الخليل بسبب مواد عرضت فيه لا يصح ان تكون من علم الخليل فقد جاء في لسان العرب من مادة (عمر): انه نوع من النخيل سموق طويل ، وليس كذلك فيما نعرف ، فهو نخل السكر سحوقاً أو غير سحوق . وقد ذهب الازهري الى ان الخليل « من اعلم الناس بالنخيل والوانه ، ولو كان الكتاب من تأليفه ما فسر العُمُر هذا التفسير[٣] .

وهذا قدر موجز اكتفي به لبيان قيمة كتاب العين ومادته وما قيل فيه .

---

(٣) لسان العرب (عمر) .

كل هذا حفز جماعة الى نفي نسبته الى الخليل فتصدى لهم آخرون وردوا هذا الادعاء • وذهب طائفة الى ان ما عرض للكتاب من وهم لم يكن من الخليل وانما مما لحق به ممن تناولوه ورووه ونسخوه فاضافوا ومسخوا•

ولابد لنا من أن نشير الى المصنفات الاخرى التي صنفها العلماء البصريون ، وهي في جملتها كتب تتناول موضوعات معينة كالخيل والابل ومواد أخرى كنا قد اجملناها في اول هذا الفصل •

لقد كان من هذه الكتب كتاب الخيل لابى عبيدة[٤] ، وكتاب الخيل للأصمعي[٥] •

ان المادة اللغوية في هذين الكتابين متشابهة وهي من غير شك تتصل بخلق الخيل وصفاتها ، كما صنفوا في خلق الانسان وقد وصل الينا شيء من هذه الكتب كخلق الانسان للاصمعي •

ومن هذه المصنفات اللغوية الكتب التي بنيت على موضوع « فَعَلَ وأفعَل » وقد عني غير واحد منهم بهذا الباب •

وكان للغويين البصريين عناية بالقرآن اتجهت الى غريبه ومجازه ومن هذا الباب مجاز القرآن لابي عبيدة الذي تناول فيه الفاظ القرآن وما ترمي اليه من المعاني •

لقد وقف على الفاظ القرآن وقفة طويلة مبيناً انها لا تختلف عما ورد في استعمال العرب لنظائرها من الكلم • ومصطلح المجاز في هذا الكتاب لا يخرج عن الشرح والتفسير وبيان المعنى •

ومن آثار البصريين اللغوية كتب الامثال فقد ألف فيها نفر من مشاهيرهم مثل يونس بن حبيب وابي عبيدة والاصمعي وابو فيد مؤرج

---

(٤) طبع في حيدر آباد سنة ١٣٥٨ هـ .

(٥) طبع في فينا سنة ١٨٨٨م ثم أعاد لويس شيخو طبعه في بيروت سنة ١٨٩٥م .

السدوسي[٦] . ولم يصل الينا من هذه المصنفات الاكتاب مؤرج السدوسي[٧] . وهو كتاب موجز بالقياس الى كتب الامثال التي وصلت الينا .

اما العناية باللهجات ولغات القبائل فلا نعرف للبصريين فيها الا ما ورد في « كتاب العين » فقد ورد فيه فوائد تتصل بموضوع اللهجات كأن يقول مثلاً في مادة (عسق) : والعَسْق : لزوق الشيء بالشيء ، والعَسَق : العرجون الرديء ازدية . هذا مجمل موجز أتيت فيه على الموضوعات التي صنف فيها البصريون في اللغة . .

(٦) نشره الدكتور محمد الضبيب من اساتذة جامعة الرياض في السعودية .
(٧) انظر مادة « عسق » .

الفصل السادس

آثار الكوفيين اللغوية

قلنا : ان الكوفيين قد اهتموا برواية الشعر وجمعه ، وان الاغلب الاعم من نصوص الشعر القديم أخذ عن حماد الراوية والمفضل الضبي وابو عمرو الشيباني ولم يكن لهم ما كان للبصريين من المشاركة الواسعة في الرواية اللغوية . لقد أشرنا الى ما صنع حماد من مجاميع الشعر كالسبع الطوال وغيرها ، وما صنعه المفضل من اختياراته التي عرفت بالمفضليات وأنه صنع كتاباً في الامثال . ولعل هذا الأمر هو الذي حفز الاصمعي ان يعنى ايضاً بجمع الشعر فلا يقتصر على الرواية اللغوية فكانت مجموعة « الاصمعيات » . وقد كان لابي عمرو الشيباني اهتمام باشعار القبائل الى جانب اهتمامه باللغة كما سنبين .

ولنعرض لطائفة من المصنفات اللغوية التي ألفها الكوفيون وهي وان لم تكن بالقدر الذي قام به البصريون الا انها مع كل ذلك مادة ذات أثر تاريخي غير يسير :

١ ــ كتاب الجيم(*) :

هو معجم اتبع فيه نظام الترتيب الهجائي أ ب ت ث ج .. الى آخر الحروف ، فهو يبدأ بالكلمات التي تبدأ بالالف فيثبت كلمة « اوق » أول هذا الباب ولا ندري لم كانت هذه البداية . وينتهي من هذا الباب بالكلمة

(*) كتاب الجيم لابي عمرو الشيباني من مطبوعات مجمع اللغة العربية في القاهرة ، طبع منه ثلاثة اجزاء . الجزء الاول سنة ١٩٧٤ .

الأخيرة وهي « الادة » ولا ندري كذلك كيف تم هذا ، وبين البداية والختام حَشْد غير منظم ولا مرتب لمواد استهلكت أكثر من خمس وعشرين صفحة لا يجمع بينها الا انها ابتدأت بالالف .

ان نظرة سريعة للصفحة الأولى نجد فيها « اوق » ثم « ازح » ثم «امم»[1] لتهدينا الى أنه لم يتبع ترتيباً يعين القارىء على أن يهتدي الى ما يريد بيسر . ولا ندري لم سمّى المصنف كتابه بـ « الجيم » لقد كثر القول في هذا الموضوع ولم نهتد الى الحقيقة التي قصد اليها . لقد سبق ابا عمرو الشيباني في هذه التسمية النضر بن شميل المتوفى سنة ٢٠٤هـ كما يشير ابن النديم وهو الذى تفرد بهذه الاشارة .

ولقد كان لابي عمرو شمر بن حمدويه الهروى المتوفى سنة ٢٥٥هـ كتاب وسم بالتسمية نفسها ، اعني الجيم .

جاء في ترجمة ابن الانباري في « النزهة »[2] لشمر هذا فقال : «وألف كتاباً كبيراً على حروف المعجم وابتدأه بحرف الجيم ، لم يسبقه الى مثله أحد تقدم ، ولا أدركه من بعده ، ولما أكمل الكتاب بخل به فلم ينسخه أحد من اصحابه ......

وجاء في « بغية الوعاة »[3] للسيوطي : والف (أي شمر) كتاباً كبيراً في اللغة ابتدأه بحرف الجيم وكان ضنيناً به ، لم ينسخ في حياته ، ففقد بعد موته الا يسيراً ، ذكره في « البُلغة » « أي الفيروز ابادي » .

ولابي عمرو الشيباني كتب أخرى هي على النحو الآتي :

١ ـ كتاب الابل[4] .

٢ ـ كتاب خلق الانسان[5] .

---

(١) المصدر السابق ص ١
(٢) نزهة الالباء ص ١٣٥
(٣) بغية الوعاة ص ٢٦٦
(٤) وفيات الاعيان ١/٦٥
(٥) المصدر السابق .

٣ ـ كتاب الخيل[٦] .

٤ ـ كتاب غريب الحديث .

٥ ـ كتاب النحلة [٧] .

٦ ـ كتاب النوادر[٨] .

٧ ـ كتاب اشعار القبائل[٩] .

وهذه المصنفات كلها تشتمل على الرواية اللغوية التي تهيأ لابي عمرو ان يجمعها رواية عن الاعراب وغيرهم .

ولعل مثل هذا كان لابن الاعرابي فقد صنف في « النخل » و « صفة الزرع » و « الخيل » و « النبت والبقل » و « النبات » و « صفة الدرع »[١٠] .

وله كتاب في « النوادر » قال ياقوت عنه « انه كبير »[١١] .

وللكسائي كتاب في النوادر الكبير والاوسط والصغير[١٢] ، وله كتاب « ما تلحن به العامة وهو من الكتب المطبوعة التي نسبت اليه » .

وللفراء كتاب في « النوادر »[١٣] ، وله كتاب « معاني القرآن » .

وجملة هذه المصنفات مصادر لغوية تظهر القدر الذي شارك فيه الكوفيون في جمع اللغة والتوفر على موادها .

---

(٦) نزهة الالباء

(٧) المصدر السابق .

(٨) الفهرست ص ٩٨ ـ ١٠١ .

(٩) انباه الرواة ٢٢١/١ ـ ٢٢٢ .

(١٠) معجم الادباء ١٩٦/١٨ .

(١١) المصدر السابق .

(١٢) غاية النهاية في طبقات القراء ٥٣٩/١ .

(١٣) الفهرست ص ٩٨ ـ ١٠١ .

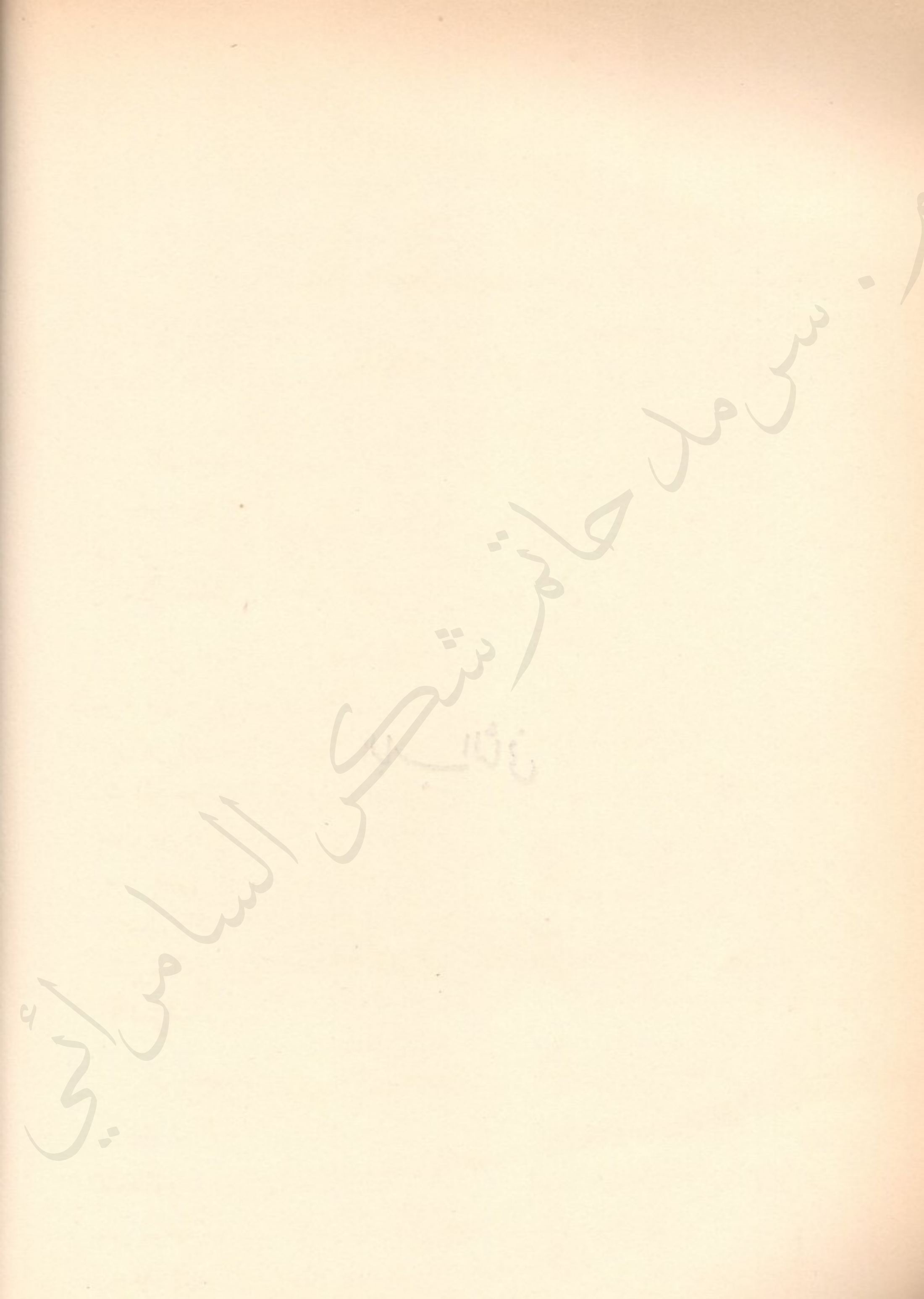
ولابد من القول ان البصريين والكوفيين وان تميز كل منهم بنسبة الى بلده فانهم جميعا تحولوا الى حاضرة الخلافة « بغداد » فأقاموا فيها شطراً من حياتهم فكان لهم مشاركة في الحركة اللغوية والادبية . ومن هنا نشأت المساجلات والمناظرات بينهما مما نجد آثاره في مصادرنا القديمة .

وعلى هذا ليس لنا ان نقول ان هناك مذهباً بغدادياً او طريقة بغدادية أو مدرسة بغدادية تنتظم الرواية اللغوية ذلك ان علماء المصريين قد تحولوا إليها فنقلوا علمهم وشاركوا في الحياة الثقافية . ومثل هذا قيل في النحو القديم بصريّة وكوفيّة وليس من مذهب بغدادي[١٤] .

---

(١٤) ولعل الاشارة الى المذهب البغدادي تعني الكوفي فقد قالوا ان ثعلباً من البغداديين وحقيقة الأمر انه من الكوفيين كما يتضح للباحثين المدققين .

الباب الثانى



الفصل الاول

اللهجات العربية

كان المجتمع العربي القديم في عصور ما قبل الاسلام مجتمع قبائل كبيرة أو صغيرة ، ولقد ظل محتفظاً بتلك التنظيمات الاجتماعية في العصور الاسلامية على ان المجتمع العربي في هذه العصور قد تحول الى تنظيم حضاري انسلخ في بعض مظاهره عن نظام القبيلة القديم .

ومن المعلوم ان لكل قبيلة موطناً وحدوداً اقليمية خاصة بها وان كان شيء من نظام البداوة وما يقتضيه من الترحل والانتقال قد كان معروفاً . ولعل من أسباب الفوارق اللغوية التي قد تشتد فتؤلف لهجات متباينة ، وجود تلك المجتمعات في مواطن منفصل بعضها عن بعض . ومن غير شك ان هذه الحال من الانفصال بين جماعة واخرى تدعو الى الفوارق اللغوية كما سنرى. وهذا يعني ان الفوارق اللغوية تضعف بل تقرب من الاستخفاء كلما زاد الاتصال واقتربت الشقة بين المجتمعات . ومما يؤيد هذا ما نجده في الحواضر الكبيرة التي يميل أهلها في سلوكهم اللغوي الى شيء من الانسجام والاشتراك .

ان المجتمع العربي القديم مجتمع قبائل كما اسلفت ، وهذه القبائل قد توزعت في الرحب الفسيح من بلاد العرب القديمة فكان عرب الجنوب وهم القحطانيون وكان عرب الشمال وهم العدنانيون . ولكل من هؤلاء قبائل عدة نعرفها في كتب الانساب والتاريخ . ولعل الانفصال قد يشتد بين هؤلاء وهؤلاء فينحسر عن ذلك نظام لغوي بعيد كل البعد عن نظيره الآخر . ولقد

ظهر هذا في الفوارق بين لغات أهل الجنوب في اليمن وهم القحطانيون ولغات أهل الشمال وهم العدنانيون .

ولابد من سؤال نضعه قبل ان ندخل في الموضوع وهو : هل لنا ان ندرس دراسة علمية جادة تلك اللهجات بل قل تلك اللغات ؟

وللجواب عن هذا اقول : لابد لنا لدراسة اية لغة او اية لهجة ـ والأمر فيهما سيان ـ من وثائق هي نصوص صحيحة ثابتة النسبة الى اصحابها . وهذا الأمر يتحتم وجوده ولا سيما عند غياب العنصر البشري . ان توفر هذا العنصر الثاني وهو وجود الناطقين باللغة ضروري للدراسة الموضوعية العلمية مع معرفة الموطن الذي يعيشون فيه . ان توفر كل هذا فان الباحث يستطيع ان يدرس تلك اللغة او تلك اللهجة دراسة علمية تتناول النظام الصوتي والنظام النحوي وما يتصل بالدلالة والمعجم .

ومن ثم يتهيأ قدر جيد من معرفة تلك اللغة في حدودها الاقليمية وخارطتها اللغوية . أما اذا كان الأمر متعلقاً بلغة قديمة او لهجة قديمة فان غياب العنصر البشري ينبغي الا يثني الباحثين عن انجاز جهد علمي قديم ، وذلك اذا توفرت المعلومات الاخرى وعلى رأسها النصوص الموثوق بها .

ولابد لنا ان نسأل ثانية ونحن نشرع بدراسة اللهجات العربية القديمة: هل نملك المواد الكافية لدراسة تلك اللهجات ؟

اننا لا نملك شيئاً كثيراً من تلك المواد ، لا نملك الا شذرات هي كلمات لا تؤلف نصوصاً . هذه الشذرات تتصل باللفظ وطريقة استعماله كما تتصل بالمعنى ودلالته على شيء دون آخر كما تتصل بمسائل صوتية تتمثل بالابدال والادغام والامالة ونحو هذا . ثم ان الباحث ليضم اليها مسائل نحوية اختصت بها لهجة دون أخرى .

ولا نعرف على وجه الضبط والاتقان اصحاب هذه الاشارات اللغوية او اللهجية فبينا تنسب ظاهرة منها الى هذيل نجدها منسوبة الى قبيلة اخرى . وبينا نقرأ في مصدر من مصادر اللغة ان ما سموه بالعنعنة في تميم نجد ان

هذه الظاهرة الصوتية قد شاعت في قوم آخرين لا صلة لهم بتميم كما يشير الى ذلك مصدر آخر .

ولعل من اهم الاسباب انتي حجبت عن الدارسين الالمام الكافي باللهجات لقلة المادة اللازمة للدرس هو ان اللغويين القدامى لم يعنوا بها بل قل اهملوها لانهم شغلوا بلغة فصيحة هي لغة طوائف معينة من العرب . ولقد بلغ من اهمالهم لهذا الأمر أنهم نبزوا شيئاً منها باللغات المذمومة ، فقد جاء في « فقه اللغة »[1] لابن فارس هذا الوصف حين تناول ظواهر ما اسموه بالكشكشة والكسكسة والعنعنة وما يشبه هذا من مسائل الابدال . ثم انك لتجد في كتاب سيبويه شيئاً من هذا الوصف كأن يقول : انها « لغة رديئة » « لغة رديئة جداً »[2] أو « ضعيفة »[3] او « قليلة خبيثة »[4] .

لقد وصفوا هذه اللغة بالخبث والرداءة في حين أنهم وصفوا لغة أخرى بانها جيدة . ولم يكن مقياس الجودة والرداءة علمياً وانما هو شيء اعتباري لسبب سنعرض له .

لقد وصف سيبويه لغة الحجازيين فقال : « والبيان في كل هذا عربي جيد حجازي »[5] ، كما رضي لغة التميميين وحظيت منه بالاستحسان .

ولقد اتفق علماء العربية الأقدمون على ان لغة قريش النموذج الاعلى للفصاحة وان لغة التنزيل جاءت عليها .

جاء في « الصاحبي » : « اجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وايامهم ومحلهم ان قريشاً أفصح العرب ألسنة واصفاهم لغة ، وذلك ان الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار

---

(١) فقه اللغة « الصاحبي » ص ٢٤

(٢) الكتاب ٢/٢٩٤ .

(٣) المصدر السابق ٢/٣٥٨ .

(٤) المصدر السابق ١/١٦٤ .

(٥) المصدر السابق ٢/٤٠٧ .

منهم نبيّ الرحمة محمداً صلى الله عليه وسلم ، فجعل قريشاً قُطّان حرمه ، وجيران بيته الحرام وولاته ... وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها ، اذا اتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم واشعارهم احسن لغاتهم واصفى كلامهم . فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أوضح العرب »[٦] .

والى مثل هذا ذهب الفارابي فقال : « كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً ، وابينها ابانة عما في النفس »[٧] .

وقد علل ابو العباس ثعلب مكانة لغة قريش من الفصاحة والجودة فقال : « ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء وكسكسة ربيعة وكشكشة هوازن وتضجّع قيس وعجرفيّة ضبة »[٨] . وكأن هذه المسائل اللغوية مما يجعل اللغة غير فصيحة ولا مقبولة بل لغة مذمومة .

وكأن الفراء ذهب الى تعليل جودة لغة قريش مذهباً آخر فقال : « كانت العرب تحضر الموسم في كل عام ، وتحج البيت في الجاهلية ، وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الالفاظ » .

وقد درج الباحثون المدققون من علماء اللغة والأدباء يرددون هذا الرأي طوال العصور المتعاقبة . ولم يتخلّ نفر من الباحثين في عصرنا عن القول بهذا الرأي فقد قال به كل من الرافعي في كتابه « تاريخ آداب العرب »[٩] ، والدكتور طه حسين في « الأدب الجاهلي »[١٠] والى مثل هذا ذهب آخرون من علماء العصر وادبائه .

---

(٦) الصاحبي ص ٢٣ .
(٧) الاقتراح (للسيوطي) ص ٢٢ .
(٨) المزهر في علوم اللغة وانواعها (القاهرة ١٣٢٥هـ) ص ١٢٨ .
(٩) تاريخ آداب العرب (القاهرة ١٩١١) ١/٨٢ — ٨٤ .
(١٠) في الأدب الجاهلي (المعارف ١٩٥٢) ١٣٣ — ١٣٦ .

وكان من هذا ان شاع في كتب هؤلاء كلهم ان القرآن انزل بلغة قريش ، وقد صرح بهذا الرافعي في الموضع الذي اشرنا إليه .

ان الدارس ليلمح ان الاوائل ذهبوا الى ان لغة قريش أفصح اللغات لأنّ الرسول الكريم من قريش وأنه قال : أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش »[11] .

ولقد تعسفوا في تأويل الحديث الشريف ليصلوا الى ان الرسول الكريم أفصح العرب طراً بسبب انه من قريش . ان الدارس للأثر ليستطيع أن يثبت ان فصاحة الرسول تأتت من أنه لم يكن كسائر الناس بل هو فوقهم فصاحة وعقلاً وذكاءً . وان الاخبار تشهد ان معنى « بيد » هو « غير » وليس « من أجل » .

وكأن الدارسين في علوم القرآن من لغويين وغيرهم أرادوا ان يؤولوا على هذا النحو فذهبوا الى ان الرسول الكريم أفصح العرب لانه من قريش . لقد ظنوا ، وهم مخلصون ، ان قريشاً أفصح العرب ، بل قل أرادوا ان يكرموا قريشاً لان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم . ثم انهم خالفوا سائر اللغويين الذين قرروا ان « بيد » تعني « غير » .

وقالوا : يقال : رجل كثير المال بيد أنه بخيل ، معناه غير انه بخيل ، حكاه ابن السكيت ، وقيل : هي بمعنى « على » ، حكاه أبو عبيد ، قال ابن سيده : والاول أعلى ، وأنشد الأموي لرجل يخاطب امرأة :

عمداً فعلت ذاك بيدَ أنّي
إخال إن هلكت لم ترِنّي

يقول : على أني أخاف ذلك . وفي الحديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : انا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد ، بيد بمعنى غير .

---

(11) المزهر ص ١٢٦ .

وفي حديث آخر : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم اولوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم .

قال الكسائي : قوله « بيد » معناه « غير » ، وقيل : معناه على أنهم، وقد جاء في بعض الروايات « بايْد أنهم » .

قال ابن الاثير : ولم أره في اللغة بهذا المعنى . وقال بعضهم : أنها بأيدٍ أي بقوة ، ومعناه : نحن السابقون الى الجنة يوم القيامة بقوة اعطاناها الله وفضلنا بها ، قال ابو عبيد وفيه لغة اخرى « مَيْد » بالميم[١٢] .

أقول : ان التعسف ظاهر في تأويل « بيد » وذهابهم الى غير معناها رغبة في اكبار قريش ليقولوا ان لغتهم افصح اللغات ، وبسبب هذا كان الرسول أفصح العرب . ومثل هذا التعسف في الحديث الثاني الذي وردت فيه الكلمة نفسها ليقولوا ان المسلمين هم السابقون يوم القيامة فتأولوا « بيد » الى « بايد » وهي من ثَمَّ « بأيد » أي بقوة .

ولو فهمنا كلمة « بيد » على وجهها الصحيح لم يكن اكبار للغة قريش ووصفها بأنها أفصح اللغات .

واذا عرفنا ان قريشاً في مكة يتاح لهم ان يتصلوا بكثير من قبائل العرب أدركنا ان ذلك قد يكون سبباً في ان لغة قريش تفقد الكثير من خصائصها اللغوية شأنها في ذلك شأن كل مجتمع ضخم في رقعة فسيحة . ولا يمكن ان تكون لغة قريش نموذجاً عالياً للغة العرب .

واذا كان مجتمع مكة قد اتاح للعرب ان يلتقوا فيه في مواسم الحج وفي عكاظ فان للعرب مناسبات اخرى ومواسم عدة واسواقاً غير سوق عكاظ ، لابد ان كانت فرصاً يجتمع فيها العرب من هنا وهناك ، فلابد ان يكون من لقائهم واجتماعهم شيء يعود على لهجاتهم المتعددة بما يشبه التوحيد والتقارب فلِمَ تختص لغة قريش بهذا الامتياز ؟

---

(١٢) لسان العرب (بيد) .

ثم كيف يكون القرآن قد انزل بلغة قريش والقراءات دليل واضح على أن في القرآن من « اللغات » قدراً كبيراً بحيث صار موضوع دراسات ومصنّفات كُتبت فيه ؟ ثم كيف يتاح للدارس ان يفهم ما روي عن ابن عباس انه قال : « انزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن وهم الذين يقال لهم عليا هوازن وهم خمس قبائل أو أربع ، منها سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف »[١٣] .

ولا أريد ان اتخذ من هذا دليلاً على عدم حضور لغة قريش وحدها في نص القرآن ، ولكني أقول ان لغة قريش كغيرها من اللغات كانت شيئاً مما قرأ به أهل القراءات في عصر القرآن وبعده .

ومن غير شك ان القراءات المشهورة السبع او العشر منها او الشاذة مادة مهمة تاريخية في الكشف عن شذرات مفيدة في تاريخ اللهجات وتاريخ العربية بوجه عام .

وما أرى ان يكون الشعر القديم مصدراً مفيداً في الموضوع . ولا تقدّم قصائد الجاهليين والاسلاميين فوائد يتضح منها لغة الشاعر الخاصة او ما نسميه لهجته ولهجة قبيلته التي ينتسب اليها . كأن هذا الشعر الجاهلي ومثله الاسلامي قد صيغ بلغة واحدة هي اللغة العامة المشتركة .

ولعل هذه المواد الادبية تقدم الدليل على وجود هذا النوع من اللغة الموحدة في تلك العصور المتقدمة . وقد يجوز ان يكون هذا وثيقة يعتمد عليها في موضوع الانتحال والكذب والافتعال الذي عرض له الشعر الجاهلي بصفة خاصة ، فقد يخطر في ذهن الدارس موضوع غيبة لهجات القبائل أو اللغات الخاصة في هذا الحشد من الوثائق التي تؤلف مجمـوع ما اثر عن العرب الاقدمين من أدب .

ان ما نعرفه عن موضوع « اللهجات » القديمة كما أشرت ليس شيئاً مفيداً كل الفائدة ذلك أنه شذرات من موضوعات لغوية كبيرة . هـذه

---

(١٣) الصاحبي ص ٢٨ والسيوطي ص ١٢٨ .

الشذرات تتناول مواد صوتية تتعلق باخراج طائفة من الاصوات تظهر اختلاف القبائل كما تتناول مواد صرفية تتصل بطائفة من الابنية كأن تكون الكلمة بكسر اولها او ضمها وكأن يكون الفعل بضم العين أو فتحه أو ان الصيغة بناء مفعول فهي مديون عند هؤلاء ومدين عند غيرهم .

ومن غير شك انها تتناول مسائل نحوية كمسألة « ما » وهي تعمل عمل « ليس » عند أهل الحجاز وهي في الوقت نفسه نافية عند بني تميم .

ومن هنا كانت كتب الأدب القديم في الشعر وغيره كالامثال مصدراً مفيداً في استقراء هذه « الشذرات » . وليس من شك ايضا ان كتب النحو من المصادر المفيدة في استقراء الابنية المختلفة وفي اختلافهم في مسائل النحو .

على أني أرى ان طائفة من هذه الشذرات مما جاء مقيداً بأبيات لا يتجاوزها الدارسون لا يمكن ان تكون وثائق مهمة في الموضوع . ولا أريد ان استبعد « الضرورة » التي عرضت للشاعر القديم او الناظم الذي نحل الشاعر القديم بيته ، وأثر تلك الضرورة في ادعاء اللغة أو اللهجة .

لقد اثبت ابن جني في « الخصائص » ان « الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً »[١٤] مستدلاً بقول الشاعر :

فظلت لدى البيت العتيق أخيلهو
ومطواي مشتاقان لَهْ أرقان

واللغتان هما اثبات الواو في « أخيلهو » وتسكين الهاء في « لهْ » لان أبا الحسن زعم انها لغة لأزد السراة ، واذا كان كذلك فهاتان لغتان وليس اسكان في « له » عن حذف لحق بالصنعة لكن ذلك لغة »[١٥] .

وما أظن ان الموضوع الحقيقي يخفى على الدارس من أن هذا ونظائره شيء مصطنع وان النظم الذي اقتضته الضرورة او الصنعة كما سماه ابن جني هو الذي حفزهم الى إثبات هذه اللهجة او اللغة « المزعومة » .

---

(١٤) الخصائص ١/٣٧٠ .
(١٥) المصدر نفسه .

الفصل الثاني

اللغة بين البداوة والحضارة

العربية لغة سامية موطنها الاول بلاد العرب أو شبه جزيرة العرب كما هو مصطلح عليه في عصرنا هذا . ومن المعلوم ان هذه البيئة حافلة بمظاهر البداوة فهي أرض فسيحة تخترقها بيد وفلوات تضطرب فيها قبائل تتخذ مساكنها هنا وهناك .

ان هذه البيئة قد فرضت على ساكنيها نمطاً من الحياة ، فهم ابداً في تنقل ابتغاء ان يجدوا ما يعينهم على العيش والبقاء . ان هذا النمط من الحياة قد أدى الى ان يسلك العربي القديم سلوكاً خاصاً له مفاهيمه الخلقية المعروفة .

ان البيئة القديمة بما حفلت به من مادة الطبيعة نبتها وشجرها وجدبها ورمالها وحيوانها واناسيّها لها مكان اي مكان في ادبنا القديم .

ولا أرى ان بي حاجة الى أن أسرد نماذج من شعرنا القديم جاهليه واسلاميه لأشير الى القدر الكبير الذي تشغله مواد البداوة فيه ذلك ان الدارس لاي قصيدة جاهلية واجد فيها ذكر الطلول وما يقتضيه هذا الموضوع من سرد مواد كالدمن والنؤي والاحجار وبعر الآرام .

واذا أجلت طرفك في لامية الشنفرى مثلاً وجدت البيئة القديمة الضنينة بمظاهر الحياة يضطرب فيها الذئب وسائر الوحش .

ولا أريد أن أقصر هذه الحياة البدوية بالوانها المختلفة على سائر ما اشتملت عليه بيئة بلاد العرب القديمة وأوحي الى القارىء ان أدبنا القديم بدوي بمادته وطبيعته ، وذلك لان هذه الرقعة الفسيحة التي عمرت

بصحراواتها وفلواتها اشتملت على مواطن حضرية فكانت مجتمعات حضرية هنا وهناكَ • وهذه وان كانت ليست شيئاً كبيراً بالنسبة الى سعة البوادى الفسيحة الا أنها أبقت آثارها في اللغة والأدب وساعنى بعرض هذه المادة الحضرية التي حفلت العربية القديمة في آثارها الأدبية وأهمها الشعر القديم •

أقول : لابد من الاشارة الى ما يتصل بالزرع من العناية المقصودة لأخلص الى مكان اللغة في هذا اللون الحضاري • لعله من الثابت أنه لم يؤثر عن الجاهليين شيء كثير مما يتصل بالفلاحة والزرع والاهتمام بالأرض على انها مستقر وقرىً تزرع فيتخذ من ذلك مادة حضارة واستقرار • ولم يشذ عن هذا النمط من الحياة الجاهلية القديمة الا ما عرف عن اطراف بلاد العرب كما كان في بلاد اليمن في الجنوب التي كان فيها للزراعة مكان أي مكان ، وكما كان في المدينة والطائف من عناية بصنوف من الشجر المثمر والنخيل ، ومثله ما كان في هجر واطراف عمان •

غير اننا لا نعرف اهتماماً بالارض وزراعتها الا في العصر الاسلامي فقد عرفنا في الأثر ان الرسول قد اهتم بالارض ووزعها بين طائفة من المسلمين فأقطع علي بن ابي طالب أرضين هنا وهناك كما أقطع الزبير وابا بكر وعبدالرحمن بن عوف وأبا دجانة سماك بن خرشة الساعدي • وخلف بعد الرسول الراشدون فساروا سيرته بالعناية بالأرض ولا سيما في اقاليم الاطراف المفتوحة • ومثل ذلك كان في خلافة بني أمية •

ولابد ان نجد ان العربية قد وفت بهذه الحاجات الجديدة مما تقتضيه الزراعة من تهيئة الارض وسقيها وما كان يستخدم في السقي من أدوات وآلات • ولابد ان نستقري فيها مادة تتصل بمصادر المياه كالآبار والعيون والغدران والمسايل • ان مجموع هذه المواد تؤلف معجماً وافر المواد يتصل بالزرع وحاجاته وأدواته • وقد فطن الى هذا الباب اللغويون الأقدمون فصنفوا رسائلهم في طائفة من موضوعات هذا الباب الكبير فكانت كتب للنبات وكتب للشجر وكتب للكرم وكتب للنخل وكتب أخرى تتصل بالزرع والارض وما يلزمهما من مواد •

وأنت تستطيع ان تجمع شيئاً مما يتصل بأدوات السقي وادوات الزرع من كتب اللغة العامة[1] . ومن غير شك ان اللون البدوي كان يشغل من الرقعة العربية ومن طبقات المجتمع القديم حيزاً كبيراً ، وان البداوة ابقت ميسمها وطابعها في حياة الجاهليين وعاداتهم واخلاقهم وأدبهم وسائر اوجه النشاط الانساني القديم . ولعل شيئاً من هذا عرض للاسلاميين فلم ينج نفر منهم من هذه الآثار البدوية . وهؤلاء قد ارتضوا البداوة اسلوباً وحياة ، ومن ثم فقد تنكروا لمظاهر الحياة الحضرية وما يتصل بها من الزراعة والعناية بالأرض فذموا هؤلاء الذين لزموا الأرض وعنوا بزرعها .

غير اننا لا نعدم ان نجد طائفة أخرى رضيت عيش الحضر فاهتمت بالزراعة اهتماماً نلمحه في أدبهم . واذا كان هناك اهتمام بالزراعة فلابد ان يكون اهتمام آخر بنواحي الحياة الحضرية الأخرى كالاهتمام بالحرف التي نظر فيها أهل البداوة لوناً من الوان الذل والجبن والاستكانة .

وكأنّ أهل الحواضر قد استساغوا نمط العيش في الحاضرة ذلك اننا نجد أمية بن ابي الصلت من الجاهليين قد عاش في الطائف الحاضرة التي عرفت الزرع والخضرة والبساتين وهو يشير الى ذلك في قوله :

فأنبتنا خضارم ناضرات

يكون نتاجها عنباً وتينا[2]

وهذا الأعشى قد أشار الى « أثافت » وهي موضع ، وأعنابها المشهورة فيقول :

أحب أثافِتَ وقت القطاف

ووقت عصارة أعنابها[3]

---

(1) انظر « المخصص » لابن سيده في ابواب الارض والزرع وما يتصل بهذا . ومثل ذلك كتاب التلخيص ٢/٤٤٢ ، ٤٧٢ .

(2) ديوان امية بن ابي الصلت ص ٢٩٨

(3) ديوان الاعشى (ط محمد حسين) ص ١٧٣ .

وهذا لبيد يشير الى الكرم بين النخيل فيقول :

نخـــل كوارع في خليــج مُحَلَّم

حَمَلت فمنهــا مُوقَــــر" مكموم

سُحْق" يمتّعها الصفا وسَـــريّه

عُــم" نواعِـــم بينهن" كروم[4]

اما ما يتصل بالفنون كالغناء وآلاته فهو شيء كثير ، ومثله ما يتصــل بالصناعات •

ان الاشارات الى القماش من الصوف والكتان والحرير مما نقرؤه في كثير من النصوص الجاهلية •

وجملة هذه الاشارات تشير الى ان اللغة القديمة كما حفلت بمظاهر البداوة الجافية لم تبخل بشيء مما يتصل بالانماط الحضارية •

ثم جاءت الحقبة الاسلامية فتهيأ للغة ان تكون لغة الحضارة بل لغة العلم • ان العلم الاسلامي المتمثل بالكتاب والسنة وما تفرّع عنهما من علوم وفنون والوان المعرفة الاخرى خير شاهد على ان العربية الاسلامية مظهر أخاذ يبدي قدرة هذه اللغة على التطور السريع •

وهكذا كان لها استمرار في هذا السبيل طوال عصر بني أمية • ثم اقبلت حقبة جديدة هي عصر بني العباس فكانت تجربة عصيبة خرجت منها العربية وهي تحمل طابعاً جديداً وسمت به هي انها لغة العالم المتحضر •

لقد ارتضاها غير العرب من المســلمين وغيرهم فكتبوا بها واعربوا وجعلوها لغتهم المفضلة •

غير ان هذا التطور الحضاري السريع لابد ان يحدث فيها ما يحمـل عليها الضيم كما قالوا • وهكذا كانت لغة مولدة بل قل لغة هذه المجتمعات الحضرية في الحواضر والمدن والقرى كما كانت لغة الامصار • ومن الطبيعي ان يعرض لهذه اللغة من الخروج على السنن القديم شيء كثير او قليل •

وسأعرض لشي مما دُعِي « لحناً » لأتبين حدوده ودلالته •

---

(٤) ديوان لبيد ص ٣٥ •

الفصل الثالث

« اللحن » ودلالاته

لا أريد ان أعرض لمادة « لحن » فقد كفانا العالم الالماني « يوهان فك » في كتابه « العربية »[1] مؤونة ذلك ، ولكني أقول موجزاً : ان « اللحن » أخذ معنى الخطأ بعد ان كان له معنى اللغة الخاصة او قل الطريقة الغريبة أو غير المألوفة في اخراج الكلمة والاعراب عنها وكذلك في صوغ الجمل .

جاء في « النهاية »[2] لابن الاثير : أبَيّ أقرؤنا وانا نرغب عن كثير من « لحنه » . ولقد أرادوا بـ « اللحن » ما يشبه التورية بطريقة ما ، عن المعنى المراد . وعلى هذا فسّر بيت القتّال الكلابيّ :

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا ووَحَيتُ وحياً ليس بالمرتاب[3]

ولعل من هذا ما أثر في الخبر في غزوة الخندق ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ارسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وغيرهما الى بني قريظة ليتبينوا ما اذا كانت قريظة تريد ان تنكث عهدها ، وقال لهم : « فان كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه »[4] فلما رجعوا ذكروا له كلمتين هما « عضل والقارة » وهما قبيلتان كان الرسول قد عرفهما من قبل ، وبذلك علم ان قريظة نكثت عهدها .

---

(١) العربية ، مادة لحن ومشتقاتها ص ٢٣٥ .

(٢) النهاية ٤/٥٧ .

(٣) أمالي القالي ١/٤ والبكري ١/١٣ .

(٤) الروض الانف ٢/١٩٠ والواقدي ص ١٩٧ .

وأظن ان الذي قرّب بل ساعد على فهم معنى الخطـــأ اللغوي والنحوي في كلمة « اللحن » هو تعليق الجاحظ في « البيان » على بيت مالك بن أسماء :

منطق صائب وتلحن احياناً وخير الحديث ما كان لحنا[٥] .

وقد أشار علي بن يحيى المنجم الى وهم الجاحظ في فهمه للبيت ونبهه على وهمه ذاك[٦] .

غير ان ابا حيان التوحيدي قد شارك الجاحظ في فهمه لمسألة « اللحن » وافادته الخطأ وان كان من معانيه الرمز والاشارة[٧] .

ومهما قيل في هذا فقد خلصت كلمة « اللحن » الى الخطأ في اللغة والنحو . وقد ظهر « اللحن » بمعنى الخطأ في حقبة متقدمة من تاريـــخ العربية . واذا قبلنا ما قيل في سبب وضع « النحو » على اختلاف الأخبار ونسبتها أدركنا ان العربية قد درجت في سبيل التطور السريع الذي جنح بها شيئاً فشيئاً الى ان تكون لغة فصيحة وأخرى غير فصيحة أو مولدة أو جديدة .

غير أن علماء اللغة توخّوا اللسان الفصيح وبسبب من هذا آثروا اللسان الحجازي[٨] وانه « الأوّل والأقدم » . لقد اشار سيبويه الى « العرب الذين ترضى عربيتهم »[٩] و « العرب الموثوق بعربيتهم »[١٠] و « عربي

---

(٥) البيان والتبيين ١٤٧/١ .
(٦) الاغاني ٤٣/١٦ (ط. التقدم) .
(٧) ياقوت ، ارشاد الاريب ٦٦/٦ .
(٨) الكتاب ٤١/٢ ، ٤٢٤/٢ .
(٩) المصدر السابق ٤٢٣/٢ وانظر ٩٣/١ .
(١٠) المصدر السابق ١٥٣/١ .

اثق بعربيته »[11] .

وعلى هذا عمدوا الى لغة البدو الاعراب وعدّوها اللغة الفصيحة التي تعتمد ويقاس عليها . ولقد صار فصحاء الاعراب الدليل الحكم بين المتكلمين من ابناء المدن والقرى والامصار . ومسألة الخلاف بين سيبويه والكسائي في قولهم : « كنت أظن العقرب اشد لسعة من الزنبور » مشهورة معروفة .

ان تاريخ العربية منذ بداية عصر بني العباس ذو قيمة تاريخية فقد ظهرت عربية المدن المولدة الجديدة ، وصار السبيل الى اللغة الفصيحة لا يوصل إليه الا بالتعلم والقصد .

وحسبك ان تعلم ان جمهرة علماء العربية في هذا العصر قد أخذوا الكثير من معرفتهم عن الأعراب فقد قصدوا إليهم في بواديهم . وقد اخذوا عن الأعراب الذين يقصدون الحواضر بسبب العيش .

وقد أشار ابن النديم في « الفهرست »[12] الى جملة من هؤلاء الاعراب فقد أخذ ابن المقفع مثلا الفصاحة عن أبي الجاموس الذي كان في خدمة سليمان ابن علي في البصرة .

وطبيعي ان تنشأ عربية جديدة وهو أمر تقتضيه طبيعة الحضارة وانماطها في العيش التي تبتعد كل الابتعاد عن البداوة .

غير ان علماء العربية ظلوا أمناء على الحفاظ على العربية البدوية سعياً منهم الى ان تكون العربية الحضرية سائرة في حدود الفصاحة القديمة .

لقد نال يونس بن حبيب من حمّاد الراوية فوصفه فقال : « كان يكذب ويلحن ويكسر »[13] .

(١١ ، ١٢) الفهرست ص ٦٧ .

(١٣) طبقات ابن سلام ٤٩/١ .

وقد رُوي ان حماداً قال : « يا أخي اني رجل اكلّم العامة فاتكلمّ بكلامها »[١٤] وهذا دليل على قدم « كلام العامة » وأنها لغة الى جانب العربية الفصحى او الفصيحة . ومن يدري فلعل هذا اللون من الكلام الدارج او قل كلام العامة قد سبق عصر الحضارة فكان في عصر بني أمية بل تجاوزها الى صدر الاسلام وما قبله ! اقول : لعل شيئاً من هذا كان موجوداً ، وإلا اين ذهبت لغات القبائل في الجاهلية ؟ ان مواد الشعر لا تعين ولا تكشف عن هذه الحقائق التاريخية . وكأن هذه القصائد قد صيغت بلغة واحدة فلست تعرف فيها من خصائص اللغات لدى القبائل الا القليل القليل .

(١٤) الاغاني (ط دار الكتب) ٦ / ٧١ .

الفصل الرابع

بحث في العربية التاريخية

لابد للباحث في العربية التاريخية واصواتها القديمة من فحص مواده التي يقوم عليها بحثه . وهذه المواد التي يصح ان تكون الاصول للعربية ، هي كلام الله في قرآنه . ولا أريد ان أدخل في مشكلة نصوص العربية القديمة في الاحقاب التي سبقت الاسلام . ان لغة الشعر الجاهلي لا يمكن ان تعطي الباحث الوثائق التاريخية التي يهتدى بها الى العربية القديمة في الوانها ولغاتها المختلفة . ولا أريد ان أدخل في مسألة انتحال هذا الشعر وما عرض له بسبب الرواة خلال القرون التي اعقبت ظهور الدعوة الاسلامية . ولا اريد ان اعرض كذلك لهذه اللغة الفصيحة المهذبة التي تشعر الباحث ان اصحابها من طينة واحدة ومن بيئة واحدة .

وبسبب من هذه الحيرة في بيئة قديمة لا يهتدى السالك فيها الا الى ظلمة يعسر الخروج منها ، لابد من اتخاذ العربية في كتاب الله العزيز المادة التي انظر منها الى تاريخ هذه اللغة وكيف انتهت الى ما نسميه العربية الفصيحة .

ما زال الموضوع مفتقرا الى شيء من بحث جديد بالرغم من كثرة الدراسات التي تناولت القرآن . لقد عني الاقدمون بكتاب الله حتى آلت عنايتهم الى ما سمي بـ (علوم القرآن) ثم عني الاعاجم من المستشرقين بالموضوع نفسه عناية فائقة ونظروا الى القرآن نظرة تبتعد عن نظرات المسلمين، وانتهت جهودهم الى نتائج ترضي العلم حينا وتبتعد عنه حينا آخر . ولا يهمني هذا الامر فقد تصدّى للحملات التي شنت على الاسلام عامة كثير من

المسلمين وغيرهم . ولكن فوائد كثيرة حصلت ضمن مباحث هؤلاء وهؤلاء. وهي من غير شك ما زالت مفتقرة الى نتائج اخرى .

انمشكلة جمع آي القرآن فيسوره المعروفة مشكلة كبيرة ،فقد تم الجمع الاول في خلافة ابي بكر ، وقام به زيد بن ثابت بمشورة عمر بن الخطاب الذي احتج بأن جمعا من القراء قد قتلوا في يوم اليمامة وخشي ان يذهب عدد « ان استحرّ القتل بالقراء في المواطن . ثم تهيأ لكتاب الله الكريم ان يجمع في خلافة عثمان ، وقد ندب عثمان لهذه المهمة ثلاثة من اكابر القراء من المكيين وهم عبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث ابن هشام وواحدا من المدنيين وهو زيد بن ثابت . وقال عثمان لرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانه انما نزل بلسانهم »[١] .

والذي نعرفه ان في القرآن لغات عدة غير لسان قريش ولا ارى فيّ حاجة الى التدليل على هذا فكتب القرآن وتفسيره تؤيد هذا .

ولقد استبعد في جمع القرآن مصحف عبدالله بن مسعود وهو اشهر القراء وقد سمع من رسول الله وقد جاء في الاخبار : ان الرسول كان يطريه ويوقره ويقربه منه ويؤيده فيما يأخذ عنه[٢] . وقد تهيأ لهذه الجماعة ان جمعت المصحف العثماني الامام . وقد اتى هذا العمل العظيم على الاضطراب الذى اوشك ان يختلف فيه المسلمون « ويكفر بعضهم بعضا »[٣] .

ثم كانت القراءات وكان حديث الرسول المشهور في الاحرف السبعة

---

(١) انظر صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، الباب الثاني والباب الثالث ، الاتقان ١/١٠٢ المصاحف لابن ابي داود ص ١٨ ، تفسير الطبري ١/٢٠ — ٢١ .

(٢) انظر غاية النهاية ١/٤٥٨ (ترجمة عبدالله بن مسعود) .

(٣) انظر تفسير الطبري ١/٢١ وانظر الاتقان ١/١٠٢ — ١٠٣ والمقنع للداني ص ٨ .

« ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر منه » • وكثر الكلام في الاحرف السبعة وما تؤدى اليه[٤] •

ولم تكن عملية الجمع التي أدت الى المصحف العثماني بمبعدة للمصاحف الاخرى فقد ظل مصحف عبدالله بن مسعود ومصحف أبي بن كعب • وقد ابى عبدالله بن مسعود ان يحرق مصحفه اول الامر وحمل على مصحف عثمان ، وعرّض بزيد بن ثابت الذي كان في صلب أبيه حين اعتنق هو الاسلام ، وان زيدا كان يلعب مع الصبية حين كان هو يحفظ بضعا وسبعين سورة اخذها كلها من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ومن الطبيعي ان يكون في مصحف ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب ما يبعد عما في مصحف عثمان • غير ان العملية تمت واحرق ابن مسعود مصحفه ، وكأن مصحف عثمان كتبت له السيرورة • غير ان شيئا لم تقض عليه عملية المصحف العثماني وهو القراءات الكثيرة وسنأتي على هذا الموضوع •

يكرر المعنيون بالدراسات القرآنية ان القرآن جاء بلسان قريش وهذه مقولة لا نجد لها مكانا واضحا يحققه البحث العلمي • لقد ذهب نفر من اللغويين القدامي الى ان المراد بالاحرف السبعة لغات معينة هي لغات قريش ، وهذيل وتميم ، وازد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر[٥] وذهب آخرون الى ان المراد بها لغات قبائل مضر خاصة وهي : هذيل ، وكنانة ، وقيس وضبة ، وتيم الرباب ، وأسد بن خزيمة ، وقريش[٦] والذي نعرفه ان في القرآن من لغات القبائل الاخرى مادة كبيرة فقد احصى ابو بكر الواسطي

---

(٤) كتاب المصاحف لابن ابي داود ص ١٢ •

(٥) والى هذا ذهب ابو عبيد القاسم بن سلام واحمد بن يحيى ثعلب انظر البرهان للزركشي ١/٢١٧ •

(٦) انظر الاتقان ١/٨١ البرهان ١/٢١٩ •

منها اربعين لغة في كتابه « الارشـــاد في القراءات العشر »[٧] وضرب أمثلة كثيرة ونماذج مفيدة عرض لها السيوطي في « الاتقان »[٨] .

ويبدو لنا من هذه النصوص ان مسألة «لسان قريش» ينبغي الا نأخذها مأخذا ثابتا ، فقد جاء في «البرهان» على لسان ابى عمر بن عبدالبر الذى قال: « وانكر آخرون كون كل لغات مضر في القرآن ، لان فيها شواذ لا يقرأ بها مثل كشكشه قيس وعنعنـــة تميم ..... وهـــذه لغات يرغب بالقرآن عنها »[٩] .

وقد استبعد ابن عبدالبر ان يكون معنى « سبعة احرف » سبع لغات فقال (لانه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض اول الامر ، لان ذلك من لغته التي طبع عليها . وايضا فان عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي ، وقد اختلفت قراءتهما ومحال ان ينكر عليه عمر لغته)[١٠] .

وقد عنى اللغويون الاوائل عناية فائقة بمادة « اللغات » عامة وبـ (لغات القرآن خاصة « والذي نعرفه ان ليونس بن حبيب (المتوفى سنة ١٥٢ أو ١٨٢ أو ١٨٣هـ) « كتاب اللغات » وللفراء (المتوفى سنة ٢٠٧هـ) وابي عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى سنة ٢١٠) وابي زيد الانصاري (المتوفى سنة ٢١٤) كتبا في « اللغات » . ولابي زيد ايضا كتاب في « لغات القرآن » وقد نسب الى الاصمعي (المتوفى سنة ٢١٦هـ) « كتاب اللغات ومثل ذلك قد نسب الى ابن دريد (المتوفى سنة ٢٢٣هـ) . اما في « لغات القرآن » فمنه كتاب « ما ورد في القرآن من لغات القبائل » لأبي عبيد القاسم بن سـلامْ الهرويّ (المتوفى سنة ٢٢٣هـ) و « كتاب اللغات في القرآن الكريم » رواية اسماعيل بن عمرو بن حسنون المقرىء (المتوفى سنة ٤٢٩هـ) عن ابن عباس ، و « كتاب اللغات » لابن بري (المتوفى سنة ٥٨٢هـ) .

---

(٧) انظر الاتقان ٢٣٠/١ .

(٨) المصدر السابق ٢٢٧/١ (النوع السابع والثلاثون فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز) .

(٩) البرهان ٢١٩/١ .

(١٠) المصدر السابق .

وقد وصل الينا من هذه المصنفات رسالتان احداهما رسالة ابى عبيد القاسم بن سلام « فيما ورد في القرآن من لغات القبائل » وقد طبعت على هامش كتاب التيسير في علم التفسير ، للدريني سنة ١٣١٠هـ ، وأعيد طبعها على هامش تفسير الجلالين سنة ١٣٥٦ • والرسالة الثانية هي « كتاب اللغات في القرآن » رواية اسماعيل بن عمرو بن حسنون المقرىء عن ابن عباس ، وقد طبعت بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد مرتين الاولى عام ١٩٤٦م والثانية عام ١٩٧٢م •

ولقد حفلت معجمات العربية بمادة اللغات ، وربما كانت « الجمهرة » من أهم المصادر فيما ينسب في العربية الى لغات اليمن •

واهتمام اللغويين باللغات التي وردت في المصحف والاتساع في القراءات يشعرنا ان مسألة مجيء النص القرآني بلسان قريش شيء لا نستطيع ان نطمئن اليه كثيرا • وقد اهتم بجمع القرآن ابو بكر وعمر وعثمان وايدهم علي بن ابي طالب ، فهو القائل « رحم الله ابا بكر ، هو أول من جمع كتاب الله بين اللوحين »[11] • وقد جاء في « الاتقان » ان سويد بن غفلة قال : قال علي : لا تقولوا في عثمان الا خيراً فوالله ما فعل في المصاحف الا عن ملأٍ منّا[12] • وقال ايضا : « لو وليت ما ولى عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل »[13] وكأن هؤلاء الائمة الكبار قد احسوا ان المسلمين سيختلفون اختلافا كبيرا في كتاب الله يوشك ان يؤدى الى شر عظيم فعمدوا الى جمعه وحفظه • وقد دأبوا على مقولتهم المشهورة ان كتاب الله انزل بلسان قريش وذلك ليكون المسلمون اجماعا عليه خشية ان تتفرق كلمتهم فينتهوا الى شيع واحزاب •

---

(١١) البرهان ٢٣٩/١ المصاحف لابن ابي داود ص ٥ .

(١٢) الاتقان ١٠٣/١ .

(١٣) البرهان ٢٤٠/١ .

ان عمر كان ينظر الى هذا الهدف حين « سمع رجلا يقرأ : « عتىّ حين » في قوله تعالى : « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين »[١٤] فقال : من اقرأك ؟ قال ابن مسعود • فكتب اليه : ان الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش ، فاقرىء الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل • والسلام »[١٥] ويبدو ان حرص عمر بن الخطاب على كلام الله وحرص سائر الخلفاء ابى بكر وعثمان وعلي على الموضوع نفسه جعلهم يتشبثون بهذه المقولة ليبعدوا الالسنة المختلفة المتعددة عن آي القرآن والا تجد طرائق في التعبير سبيلها الى كلام الله حفاظا على وحدة المسلمين وجمعاً لشملهم •

ولقد ظل هذا ديدن الحاكمين واولى الامر في المجتمع الاسلامي دهرا طويلا • ومن اجل ذلك نرى ابن شنبوذ من اصحاب القراءات واشتهر ببغداد في آنه « يقرىء الناس ويقرأ في المحراب بحروف يخالف فيها المصحف ، مما يروى عن عبدالله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما مما كان يقرأ به قبل جمع المصحف الذى جمعه عثمان بن عفان • ويتبع (الشواذ) فيقرأ بها ويجادل حتى عظم أمره وفحش وانكره الناس • فوجه السلطان فقبض عليه يوم السبت لست خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، وحمل الى دار الوزير محمد بن علي – يعنى ابن مقلة – واحضر القضاة والفقهاء والقراء وناظره – يعنى الوزير – بحضرتهم ، فأقام على ما ذكر عنه ونصره واستنزله الوزير عن ذلك فأبى ان ينزل عنه •••••

فضرب بالدرة على قفاه ضربا شديدا ••••[١٦] مع انه من الثقات في القراءات ومن المعلوم ان ابن شنبوذ هذا كان لا يرتضي صنيع ابى بكر بن مجاهد من شيوخ الاقراء في عصره ، فلقد صنف هذا القراءات في سبع واشتهرت هذه القراءات السبع وهذا يعنى ان طرائق القراءات المختلفة بقيت

---

(١٤) سورة يوسف الآية ٣٥ .

(١٥) الزمخشري الكشاف ٤٦٨/٢ .

(١٦) الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٨٠/١ وانظر طبقات القراء لابن الجزري ٥٢/٢ .

معرفة يتداولها المقرئون بحيث اضطر ابن مجاهد الى صنيعه هذا فأقره اولو الأمر وشاعت السبع[١٧] • ويبدو ان طرائق القراءة قد تجاوزت هذه السبع المشهورة فكتبوا المصنفات في العشر منها[١٨] ثم كتبوا في الاثنتي عشرة •

ولم يقف الامر عند هذا الحد فقد نشط اللغويون القدماء فكتبوا المصنفات في الشواذ من القراءات كما فعل ابن خالويه[١٩] وابن جني[٢٠] فقد كان للاول كتاب « مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع » وللثاني كتاب « المحتسب » في القراءات الشواذ •

لقد اهتم اللغويون بهذه القراءات التي اطلق عليها ، الشواذ ، اهتماما كبيرا • وكأنها سميت الشواذ لابتعادها عن القراءات المشهورة السبع او العشر • ولكنها من غير شك قراءات صحيحة عني بهاجماعة من العلماء الثقات • وهذا يعنى ان اللغويين لم يأبهوا بما يحرص عليه اولو الامر من وجوب التمسك بعدد قليل من القراءات •

يقول ابن جني في « المحتسب » : « القراءات على ضربين » ضربا اجتمع عليه اكثر قراء الامصار ، وهو ما أودعه ابو بكر احمد بن موسى بن مجاهد[٢١] رحمه الله كتابه الموسوم بقراءات السبعة ، وهو بشهرته غان عن تحديده ، وضربا تعدى ذلك ، فسماه اهل زماننا شاذا ، أى خارجا عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها ، الا ان خروجه عنها نازع بالثقة الى قرائه

---

(١٧) التيسير في القراءات السبع للداني (استنبول سلسلة نشريات المكتبة الاسلامية) •

(١٨) النشر في القراءات لابن الجزري المكتبة التجارية في القاهرة •

(١٩) مختصر البديع لابن خالويه طبع القاهرة (المطبعة الرحمانية سنة ١٩٣٤) •

(٢٠) المحتسب لابن جني (من مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في القاهرة) •

(٢١) هو احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي المعروف بابن مجاهد من ائمة القراءات وهو الذي سبعها توفى سنة ٣٢٤هـ انظر طبقات ابن الجزري ١/١٣٩ •

محفوف بالروايات من آمامه وورائه ، ولعله ، أو كثيرا منه مساو في الفصاحة للمجتَمع عليه . نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته وتعنف بغيره فصاحته وتمطوه قوى أسبابه ، وترسو به قدم اعرابه ، ولذلك قرأ بكثير منه من جانب ابن مجاهد عنان القول فيه،وماكنه عليه ، وراده اليه،كأبي الحسن محمد بن احمد بن شنبوذ ، وابى بكر محمد بن الحسن بن مقسم[٢٢] وغيرهما ممن ادى الى رواية استقواها ، وأنحى على صناعة من الاعراب رضيها واستعلاها . ولسنا نقول ذلك فسحا بخلاف القراء المجتمع في أهل الامصار على قراءاتهم ، أو تسويغا للعدول عما اقرته الثقات عنهم ، لكن غرضنا منه أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذا ، وانه ضارب في صحة الرواية بجرانه ، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه لئلا يرى مُرىً[٢٣] ان العدول عنه انما هو غضٌّ منه او تهمة له .

ومعاذ الله : وكيف هذا والرواية تنميه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه»[٢٤] وهذا حكم عام في المعانى والالفاظ ، واخذه هو الاخذ به ، فكيف يسوغ مع ذلك ان نرفضه ونجتنبه ، فان قصر شيء منه عن بلوغه الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلن يقصر عن وجه من الاعراب داع الى الفسحة والاسهاب ، الا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه ، وتتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية ، فاننا نعتقد قوة هذا المسمى شاذا ، وانه مما أمر الله تعالى بتقبله واراد منا العمل بموجبه ، وانه حبيب اليه ، ومرضيٌّ من القول لديه . نعم واكثر ما فيه ان يكون غيره من المجتمع عندهم عليه أقوى منه اعرابا وانهض قياسا ، اذ هما جميعا مرويان مسندان الى السلف (رضى الله عنهم) فان كان هذا قادحا فيه ، ومانعاً من الاخذ به فليكونن ما ضعف

---

(٢٢) ابو بكر محمد بن الحسن بن مقسم ، من ائمة القراء في بغداد ويذكر عنه انه كان يقول ان كل قراءة وافقت المصحف ووجها في العربية والقراءة بها جائزة وكانت وفاته سنة ٣٥٤هـ انظر طبقات ابن الجزري ١٢٣/٢ .

(٢٣) لئلا يرى مرى : لئلا يظن ظان .

(٢٤) سورة الحشر ٧ .

اعرابه مما قرأ به بعض السبعة به هذه حاله ، ونحن نعلم مع ذلك ضعف قراءة ابن كثير[٢٥] « ضئاء »[٢٦] بهمزتين مكتنفتي الالف ، وقراءة ابن عامر[٢٧] : « وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قتلُ اولادَهم شركائهم » وسنذكر هذا ونحوه في مواضعه متصلا بغيره ، وهو مع ذلك مأخوذ به »[٢٨] .

ويتبين مما ذكره ابو الفتح في فاتحة « المحتسب » ان ما يدعى من القراءات شاذا هو وجه قوى من القراءة . وهو جدير بالوقوف عنده والاخذ به على انه معبر عن طريقة في الاداء لجماعة من الناس . وان اصحاب هذه الشواذ من ثقات العلماء رواية ودراية .

وابن جني لغوي ضليع ، وهو بسبب من ذلك ينظر الى الدقائق اللغوية في القراءة ولا يتجنب الوقوف على كل وجه من وجوه هذه الالوان الشاذة لاشتمالها على حقائق لغوية تتصل بلغة الناس .

ومما يؤيد هذا الذى اذهب اليه انه عقد بابا في « الخصائص » عن « اختلاف اللغات وكلها حجة » تكلم فيه على اللغات والمفاضلة بينهما ، فذهب الى ان « اللغتين اذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين فليس لك ان ترد احدى اللغتين بصاحبتها ، لانها ليست احق بذلك من وسيلتها ، لكن غاية مالك في ذلك ان تتخير احداهما فتقويها على أختها ، وتعتقد ان اقوى القياسين اقبل لها واشد أنساً بها ، فأما رد احداهما بالاخرى

---

(٢٥) هو عبدالله بن كثير من اصل فارسي كان امام القراءة في مكة واحد السبعة توفي سنة ١٢٠هـ انظر طبقات ابن الجزري ٤٤٣/١ .

(٢٦) وردت هذه الكلمة في الآيات : ٥ من سورة يونس و ٤٨ من سورة الانبياء و ٧١ من سورة القصص وهذه القراءة هي رواية قنبل عن ابن كثير كما في اتحاف فضلاء البشر .

(٢٧) هو عبدالله بن عامر اليحصبي امام أهل الشام في القراءة واحد السبعة توفي سنة ١١٨هـ انظر طبقات ابن الجزري ٤٢٣/١ .

(٢٨) المحتسب ٣٢/١ — ٣٣ .

غلا . أو لا ترى قول النبي صلى الله عليه وسلم : نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف »[٢٩] .

وعرض ابن جني للقياس في اللغات الضعيفة ، أو القليلة الرواية ، فذهب الى انه يأخذ باوسع اللغتين رواية واقواهما قياسا ، واتخذ من العنعنة والكسكسة ، والتلتلة ، والكشكشة والتضجع ، ونحو ذلك امثلة على ذلك ولكنه استدرك فقال : « وكيف تصرفت الحال ، فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء ، وان كان غير ما جاء به خيرا منه »[٣٠] ولعل القراءات ولا سيما ما اطلق عليها شواذ من أوضح الامثلة التي يستدل بها على ان العربية لم تكتمل في لونها الفصيح الموروث الا بعد زمان طويل من ظهور الاسلام ، وبعد عمل جاد من اللغويين والنحاة يدفعهم الى ذلك حرص الحاكمين على الحفاظ على نمط عال من الفصاحة جمع من قبائل معينة ، فاستحسنت لغات تلك القبائل كما استبعدت لغات قبائل اخرى .

جاء في « المزهر » للسيوطي نقلا عن كتاب « الالفاظ والحروف للفارابي » : « والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم أخِذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد ، فان هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما اخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم »[٣١] .

ثم يبين القبائل التي استبعدها اللغويون العرب فيقول : « وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم ، فانه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسان واياد

---

(٢٩) الخصائص ١٠/٢ .
(٣٠) المصدر السابق ١٢/٢ .
(٣١) المزهر للسيوطي ٢١١/١ .

لمجاورتهم أهل الشام ، واكثر نصارى الشام يقرؤون بالعبرانية[٣٢] ولا من تغلب والنمر ، فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت ألسنتهم »[٣٣] .

غير ان اللغويين لم يطرحوا اللغات التي استبعدوا الاخذ عنها بل راحوا على العكس من ذلك يسجلون نماذج هذه اللغات وخصائصها وعيوبها وكتبوا فيها المصنفات ومن ذلك .

١ ـ كتاب لحن العوام المنسوب الى علي بن حمزة الكسائي (المتوفى ١٨٩هـ) وهي رسالة صغيرة نشرها عبدالعزيز الميمني سنة ١٣٨٧هـ .

٢ ـ لحن العامة لأبى زكريا الفراء (المتوفى ٢٠٧هـ) .

٣ ـ ما يلحن فيه العامة لابي عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى ٢١٠هـ) .

٤ ـ ما يلحن فيه العامة للأصمعي (المتوفى ٢١٦ هـ) .

٥ ـ ما خالفت فيه العامة لغات العرب لابي عبيدالقاسم بن سلام (المتوفى ٢٢٣هـ) .

٦ ـ ما يلحن فيه العامة لابى نصر أحمد بن حاتم (المتوفى ٢٣١هـ) .

٧ ـ اصلاح المنطق لابن السكيت (المتوفى ٢٤٤هـ) وقد نشره عبدالسلام محمد هارون .

---

(٣٢) هذا وهم ولعله من خطأ السيوطي لا الفارابي لان لغة نصارى الشام في العهود الاسلامية هي الارامية السريانية .

(٣٣) المزهر للسيوطي ٢١٢/١ .

٨ ـ الفصيح لابى العباس احمد بن يحيى ثعلب (المتوفى ٢٩١هـ) وقد نشره، ج بارث (Barth) في ليبزج سنة ١٨٧٦م ، ثم نشره محمد عبدالمنعم خفاجي بمصر ١٩٤٩م وقد حظي هذا الكتاب باهتمام نفر من اللغويين الاقدمين فشرحوه واستدركوا عليه كما عرضـوا لوهم ثعلب فيه .

٩ ـ لحن العوام لابى بكر الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩هـ ، حققه الدكتور رمضان عبدالتواب وصدر سنة ١٩٦٤ ، كما حققه الدكتور عبدالعزيز مطر بعنوان « لحن العامة » وصدر في الكويت /سنة ١٩٦٨م .

١٠ـ تثقيف اللسان وتنقيح الجنـان لابي حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي (المتوفى سنة ٥٠١هـ) حققه الدكتور عبدالعزيز مطر ونشر عام ١٩٦٦م .

١١ـ تقويم اللسان لعبدالرحمن بن الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ) وقد حققه الدكتور عبدالعزيز مطر وصدر عام ١٩٦٦م ولا ننسى ان معجمـات العربيةوكتب التفسير قد اشارت الى كثير من اللغات الخاصة ، والآن لابد أن نرجع الى نصوص العربية لنرى هـذه اللغـات المستبعدة « عن الفصيحة المشهورة واين وجدت ومن اولئك الذين باشروها في سلوكهم اللغوي ؟

من غير شك ان الشعر القديم بعيد كل البعد عن هذه الالوان اللغوية سواء في ذلك الشعر الجاهلي والشعر الاسلامي فلا يكاد الدارس يعثر فيه على نماذج لغوية خاصة . وهذه الظاهرة تحفزنا الى النظر في طريقة رواية الشعر وجمعه ومن قام بهذه المهمة العسيرة وللاجابة عن هذه التساؤلات نقول : ان اللغويين والنحاة الاوائل في القرن الثاني الهجرى وفي القرن الثالث اهتموا برواية الشعر وجمعه ، واتخذوا طرائق صارمة في نقد الشعر والعناية به . واجمعوا على موازين دقيقة في تخير الفصيح . واكبر الظن انهم اهملوا من هذه النصوص ما لم يتفق وما قرروه من ضوابط وقواعد . وبسبب من هذا

خلا ديوان الشعر العربي القــديم من نماذج اللغات التي اسـتبعدوها لبعدها عن حيز الفصاحة الذي رسموه ..

غير اننا نجد في مواد القراءات شيئا من عناصر هذه اللغات المستبعدة. ولعل السبب في ذلك ان جمهرة المعنيين بالقراءات لم يسـلكوا في صنف اللغويين النقاد . ومن أجل ذلك واجه النحاة اللغويون نماذج من الوان القراءة بحيرة انتهوا منها الى طريقتهم الخاصة فتأولوا ما لم ينسجم مـع القاعدة النحوية او القاعدة اللغوية . وربما تشدد نفر من النحاة فحمل وجهـا من وجوه القراءة على الخطأ كقراءة نافع في قوله تعالى : (وجعلنا لكم فيهـا معـائش)[٣٤] واكثر القراء على ترك الهمز في « معـايش » وجميـع النحويين البصريين يزعمون ان همزها خطأ[٣٥] وهذا يعنى انهم خطأوا نافعا، ونافع احد السبعة وقراءته عالية . ولعل النحاة لم يكثروا من الاسـتشهاد بالقرآن - وهم على خطأ كبير - بسبب من ان أصحاب القراءات لم يكونوا من المتضلعين من العربية . ومن المفيد ان نرجع الى الوان من القراءات الشاذة تتخير منها ما يتصل بمادة هذه اللغات التي تجافاها اللغويون فبقيت في هذه المظانّ لا يعرفها الا الدارسون الذين يتحرّون تاريخ هذه اللغة . وقد يعجب الدارس ايما عجب انه لا يرى هذه « الغرائب » اللغوية الا في هذه القراءات وفي شذرات لغوية اخرى .

وقد يعجب الدارس ان يرى ائمة الفصاحة يباشرون الوانا من النطق والتعبير تبدو غريبة في المتعارف الموروث.لقد جاء في شواذ سورة الفاتحةمن « مختصر » ابن خالويه : « ذكر الخليـل بن احمـد في العين « أن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضى الله عنه كان يقرأ : واياك نستعين « يشبع

---

(٣٤) سورة الاعراف ١٠ .

(٣٥) لسان العرب (عيش) .

الضمة في النون وكان عربيا قلبا اى محضا . قال ابن خالويه : وقد روى عن ورش أنه كان يقرؤها كذلك »[٣٦] .

وأريد ان اقف على تعليق الخليل بن أحمد على قراءة علي بن ابي طالب التي اشبع فيها نون « نستعين » فأقول : كأن الخليل اراد ان يقول ان ماعدّه شاذا من وجوه القراءة هو عربي فصيح جرى على لسان أفصح الناس بعد رسول الله وهو علي بن ابي طالب . وهنا تبطل حجة المتنقصين من القراءات الشاذة والزارين عليها في قولهم ان جل اصحاب القراءات هم من الاعاجم الذين يفتقرون الى السليقة العربية . ومن أجل ذلك عابوا على الحسن البصري نماذج من القراءات وحملت على الخطأ كقراءته « وما تنزلت به الشياطون »[٣٧] وقراءته : صادى بدلاً من (ص)[٣٨] ومن المعروف ان الحسن البصري لم يكن عربيا اصالة مع انه ثقف العربية وتضلع منها بحيث ان ابا عمرو بن العلاء ورؤبة بن العجاج قد شهدوا بفصاحته وانه يملك من التصرف بالعربية قدرا . لقد ذكر الجاحظ « وقد زعم رؤبة بن العجاج وابو عمرو بن العلاء انهما لم يريا قرويين افصح من الحسن والحجاج »[٣٩] وقرأ الحسن البصري ورؤبة ابن العجاج: الحمد لله بكسر الحمد وتوجيه القراءة انّ المجاورة سوغت هذا. وكما اتبعت كسرة الدال لكسرة اللام ، جرى اتباع آخر من نوع آخر فقد قرأ ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم الدال واللام وهو شيء من غرائب هذه القراءات الشاذة وقرأ ايوب السختياني : ولا الضألين بالهمز وهو من هذه الغرائب التي تجافتها العربية الفصيحة التي ورثناها عن قدامى اللغويين والنحاة.

---

(٣٦) مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ص ١ .

(٣٧) سورة الشعراء ٢١٠ .

(٣٨) البيان والتبيين ٤/٢ (ط مصر ١٣١١ – ١٣٣١) عن كتاب العربية ليوهان فك (ترجمة النجار) .

(٣٩) البيان والتبيين ٢١٩/٢ (تحقيق عبدالسلام محمد هارون) .

من شواذ سورة البقرة في كتاب

(مختصر) ابن خالويه

اجتزىء من هذه الشواذ بالقدر الذى يكشف عن الوان وغرائب لغوية مما يتصل باللغات الخاصة، ذلك ان ما اشتملت عليه هذه الشواذ أمور كثيرة، بعضها شيء يتصل بالنحو لا ينسجم والوجوه النحوية المشهورة فلا يتوصل اليه الا أن يتأول تأولا قريبا او بعيدا . وبعضها صرفي يبتعد عن الابنية المشهورة في العربية . وبعضها مسائل تتصل بـ (أصوات العربية) وفي هذه المسألة الاخيرة شيء خاص هو ان الانتقال من صوت الى صوت يسوغه مخرج الصوت وحيزه كالتحول من الحاء الى الهاء او من الهمزة الى العين او من الذال الى الدال . وقد يكون التحول بسبب لا يتصل بقرب المخرج وتشابه الصفة في الصوت وانما هو تشابه « الرسم » وسأولي هذه المسألة فضلا من عناية .

قال تعالى : « وبالآخرة هم يؤقنون » الآية ٤ .

بالهمزة وهي قراءة ابي حيوة النميري .

أقول ان همز الفعل « يوقنون » في الآية المذكورة يشعر ان ماضيه « آقن » وليس هذا صحيحا .

وقال تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة » الآية ٧ بكسر الغين من « غشاوة » كما هي في القراءات المشهورة العالية وبالرفع .

وقد وردت منصوبة في قراءة عاصم ، وهي بضم الغين مع الرفع في قراءة الحسن ، وهي غشوة على فعلة بضم الغين مع النصب وهي قراءة سفيان وابو رجاء ، وهي غشاوة بفتح الغين مع النصب في قراءة الحسن ايضا ، وهي « عشاوة » بالعين المهملة المفتوحة مع الرفع ، وهي قراءة طاووس .

وبين صوتى الغين والعين ابدال كثير في آي القرآن ، وفي العربية مادة كبيرة من هذا الباب ووجه القول فيها ان مسوغ هذا الابدال الصوتى قرب

مخرجي العين والغين . وسنرى في آى القرآن أمثلة كافية من هذا النوع من الابدال الصوتي[٤٠] .

وقال تعالى : « انما نحن مستهزيون » الآية ١٤ بغير همز وهي قراءة ابى جعفر يزيد بن القعقاع ، وهو معروف في اصحاب القراءات المشهورة . والذي نعرفه في علم اللغة ان الفعل « استهزأ » مهموز دائما ولا تسهل هذه الهمزة الا اضطرارا كأن تقع الكلمة في حشو الشعر وهمزها يقدح في وزن البيت ، او ان تكون الهمزة غير مستحسنة من الناحية الصوتية كما في قوله تعالى : « واتخذوا آياتى ورسلي هزوا » سورة الكهف الآية ١٠٦ وقد وردت الكلمة في احدى عشرة آية من سور مختلفة كلها بتسهيل الهمزة . وهذا يعنى ان التسهيل قد استحسن ، ولعه اكرم وقعا على الاذن من همز الكلمة . ومن المعلوم ان القراءة بالهمز جائزة لأنها صحيحة في العربية .

غير ان تسهيل الهمز وان أُثر عن اللغة القرشية الا ان اللغة الفصيحة التزمت الهمز وبه جاءت لغة التنزيل . ومن المعلوم ان العربية المحكية في الاقاليم منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا لا تلتزم الهمز الا ان كانت الكلمة مبدوءة بهمزة نحو أكل واخذ . على ان طائفة من الكلمات المهموزة الفاء تسهل فيها الهمزة في اللغات الدارجة فلا يقال : إلف بل يقال : وِلف ولا يقال «ألم» في قرى العراق بل يقال « ولم » وقال تعالى «من الصواعق حذر الموت » الآية ١٩ كما هي في القراءات المشهورة.وقرأ الحسن «من الصواقع»والصواقع جمع صاقعة على القلب metathese والقلب في العربية ظاهرة واضحة أفرد لها اللغويون مصنفات خاصة كقولهم جذب وجبذ ، ومسرح ، ومرسح

---

(٤٠) ومن المفيد ان اشير الى ان هذا حاصل بين الكلمة العربية ونظيرتها في اللغات السامية كالعبرانية والسريانية والكلمة غرب تكون في العبرانية عرب . ومثله غرب عن البال = عزب . ومن المفيد ان « غرب » عن البال » في العربية يتحول الى « عزب » بالعين المهملة والزاي ومن هذه الامثلة : غراب في العربية = عورب في العبرانية ، وفي اللغة السريانية (عزب شمشا) اي غربت الشمس .

وهو كثير جدا • غير ان الراجح هو أن الكلمة لها صورة مشهورة عرفت بها وشاعت • أما الصورة المقلوبة الاخرى فهي من اللغات الخاصة والدليل على ذلك ان القلب شائع في اللهجات العربية الحديثة بالنسبة الى الكلمات الفصيحة •

وقال تعالى : «يكاد البرق يخطف ابصارهم» ، الآية ٢٠ بفتح الطاء وهو القراءة المشهورة ، الا ان الاعمش وهو من كبار القراء قرأ « يخطف » بكسر الياء والخاء والطاء وتشديدها ان مجيء القراءة بهذا الشكل الغريب يزود الدارس ببناء scheme من « أبنية » الافعال لا تعرفه العربية •

وقرأ ايضا « يخطف » بفتح الياء والخاء وكسر الطاء وتشديدها وهو بناء غريب آخر لا تعرفه العربية • وحكى الفراء عن بعضهم يخطف بفتح الياء و كسر الخاء والتشديد •

ومن المناسب ان نقول ان الفراء حكى عن « بعضهم » اى ان «بعضهم» هذا كان يقرأ في طريقته التي ألفها وباشرها • وربّما كان « بعضهم » هذا اكثر من واحد • وهو وان كان واحدا فلابد ان يكون قد نطق بلغة بيئته ومن خالطهم من اهله وعشيرته • ثم ان رواية الفراء لهذه القراءة وهو من اللغويين النحاة ورأس اهل الكوفة في النحو واللغة ومن المعنيين بـ « القرآن» ذات قيمة تاريخية كبيرة • وهو بناء غريب بعيد عن فصيح العربية • ومن اهل المدينة « يخطف » باسكان الخاء والتشديد في الطاء مع كسرها • وهذا بناء أغرب من الابنية المتقدمة لما يعرض لها من صعوبة النطق • ان نسبة هذه القراءة الى أهل المدينة تعنى شيئا يند عن قراءة «نافع» ويعنى ذلك ان المألوف السائر من الوان التعبير والاداء وجد سبيله الى قراءات القرآن •

قال تعالى : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا » الآية ٣٤ ان « الملائكة» مجرورة باللام وقد وردت في قراءة ابى جعفر بضم التاء ، فكأنّ حرف الجر لا عمل له • وهو أمر غريب •

قال تعالى : « واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا «الآية ٤٨» •
قرئت « تجزىء » بفتح التاء والهمزة ذكره أبو حاتم السجستاني •

قال تعالى : « وايـّايَ فارهبون » الآية ٤١ قرأ عبدالرحمن الاعرج باسكان الياء وهذه القراءة التي التزمت الاسكان لتشعر بالطريقة المألوفة في كلام الناس البعيدين عن الفصاحة •

قال تعالى : « وهو على كل شيء عليم » الآية ٢٩ قرأ ابن عامر « هو » بتشديد الواو ، ذكر القراءة الاخفش • وتشديد الواو في الضمير « هو » من لحن العامة كما هو معروف • وابن عامر احد السبعة ومقريء اهل الشام•

قال تعالى « ولا تقربا هـذه الشجرة » الآية ٣٥ قرأ يحيى بن وثاب « ولا تقربا » بكسر التاء • وقرأ ابو السمال ، هذه الشجرة بكسر الشين وحكى ابو زيد أنها قرئت « هذه الشِيرة » بكسر الشين والياء • وهذه القراءة الاخيرة تذكر بالشاهد اللغوي المشهور •

اذا لم يكن فيكن ظـل ولا جنى
فـلا جادكنّ الله من شـيرات[41]

والبيت لام الهيثم •

ومن المعلوم ان هذه القراءات تتفق وما هو جار في لحن العامة •

قال تعالى : « واذكروا فيه لعلكم تتقون » الآية ٦٣ قرأ يحيى بن وثاب «وادكروا» بالدال المهملة المشددة وفي هذه القراءة مسألة صوتية بادغام الذال وهو الصوت الاصلي بالتاء التي تحولت الى دال مهملة لمجاورة الذال ثم ادغمت الذال في الدال فصارت دالا مشددة • ويجوز ان تقرأ سيرا مع قراءة يحيى ابن وثاب المشددة « واذكروا » وذلك في ان الادغام يحصل بين الدال التي جاءت من تاء « افتعل » والذال الاصلية وهي فاء الفعل •

---

(٤١) كتاب ليس لابن خالويه ، وانظر المزهر ١٤٦/١ .

قال تعالى : (واخذتكم الصاعقة) الآية ٥٥ وقرأ علي بن ابي طالب « واخذتكم الصعقة » ومجيء هذه القراءة العالية مسندة الى علي بن ابي طالب وهو أعلم الناس بكتاب الله ، ذو قيمة تاريخية مهمة . ثم انخروج هذه القراءة العالية عما هو معروف من القراءات المشهورة يفيد فائدة كبيرة في ان ما جاء على الشواذ ذو قيمة كبيرة .

قال تعالى : « فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها .... » الآية ٦١ .

وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس « وثومها » بالثاء ومن هنا نعرف ان المسألة الصوتية حولت « الثوم » الى فوم وذلك للقرابة الصوتية في ان من عناصر حيز الثاء والفاء هو الشفة . واذا عرفنا هذه المسألة ادركنا ان تفسير « الفوم » بـ « الحنطة » كما ورد في كتب المفسرين خطأ محض . وقد ذكر الزمخشري في « الكشاف » قراءة ابن مسعود واخذ بها فقال والثوم للعدس والبصل (في الآية) أوفق .

قال تعالى : ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ... - « الآية ٦٢ وقرأ عبدالرحمن الاعرج : « والصابيين » بالياء لا الهمز فكان هو « صبا » وليس الفعل المهموز « صبأ » وهذا من تسهيل الهمز الذي هو شائع في اللسان الدارج كما بينا .

قال تعالى : « ان البقر تشابه علينا » الآية ٧٠ .

وقرأ محمد ذو الشامة من أصحاب القراءات : « ان الباقر يشابه » والباقر اسم جمع كالبقر ومثله الجامل لجمع الجمل والماعز كالمعز والمعيز والضائن كالضأن والضئين وكذلك البقر والباقر والبقير . وهذه الاسماء التي دلت على الجمع هي من اقدم مواد العربية وقد اوشك شيء منها ان يزول من العربية الفصيحة في عصرنا . ثم ان الفعل « يشابه » بتشديد الشين هو « يتشابه » في الاصل ، ثم عرض له الادغام ، وما زال هذا الفعل في بنائه المشدد معروفا في عاميتنا الدارجة في العراق .

وقال تعالى : (فان لكم ما سألتم) الآية ٦١ ٠

وقرأ ابرا هيم النخعي : (فان لكم ماسألتم) بكسر السين ٠ وكسر اول الفعل الماضي من النطق العامي في مواطن كثيرة ٠

وقال تعالى : (ومن كفر فامتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار) الآية ١٢٦ وقرأ ابن محيصن : « ثم اطره » بادغام الضاد في الطاء وهو ادغام غريب لا يرد الا نادرا ٠

وقال تعالى : « وما كان الله ليضيع ايمانكم » « ان الله بالناس لرؤوف رحيم » الآية ١٤٣ ٠

وقرأ الزهري « لروف رحيم » بغير همز وبوزن « رعفٍ » بضم العين ٠ وقرأ ايضا « لروف » باسكان الواو ٠

وقال تعالى : « لئلا يكون للناس عليكم حجة » الآية ١٥٠ وقرأ ورش عن نافع : « ليلا » بغير همز وهو باب تسهيل الهمز الذي تحدثنا عنه ٠

وقال تعالى « ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة » الآية ١٤٨ ٠

وقرأ ابو السمال : « سكينة » بتشديد الكاف ، ولا وجه لها في العربية الفصيحة ٠

شواذ سورة النساء مما جاء في « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ ٠٠٠ » بتشديد الخاء ، الآية ١٢ ٠

لم ينسب ابن خالويه هذه القراءة واكتفى بنسبتها الى مجهول فقال : «عن بعضهم» ٠ ومهما يكن من شيء فالقراءة على هذا الوجه من التشديد مازالت حيةً في لغاتنا الدارجة ، فالعامة يقولون : « أخ » بتشديد الخاء كما يقولون « أب » ٠ وقد اورد ابن خالويه تعليقا لابن دريد فقال : قال ابن دريد : التشديد لغة ٠ قال ابن خالويه : واهل العربية يرونه لحنا لان لام الفعل واو ٠

وقال تعالى : « ولكل جعلنا موالي » الآية ٣٣ • وقرأ مجاهد : « ولكل جعلنا موالٍ » بالتنوين • قال ابن خالويه وانما يجوز مثل هذا في الشعر كقول الشاعر :

« فلو أن واش باليمامة داره »

وهذا نموذج من القراءات التي لا يرضاها النحاة لابتعادها عن سنن القواعد النحوية وقال تعالى : والذان يأتيانها منكم » الآية ١٦ قرأ بعضهم « والذان » بالهمز وهذه القراءة وان نسبت الى « بعضهم » ذات قيمة لغوية •

ومثل هذه القراءة وردت في قوله تعالى « قالوا ان هذان لساحران » سورة طه الآية ٦٣ فقد قرئت : « هذأن » •

وقالَ تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى » الآية ٤٣ •

وقرئت « سُكْرى » ونسبت القراءة الى الاعمش • وهو أمر غريب لان الكلمة ينبغي ان تكون جمعا ولم يأت في أبنية جموع التكسير « فُعلَى » وقرأ ابراهيم « سَكْرى » والقراءة غريبة لانها مؤنث سكران ومثل هذا ورد قوله تعالى : «واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى » الآية ١٤٢ •

وقرأ عيسى بن عمر « كسالى » بفتح الكاف وهي لغة تميم ، وقرأ جناح ابن حبيش : « كُسلى » و « كَسلى » الاولى بضم الكاف والثانية غريبة ايضا لان كسلى ، بفتح الكاف مؤنث كسلان لا جمع له •

قال تعالى : « ولتأت طائفة اخرى ••• » الآية ١٠٢ وروى القاسم بن عبدالواحد عن ابن كثير انه قرأ « طايفة » بالياء لا الهمز ، والعدول عن الهمز الى الياء في اسماء الفاعلين من الفعل الاجوف من خصائص اللهجات الدارجة •

شواذ سورة المادة
من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا احلت لكم بهيمة الانعام » الآية ١ .

قرأ ابو السمال : « بهيمة » بكسر الياء . قال ابن خالويه : اذا كانت العين حرفا حلقيا فمن العرب من يتبع حركة التاء حركة العين فيقول : سِعير وبِعير ورِغيف ورِحيم وانا شيخ ضِعيف .

اقول : ان كسر التاء في « فعيل » ظاهرة لغوية عامة في كثير من اللغات الدارجة فى عصرنا فنقول : « كبير » و « نظيف » و « سمين » . ولكن لهذه الظاهرة شواذ منها اننا نقول : « رحيم » بفتح الراء ، ولعل ذلك في لغتنا جاء من آية البسملة ونقول : عتيق وعجيب كل ذلك بفتح الفاء .

وقال تعالى : « وجعلنا قلوبهم قاسية » الآية ١٣ . روى الضبي ان يحيى ابن يعمر قرأ : « قُسيّة » بضم القاف . وقرأ بعضهم بكسر القاف والسين .

وقال تعالى : « واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوأ ولعبا » الآية ٥٨ .

وقرأ بعضهم : (ولعبا) بكسر اللام واسكان العين . قال ابن خالويه مثل فَخِذ وفِخْذ وكَلِمة وكِلْمة .

وقال تعالى : « وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَدَ الطاغوت » الآية ٦٠

الكلام في هذه الآية على : « وعَبَدَ الطاغوت » وهي فعل ومفعول به ، ولكن هذه العبارة القصيرة « عبدالطاغوت » تتحول في القراءات الى صور عدة . قال ابن خالويه : فيها تسع عشرة قراءة . وفي هذه القراءات الكثيرة يتحول الفعل « عبد » الى اسم على ابنية مختلفة مفردا تارة وجمعا أخرى والجمع على ابنية مختلفة ، او ان الفعل يبقى فعلا ولكنه يتغير باسناده الى ضمائر مختلفة . أما الطاغوت فهو اما مفعول به او مجرور بالاضافة او

مرفوع على الفاعلية او الخبر . وفي هذه القراءات ابنية غريبة يصعب تأويلها نحو « عبد الطاغوت » بضم العين واسكان الياء وفتح الدال وهو مضاف الى الطاغوت وهذه قراءة الحسن والوجه فيها عسير . و « عبد الطاغوت » بفتح العين وضم الباء وفتح الدال والطاغوت مضاف اليه وهي قراءة حمزة ولا ندرى وجهها . و « عبد الطاغوت » وهذه كسابقتها الا ان الطاغوت منصوب وهي قراءة يحيى بن وثاب . واذا كان « عبد » في هذه الاخيرة فعلا والطاغوت مفعولا به فالغرابة فيها ان « فعل » بضم العين لا يأتي منه فعل الا لازما في حين ان « عبد » متعدٍ وهذا أمر غريب .

ومن المهم ان بين هذه القراءات قراءة عالية لا علم الناس بكتاب الله وهو علي بن ابي طالب (رض الله عنه) فقد قرأ « عَبَدة الطاغوت » جمع عابد مثل طالب وطلبة . وقال تعالى : « وتعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » الآية ١٦ .

وقرأ الاعمش « وتعلم » و « لا اعلم » بكسر التاء والهمزة في الفعلين . وهذه مسألة لغوية ذكرها اللغويون القدامى على انها من اللغات المذمومة وهي في اصطلاحهم تلتلة بهراء (٤٢) وما زالت هذه الظاهرة اللغوية حية في عربية الاقاليم المحكية في عصرنا .

شواذ سورة الاعراف
من كتاب « المختصر » لابن خالويه

وقال تعالى : « عجلا جسداً له خوار » الآية ٤٨ وقرأ ابو السمال « له جؤار » بالجيم والهمز .

وهذه من المسائل التي قد يظن انها ترجع الى تشابه الرسم بين الجيم والخاء في العربية اذ لا قرابة صوتية بين الصوتين في المخرج والحيز والصفة . وقد يقال ان « الجؤار » في قراءة ابي السمال يدل على الصوت فهو من

---

(٤٢) انظر اللسان « تلتل » وانظر الصاحبي في فقه اللغة لاحمد بن فارس في موضوع « اللغات المذمومة » .

المصادر التي تقيد الاصوات كالصراخ والنباح وغيرها . وقد اعتمد الجوهري على القراءة فذكر : ان الجؤار مثل الخوار ، جأر الثور والبقرة يجأر جؤارا : صاحا ، وخار يخور خوارا بمعنى واحد . الا ان اكثر القراء قرؤوا : « خوارا » بالخاء المعجمة الفوقيه .

والذي دعاني الى هذا الايضاح والاستدراك ان « الجؤار » بالجيم هو ليس من الاصوات الخاصة بحيوان معين في حين ان الخوار بالخاء من الاصوات الخاصة بالحيوان المعروف ، لقد أنصرف « الجؤار » الى الصوت عامة فقد جاء في « اللسان » : جأر يجأر جأرا وجؤاراً : رفع صوته مع تضرع واستغاثة . وفي التنزيل اذا هم يجأرون . وقال ثعلب : هو رفع الصوت بالدعاء . وجأر الرجل الى الله اذا تضرع بالدعاء . وفي الحديث : كأنى انظر الى موسى له جؤار الى ربه بالتلبية . وقال تعالى : « ولما سكت عن موسى الغضب » الآية ١٥٤ وقرأ معاوية بن قرة : « سكن الغضب » بالنون لا التاء وصحيح ان الدلالة في المادتين قد تؤدى الى نتيجة واحدة في المعنى العام الا ان للسكوت خصوصيّة معنوية غير السكون . اقول : لعل هذه القراءة الشاذة جاءت من تشابه الرسم بين النون والتاء .

وقال تعالى « واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس » الآية ١٦٥ .

وقد قرأ عاصم : « بعذاب بيئس » على وزن فيعل او (بيئس) بفتح الهمزة وقرأ الزهري : « بعذاب بيس » مثل شين . وقرأ ابن كثير : « بعذاب بيس » مثل عيد . وقرأ نصر بن عاصم : « بعذاب بييس » بياءين . وهذا كله من القراءات التي ابتعدت عن البناء الفصيح المثبت في الآية الكريمة .

شواذ سورة الانفال

من كتاب مختصر ابن خالويه

قال تعالى : « يسألونك عن الانفال » الآية ١ .

وقرأ ابن محيصن « علنفال » بالادغام . وهذا الادغام الحاصل من حرف الاضافة « عن » مع لام التعريف كثير في اللغات الخاصة ومثله « على »

ومن قوله تعالى : « ويمسك السماء ان تقع علرض » (الحج ٦٥) •

وقال تعالى : فاما تثقفنهم فشرد بهم من خلفهم » الآية ٥٧ •

وقرأ ابن مسعود : « فشرذ » بالذال ، وهي قراءة غريبة اذ لا معنى لكلمة «شرذ» بالذال المعجمة ولم تؤد معنى «شرد» بالدال المهملة الا ان تكون مأخوذة من لسان هذيل (٤٣) خاصة ولم تعرف في سائر العرب • ولكن هذه القراءة ذات قيمة لغوية تاريخية لما نعرف من مكانة ابن مسعود واهتمامه بالقراءة وسماعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •

شواذ سورة التوبة

من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « ثم لم ينقصوكم شيئا » الآية ٥٤ وقرأ عطاء بن يسار : « ثم لم ينقضوكم شيئا » بالضاد المعجمة • وتوجيه هذه القراءة أنه قد يكون للقرابة الصوتية بين صوتى الصاد والضاد اثر في ذلك فالصاد صوت اسناني لثوي رخو مهموس مفخم ، والضاد صوت اسناني لثوي شديد مجهور مفخم • وهذا النوع من الأبدال الصوتي حاصل في « حصب جهنم » و « حضب جهنم » و « قبض قبضة من اثر الرسول » و « قبص قبصة من اثر الرسول » وفي آيات اخرى (٤٤) •

وقال تعالى : « فتكوى بها جباههم » الآية ٣٥ •

وقرأ ابو عمرو في رواية : « جباهم » بادغام الهاء في الهاء • وهي قراءة غريبة وذلك ان الكلمة يعرض لها ما دعوه بـ (التقاء الساكنين نتيجة ادغام الهاء بالهاء وهذا يؤلف صعوبة تجنبتها العربية الفصيحة في كثير من

---

(٤٣) ذكر ابن جني في « المحتسب » ١/٢٨٠ هذه الآية في شواذ سورة الانفال وقال لم يمرر بنا في اللغة تركيب (ش ر ذ) وأوجه ما يصرف اليه ذلك ان تكون الذال بدلا من الدال كما قالوا . لحم خردال وخرذال والمعنى الجامع لهما انهما مجهوران ومتقاربان .

(٤٤) ومن الغريب ان هذا النوع من الابدال الصوتي يحصل بين العربية والعبرانية نحو (ضحك) في العربية (صاحق) في العبرانية .

الكلمات ولم يبق من ذلك الا قليل من الالفاظ مما لا يمكن ان يتخلص فيها من هذا الثقل الذي يعرض لها بسبب التقاء الساكنين نحو حمارّة القيظ وصبارّة القر واحمارّ واخضارّ وتتبعانّ وتضامّ وغيره . ومن المفيد ان هذا كثير في اللهجات الدارجة .

من شواذ سورة يونس
من كتاب مختصر ابن خالويه

قال تعالى : « حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت » الآية ٢٤ .

وقرأ ابو عثمان النهدي : « وازيأنَّت » وهو من الغرائب لبعد الاصل « زين » عن « زأن » التي لا وجود لها في العربية الا في هذه القراءة .

من شواذ سورة يوسف
من كتاب مختصر ابن خالويه

قال تعالى : « نفقد صواع الملك » الآية ٧٢ .

وقرأ ابو هريرة وجماعة : « صاع الملك » والقراءة مقبولة مفهومة . وقرأ يحيى بن يعمر : « صوغ الملك » بالغين المعجمة وفتح الصاد . وقرأ عبدالله بن عون : « صوغ » بضم الصاد والغين المعجمة . وقرأ سعيد ابن جبير : « صواغ » بضم الصاد والغين المعجمة . وقد تكلمنا على الابدال الصوتي بين العين المهملة والغين المعجمة في « غشاوة » و « عشاوة » من سورة البقرة .

وقالَ تعالى : « فتحسسوا من يوسف » الآية ٨٧ .

ومثله قرأ النخعي : « ولا تجسسوا » بالجيم (الحجرات ١٢) وليس من قرابة صوتية بين الحاء والجيم نعم ان هناك قرابة في الدلالة المعنوية مع خلاف يسير . ثم الا يكون لتشابه الرسم شيء اوجب هذه القراءة في حالة التخفف من قيد الاعجام » . وفي سورة الاسراء الآية ٥ في قوله تعالى « فجاسوا خلال الديار » فقرئت « فحاسوا » بالحاء المهملة .

وقال تعالى : (بدم كذب) الآية ١٨ .

وقرأ الحسن وابن عباس : (بدم كدب) بالدال المهملة . والكدب لا تعني الكذب وان حصل ابدال بين الذال والدال في كلمات اخرى . واغلب الظن ان هذا الابدال شائع في اللغات الخاصة وما زال معروفا في لغاتنا الحديثة الدارجة .

من شواذ سورة الكهف
من كتاب مختصر ابن خالويه

قال تعالى : « فوجدا فيه جدارا يريد ان ينقض » الآية ٧٧ .

وقرأ ابن مسعود : « ان ينقاض » وهي قراءة جيدة مقبولة وان شذت عن المصحف . وقرأ الزهري ويحيى بن يعمر : « ان ينفاض » بالفاء الموحدة لا القاف مع التشديد (٤٥) ومع توفر شيء من معنى قريب الا ان الابدال الصوتي غير متوفر للقرابة الصوتية . ثم ألا يكون هذا شيئا من تشابه « الرسم » بين الفاء والقاف كما يصعب التمييز بين النقطة الواحدة والنقطتين. والذي يقوى هذا الظن ان يحيى بن يعمر من اصحاب اللغة والنحو ولا يمكن ان تخفى عليه قوة (انقض) بالقاف وانها شيء اقوى من « انفض » بالفاء .

من شواذ سورة مريم
من كتاب مختصر ابن خالويه

قال تعالى : « فاما ترينّ من البشر احدا » الآية ٢٦ .

وقرأ ابن الرومي « ترئن » بالهمز عن ابى عمرو . وروي عنه شيء من هذا في سورة التكاثر الآية ٦ : (لترون الجحيم) .

فقرأ « لترؤن » بالهمز وهو عند اكثر النحويين لحن .

---

(٤٥) وفي المحتسب ٢/٣١ لابن جني : وقرأ علي بن ابي طالب وعكرمة وابو شيخ الهنائي ويحيى بن يعمر « ينقاص » بالصاد المهملة قال ابو الفتح و (ينقاص) مطاوع قصته فانقاص أي كسرته فانكسر .

من شواذ سورة طه
من كتاب « مختصر ابن خالويه »

قال تعالى : « واهش بها على غنمي » الآية ١٨ .

وقرأ عكرمة : « واهس » بالسين المهملة وهذا ضرب من الابدال الصوتي بين الشين والسين للقرابة الصوتية في صفة كل منهما فكلاهما رخو مهموس » (٤٦) .

من شواذ سورة الحج
من كتاب مختصر ابن خالويه

قال تعالى : « لهدمت صوامع وبيع وصلوات » الآية ٤٠ .

قال ابن خالويه فيها احدى عشرة قراءة هي : صَلَوات ، وصُلُوات وقرأها ابو العالية والكلبي والضحاك ، وصُلْوات وقرأها جعفر بن محمد ، وصُلوت وقرأها الجحدري ، وصلوب بالباء وقرأها الحجاج والجحدري ، وصَلْوات باسكان اللام وقرأها ابو العالية ايضا ، وصِلْوات وقرأها الجحدري ، وصُلْواث بالثاء وقرأها الجحدري ايضا ، وصُلوثا وقرأها مجاهد ، وصُلَوات وقرأها الكلبي ، وصَلويثا وقرأها عكرمة ، وزاد ابن مجاهد صِلْواث بكسر الصاد وبالثاء .

أقول : ان هذه الكلمة من المشترك السامي فهي في العبرانية والارامية وفي غيرهما من اللغات السامية . اما الاختلاف في ضبطها بالحركات القصيرة والطويلة فهو شيء يرجع الى اختلاف اللغات ، واما الاختلاف في روايتها بالثاء أو التاء فذلك شيء يتصل بالاصل السامي وما يحدث بين التاء والثاء فيها من ابدال الا ان الغريب الذى لا أفهمه هو مجيئها في قراءة بالباء وما أظنها الا من باب السهو والخطأ اذ لا وجود لهذا الاصل في الصور السامية للكلمة .

---

(٤٦) ومن المفيد ان اعرض لحقيقة ان كثيرا من الكلمات التي وردت بالسين في العربية يقابلها الشين في العبرانية نحو شمس في العربية شمش في العبرانية وهو كثير .

ومثل هذا ما ورد في سورة « المؤمنون » في الآية ٣٦ وهي لفظة « هيهات » فقد وردت في قراءات كثيـــرة تختلف في ضبط الكلمة وفي الابدال بين الهاء الاولى والهمزة فقرئت « أيهات » و « أيهى » الى قراءات أخرى لا تخرج عن حدود اختلاف الضبط ، غير ان قراءة واحدة هي «ايهان» بالنون لا سبيل الى فهمها الا على اساس السهو أو لعله من تشابه الرسم .

من شواذ سورة القصص
من كتاب مختصر ابن خالويه

قال تعالى « انه لا يحب الفرحين » الآية ٧٦ .

وحكى عيسى بن سليمان انه سمع قراءة « الفارحين » والغرابة في هذه القراءة انه لم يسمع بناء « فاعل » من الفعل « فرح » ولعل هذا كان معروفا في لغة من لغات العرب .

من شواذ سورة يس
من كتاب مختصر ابن خالويه

قال تعالى : (الم اعهد اليكم يا بني آدم) الآية ٦٠ .

وقرأ يحيى بن وثاب « الم اعهد » بكسر الهمزة وبنو تميم يقرؤون «ألم أحد » وهذا الابدال مع الادغام يؤلف ظاهرة صوتية فريدة . ومثل هذه الظاهرة يحصل في الالسن الدارجة في عصرنا .

من شواذ سورة الواقعة
من كتاب مختصر ابن خالويه

قال تعالى : « وطلح منضود » الآية ٢٩ .

وقرأ علي بن ابي طالب : « وطلع منضـــود » بالعين . ودلالة الطلع غير الطلح . فالطلع هو طلع النخل والطلح ضرب من الشجر . ولكن نسبة القراءة الى علي بن ابي طالب تكسبها علوا ومكانة .

من شواذ سورة الحديد
من كتاب مختصر ابن خالويه

قال تعالى : « لئلا يعلم أهل الكتاب » الآية ٢٩ .

وقرأ الحسن : (ليلا) بالياء بالتسهيل ، وتسهيل الهمز يجرى على سنن اللغات الدارجة .

من شواذ سورة المزمل
من كتاب مختصر ابن خالويه

قال تعالى : « ان لك في النهار سبحا طويلا » الآية ٧ .

وقرأ يحيى بن يعمر : (سبخا) بالخاء المعجمة . وهذا الابدال الصوتي تسوغه القرابة الصوتية في الحيز والمخرج ، على ان فرقا كبيرا في الدلالة بين القراءتين ، فالسبخ يعنى النوم ، والسبح يعنى الفراغ والتصرف والاضطراب والجيئة والذهاب .

من شواذ سورة سبأ
من كتاب مختصر ابن خالويه

قال تعالى : « بل مكر الليل والنهار » الآية ٣٣ .

وقرأ سعيد بن جبير وجعفر بن محمد : « بل مكر الليل » بتشديد الراء (٤٧) وهي قراءة غريبة .

من شواذ سورة النبأ
من كتاب مختصر ابن خالويه

قال تعالى : « وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا » الآية ١٤ .

وقرأ عكرمة : « ماء نجاخا » بالنون والخاء . قد يكون « نجاخا » مفيدا ايضا لدلالته على الحركة والصوت وهو من غير شك غير « ثجاجا » أقول : لعل هذه القراءة تهيأت بسبب من تقارب الرسم .

---

(٤٧) وزاد ابن جني في المحتسب ٢/١٩٣ وهي قراءة ابي رزين أيضا وهو مسعود بن مالك روى عن ابن مسعود وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما انظر طبقات ابن الجزري ٢/٢٩٦ .

من شواذ سورة الواقعة
من كتاب مختصر ابن خالويه

قال تعالى : « فظلتم تفكهون » الاية ٦٥ .

وقرأ ابو حرام العكلي : « فظلتم تفكنون » بالنون . و « تفكن » بمعنى تندم في حين ان « تفكه » بمعنى تعجب كما ذكر ابن خالويه . وفي اللسان : وقال مجاهد في الآية : « تفكنون » بمعنى تعجبون ، وقال عكرمة : انها بمعنى تندمون .

وبعد فهذه جملة مسائل تتصل بالقراءات الشاذة تخيرتها من كتاب « مختصر » ابن خالويه لبيان ان هذه المسائل تندّ قليلا أو كثيراً عن لغة التنزيل في المصحف الذى وصل الينا وفق القراءات الموحدة المشهورة العالية ، ولابد ان اكمل هذه المختارات فاعرض لما في كتاب « المحتسب » لابن جني فاتخير منه ما لم اجده في كتاب ابن خالويه للغرض نفسه .

من شواذ سورة البقرة
من كتاب « المحتسب »

قال تعالى : « بين المرء وزوجه » الآية ١٠٢ .

وقرأ الحسن وقتاده : بين المر وزوجه « بفتح الميم وكسر الراء خفيفة من غير همز . وقرأ الزهري : « المر » بفتح الميم وتشديد الراء . وقرأ ابن ابي اسحاق : « المرء » بضم الميم وسكون الراء والهمز . وقرأ الاشهب : « المرء » بكسر الميم والهمز . وتناول ابن جني هذه القراءات ليعلل شذوذها وابتعادها عن فصيح العربية المشهور فقال : اما قراءة الحسن وقتادة : « بين المر » بفتح الميم وخفة الراء من غير همز فواضح الطريق ، وذلك انه على التخفيف القياسي ، كقولهم في الخبء : هذا الخب ... تحذف الهمزة وتلقى حركتها على الباء قبلها . وعليه القراءة : « الذى يخرج الخب في السموات والأرض »(٤٨) .

---

(٤٨) سورة النمل الآية ٢٥ .

وبهذه الطريقة المتكلفة خرَّج ابن جني هذه القراءة وقد خرج ايضا بتكلف قراءة الزهري المتقدمة . اما قراءة المرء بضم الميم و « المرء » بكسر الميم فذهب الى انهما « لغة »[٤٩] .

وقال تعالى : « فان لكم ماسألتم » الآية ٦١ .

وقرأ يحيى بن يعمر وابراهيم « ماسألتم » بكسر السين ، ويحاول ابن جني ان يجد لها تعليلا فلم يفلح فقال : فيه نظر ، وذلك ان هذه الكسرة انما تكون في اول ما عينه معتلة كبعت وخفت ، أو أول فعل اذا كانت عينه معتلة أيضا كقيل وبيع وحِلّ وبِلّ اى حُلّ وبُلّ ....

أقول : وكلام ابن جني لا يعرض للمشكلة من اى وجه فامثلته لا تنطبق على القراءة في « سألتم » بكسر السين . ولذلك قال بعد ان استنفد كل فعل بكسر أوله : « فاذا كان كذلك فقراءتهما « سألتم » مكسورة السين مهموزة غريب »[٥٠] .

وقال تعالى : « ثم اضطره الى عذاب النار » الآية ١٠٦ .

وقرأ ابن محيصن ثم « اطَّره » . وعلق ابن جني فقال : « هذه لغة مرذولة ، اعنى : ادغام الضاد في الطاء وذلك لما فيها من الامتداد والفشو ، فانها من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ، ولا تدغم هي فيما يجاورها . وهي الشين والضاد والراء والفاء والميم .... وقد اخرج بعضهم الضاد من ذلك[٥١] وقال : لانه قد حكي ادغام الضاد في الطاء في قولهم في « اضطجع » « اطجع » وانشدوا :

لما رأى أن لادعه ولا شبع

مال الى ارطاة حقف فاطجع

---

(٤٩) المحتسب ١/١٠١ – ١٠٢ .

(٥٠) المحتسب ١/٨٩ .

(٥١) المصدر السابق ١/١٠٦ .

ويروى : « فاضطجع » على الاصل وهو الاكثر والاقيس •

أقول : الا يكون الشاهد قد صنع فيه « فاطجع » وضعا وكذبا لانه روى ايضا على الوجه الصحيح ؟ ومما يقوى هذا الرأى عندى ان هذا الادغام غير معروف ولا مسموع وغير جار على طريقة العربية في اجتماع الاصوات •

من شواذ سورة النساء
من كتاب « المحتسب »

قال تعالى : « الا ان يصلحا بينهما » الآية ١٢٨ •

وقرأ عاصم : «أن يصّلحا» بتشديد الصاد • وعلق ابو الفتح فقال:اراد « يصطلحا » أي يفتعلا ، فآثر الادغام فابدل الطاء صاداً ، ثم ادغم فيها الصاد التي هي فاء فصارت يصلحا • ولم يجز ان تبدل الصاد طاء لما فيها من امتداد الصفير ، ألا ترى ان كل واحد من الطاء واختيها والظاء واختيها يدغمن في الصاد واختيها ولا يدغم واحد منهن في واحدة منهن فلذلك لم يجزان (الا ان يطلحا) وجاز يصلحا[٥٢] •

من شواذ سورة الاعراف
من كتاب « المحتسب »

قال تعالى : « وهو الذي يرسل الرياح بشرا » الآية ٥٧ •

وقرأ الحسن وقتادة وأبو رجاء والجحدري وسهل بن شعيب : «نشرا» بضم النون وجزم الشين • وتوجد قراءات عـــدة كلها بالياء مع خلاف في الضبط • كما قرأ مسروق « نشرا » وعلق ابن جني معللا كل قراءة فقال في « نشرا » انها تخفيف « نشر » بضمتين وهي قراءة « العامة » والنشر جمع نشور لانها تنشر السحاب وتستدره ، والتثقيل أفصح لانه لغة الحجازيين، والتخفيف في نحو ذلك لتميم[٥٣] وهذه اشارة واضحة الى اللغات الخاصة التي اعتمدت عليها القراءات • ثم ان قوله قراءة « العامة » يشير الى ان للعامة نمطا

---

(٥٢) المصدر السابق ٢٠١/١ •

(٥٣) المصدر السابق ٢٥٥/١ •

يبتعد كثيرا او قليلا عن القراءات الفصيحة المشهورة • ثم الا يجوز ان تكون هذه القراءة قد تولدت من تشابه الرسم ؟

من شواذ سورة التوبة
من كتاب « المحتسب »

قال تعالى : « لولّوا اليه وهم يجمحون » الآية ٥٧ •

وقد روى الاعمش قال : « سمعت أنسا[٥٤] يقرأ « لولوّا اليه وهم يجمزون » قيل له : وما يجمزون ؟ انما هي يجمحون فقال : يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد • «قال ابو الفتح : ظاهر هذا ان السلف كانوا يقرؤون الحرف مكان نظيره من غير ان تتقدم القراءة بذلك ، لكنه لموافقته صاحبه في المعنى• وهذا موضع يجد الطاعن به اذا كان هكذا على القراءة مطعنـــا ، فيقول : ليست هذه الحروف كلها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو كانت عنه ساء ابدال لفظ مكان لفظ ، اذ لم يثبت التخيير في ذلك عنه ، ولما انكر ايضا عليه: « يجمزون » ، الا ان حسن الظن بأنس يدعو الى تقدم القراءة بهذه الاحرف الثلاثة التي هي « يجمحون » و « يجمزون » و « يشتدون » ، فيقول : اقرأ بأيها شئت ، فجميعها قراءة مسموعة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لقوله عليه السلام : نزل القرآن بسبعة احرف كلها شاف كاف فان قيل : لو كانت هذه الاحرف مقروءاً بجميعها لكان النقل بذلكقد وصل الينا ، قيل اولايكفيك أنس موصلا لها الينا ؟ فان قيل : ان أنسًا لم يحكها قراءة وانما جمع بينها في المعنى ، واعتل في جواز القراءة بذلك لا بأنه رواها قراءة متقدمة ، قيل : قد سبق من ذكر حسن الظن ما هو جواب عن هذا »

من شواذ سورة سبأ
من كتاب « المحتسب »

قال تعالى : « حتى اذا فُزّع عن قلوبهم » الآية ٢٣ •

وقرأ الحسن وقتـــادة وابو المتوكل : « فرغ » بفتح الفاء والراء مع

---

(٥٤) هو انس بن مالك الانصاري صاحب رسول الله وخادمه روى عنـــه سماعا توفي سنة ٩١هـ انظر طبقات ابن الجزري ١٧٢/١ •

تشديدها وبالغين وقرأ الحسن وقتادة ايضا : « فرغ » بالراء خفيفة . وقد روى عن الحسن : « فرغ » بضم الفاء وبالراء مشددة وبالغين .

وقال ابو عمر الدوري : بلغني عن عيسى بن عمر انه كان يقرأ : حتى اذا افرنقعَ عن قلوبهم « قال ابو الفتح : المعنى في جميع ذلك حتى اذا كشف عن قلوبهم . ثم التمس وجها وتعليلا لكل قراءة .

وقال ابو حاتم : قال يعقوب روى ايوب السختياني عن الحسن : « فرغ » بضم الفاء وكسر الراء وخفيفها ، واعجم الغين فقيل للحسن : انهم يقولون : « فرغ » مثقلة ، فقال الحسن : لا ، انها عربية . قال : ولا أظن الثقات رووها عن الحسن على وجوه الا لصعوبة المعنى عليه ، واختلفت الفاظه ، وقال فيها اقوالا مختلفة ، يعنى ابو حاتم اجتماع معنى ف ز ع مع معنى ف ر غ في الفزع : قلق ومفارقة للموضع المقلوق عليه والفراغ : اخلاء الموضع ، فهما من حيث ترى ملتقيان . وكذلك معنى «افرنقع» يقال :افرنقع القوم عن الشيء اى تفرقوا عنه (٥٥) .

لقد بدا لنا من هذا الاستقراء لنماذج من القراءات الشاذة انها مواد لغوية ابتعدت قليلا او كثيرا عن السنن المشهور في القراءات العالية . وهذا يعنى انه في الوقت الذي سادت فيه عربية فصيحة ذات نمط عال في ابنيتها ونحوها كانت هناك انماط اخرى لغوية تشذ عن هذا الخط المستقيم . ومما تجدر الاشارة اليه أنى لم اذكر النماذج التي خالفت فيها القراءات الشاذة قواعد النحو العربي معتمدا ان الدارسين للنحو كانوا قد مروا بنماذج في كتب النحو . وقد حاول النحاة التماس وجه لتجويزها وتقريبها من مشهور الاسس النحوية . على ان من النحاة من لم يستطع التماس هذا الوجه فحمل القراءة على اللحن وربما حصل لهم هذا في شيء من القراءات العالية .

وهذا يعنى ان مادة ما تدعوه في عصرنا بـ « اللهجات » كانت واضحة في القراءات الشاذة كل الوضوح (٥٦) في الوقت الذي استطاعت فيه جهود اللغويين

---

(٥٥) المحتسب ٢٩٦/١ .

(٥٦) المصدر السابق ٢٩٦/١ .

يعضدهم الحاكمون الى ان تكون لغة فصيحة اخذت طريقها الى مجتمع آخذ بالنماء والاتساع . وكأن جمهرة القراء لم يأبهوا لاقوال اللغويين النحاة ونقدهم وان كان بين هؤلاء القراء جماعة من اصحاب النحو واللغة . وتسمية هذه القراءات بالشواذ حَمَلَ الضيم عليها فهي ليست دائما لغة الناس والطبقات العامة فقد يكون بين الذين رويت لهم هذه القراءات اعلم الناس بكتاب الله واقرؤهم له وهو امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رضى الله عنه) وبينهم عبدالله بن مسعود وهو احد كتاب الوحي وبينهم أنس بن مالك صاحب رسول الله وخادمه ، وعيسى بن عمر ويحيى بن يعمر من كبار النحويين .

ومما يقوى هذه القراءات رأى كبار اللغويين فيها ومنهم ابن جني في مقدمة « المحتسب » وقد اشرنا الى ذلك . وقد اشار ابن جني ليقوى هذه النماذج من القراءات الى انها تتصل بلغات القبائل والاقاليم فمما نسبه ابن جني من ذلك :

آ - تسكين الهاء عند الوصل : جاء في « المحتسب »[٥٧] ومنهم من يدع الهاء على سكونها في الوصل كما يسكنها عند الوقت ، كما ان منهم من يسكن الهاء المضمرة اذا وصلها فيقول : مررتْ به امس ، وذكر ابو الحسن انها لغة لازد الشراة . ذكر ابن جني هذا في التعليق على الآية « هذه سبيلي »[٥٨] في قراءة من يقرأ « هذهي سبيلي » بالياء اللاحقة بعد الهاء .

ب - ومن لغة تميم المسائل الآتية :

١ - تخفيف ثقل الحركات المتتابعة بعد التسكين : جاء في « المحتسب »[٥٩] :

---

(٥٧) المصدر السابق ٢/١٩٢ - ١٩٣ .

(٥٨) المحتسب ١/٢٤٤ .

(٥٩) المصدر السابق ١/١٠٩ .

ومن ذلك قال ابن مجاهد : « قال عباس : سألت ابا عمرو عن « يعلمهم » الكتاب ، فقال اهل الحجـــاز يقولون لا يعلمهم ويلعنهم » مثقلة ، ولغة تميم يعلمهم ويلعنهم •

قال ابو الفتح: فأما التثقيل فلا سؤال عنه ولا فيه ، لانه استيفاء واجب الاعراب ، لكن من حذف فعنـــه السؤال وعلتـــه توالى الحركات مع الضمات ، فيثقل ذلك عليهم فيخففون باسكان حركة الاعراب ، وعليه قراءة ابي عمرو •

٢ ـ ادغام المضارع المجزوم المضعف اللام :

جاء في «المحتسب»[٦٠] ومن ذلك قراءة عمرو بن عبيد وابى جعفر يزيد بن القعقاع (ولا يضار)[٦١] بتشديد الراء وتسكينها• قال ابو الفتح : أما تشديد الراء فلا سؤال فيــــه ، لانه يريد « يضارر » بفتح الراء الاولى او بكسرها • وكلاهما قد قرىء به ، أعنى الفتح في الراء الاولى والكسر ، والادغام لغة تميم ، والاظهار لغة الحجازيين على ما مضى ، لكن تسكين الراء مـــع التشديد فيه نظر •

٣ ـ تسكين ثاني الثلاثي اذا كان مضموما او مكســورا • جاء في المحتسب[٦٢] :

وهو الذي يرسل الرياح بشرا[٦٣] «قرئت» «نشرا» بضم النون وجزم • قال ابو الفتح : اما نشرا فتخفيف « نشرا » في قراءة العامة والنشر جمع نشور لانها تنشر السحاب وتستدره ،والتثقيل

---

(٦٠) المحتسب ١/١٤٨

(٦١) سورة البقرة ٢٨٢

(٦٢) المحتسب ١/٢٥٥

(٦٣) سورة الاعراف ٥٧

أفصح لانه لغة الحجازيين والتخفيف في نحو ذلك لتميم وهذه جارية في نظائر هذه الآية ، فالحبك باسكان الباء لغة تميم وبالضم لغة الحجاز في قوله تعالى « والسماء ذات الحبك » سورة الذاريات ٧ .

٤ ـ كسر شين عشرة : جاء في المحتسب[٦٤] .

ومن ذلك قراءة الاعمش وطلحة بن سليمان : « فانبجست منه اثنتا عشرة عينا »[٦٥] بكسر الشين من عشرة ، قال ابو الفتح : ان « عشرة » بكسر الشين تميمية وأما اسكانها فحجازية .

٥ ـ كسر أول المضارع اذا كان ثاني ماضيه مكسورا : جاء في المحتسب[٦٦] :

ومن ذلك قراءة يحيى والاعمش وطلحة ورواه اسحاق الازرق عن حمزة « فتمسكم النار »[٦٧] بكسر التاء .

قال ابو الفتح : هذه لغة تميم ان تكسر اول مضارع ، ثاني ماضيه مكسور نحو علمت تعلم وأنا اعلم ونحن نركب ، وتقل الكسرة في الياء نحو يعلم ويركب استثقالا للكسرة في الياء ، وكذلك ما في اول ماضيه همزة وصل مكسورة نحو تنطلق ، ويوم تسود وجوه فكذلك فتمسكم النار » .

٦ ـ جمع صنو على صنوان (بالضم) جاء في المحتسب[٦٨] :
والصنوان بالضم لتميم وقيس ، وبالكسر لاهل الحجاز .

---

(٦٤) المحتسب ١/٢٦١ .
(٦٥) سورة الاعراف ١٦٠.
(٦٦) المحتسب ١/٣٣٠ .
(٦٧) سورة هود ١١٣ .
(٦٨) المحتسب ١/٣٥١ .

٧ ـ تسمية القبر بالجدف في لغة تميم[٦٩] وبالجدث في لغة الحجاز ٠

ومن اللغات الخاصة

كسر شين « شجرة » ٠

جاء في المحتسب[٧٠] قال عباس : سألت ابا عمرو عن « الشجرة » بكسر الشين فكرهها وقال : يقرأ بها برابر مكة وسودانها ٠ ومن هذه اللغات :

كسر همزة ايان « كما جاء في المحتسب »[٧١] وقد قرأ السلمى : « ايان مرساها »[٧٢] بكسر الهمزة والسلمى يشير الى بني سليم ومنها : ضم اول الاجوف حين بنائه للمجهول وقلب عينه واواً نحو قول وبوع وهي لغة لبني ضبّة[٧٣] ٠

ومنها : تحريك الحلقى الساكن بعد فتح : جاء في المحتسب[٧٤] ٠ ومن ذلك قراءة سهل بن شعيب النهمى : « جهرة »[٧٥] و (زهرة)[٧٦] ٠

قال ابو الفتح مذهب اصحابنا في كل شىء من هذا النحو مما فيه حرف حلقى ساكن بعد حرف مفتوح : انه لا يحرك الا على انه لغة فيه ٠٠٠٠ ومذهب الكوفيين فيه انه يحرك الثاني لكونه حرفا حلقيا فيجيزون فيه الفتح وان لم يسمعوه،كالبَحْر والبَحَر والصَخْر والصَخَر٠ وما ارى القول من بعد الا معهم،والحق فيه الا في ايديهم ، وذلك انني سمعت عامة عقيل تقول ذلك ولا تقف فيه سائغاً غير مستكره ، حتى لسمعت الشجريّ يقول انا محموم بفتح الحاء

(٦٩) المصدر السابق ٢/٦٦ .
(٧٠) المصدر السابق ١/٧٣ .
(٧١) المحتسب ١/٢٦٨ .
(٧٢) سورة الاعراف ١٨٧ .
(٧٣) المحتسب ١/٣٤٥ ـ ٣٤٦ .
(٧٤) المحتسب ١/٨٤ .
(٧٥) البقرة ٥٥ .
(٧٦) سورة طه ١٣١ .

وليس احد يدعى ان في الكلام «مفعول» بفتح الفاء ، ومنها : ان الكوفيين اجازوا « ترئن » بالهمز وهي قراءة ابي عمرو وانشدوا :

« كمشترىء بالحمد أحمره بَتْرا »(٧٧)

ومنها قلب الف المقصور ياء حين يضاف الى ياء المتكلم • كقراءة النبي صلى الله عليه وسلم وابى الطفيل وعبدالله بن ابى اسحاق وعيسى بن عمر الثقفي : « فمن اتبع هُدَيَّ » •

قال ابو الفتح : هذه لغة فاشية في هذيل وغيرهم(٧٨) •

بعد هذا العرض لحال العربية في لهجاتها من خلال كتب اللهجات والقراءات وما اثر عن المتقدمين من كبار الصحابة واللغويين ممن عُنوا بالقرآن ، يبدو لي ان العربية توحدت في نمط فصيح في أبنيته ومعانيه واصواته ونحوه وصرفه بسبب الجهود التي توجهت الى جمع القرآن وتوحيد قراءاته وتهيئة المصحف المشهور ، ولولا ذلك لكانت لغات عدة تختلف في كل شيء من عناصرها المختلفة • ورب سائل يسأل:لِمَ كانت النصوص الشعرية جارية على النمط الفصيح المشهور ؟ ولِمَ لم يعرض لها ما وجد في القراءات ؟

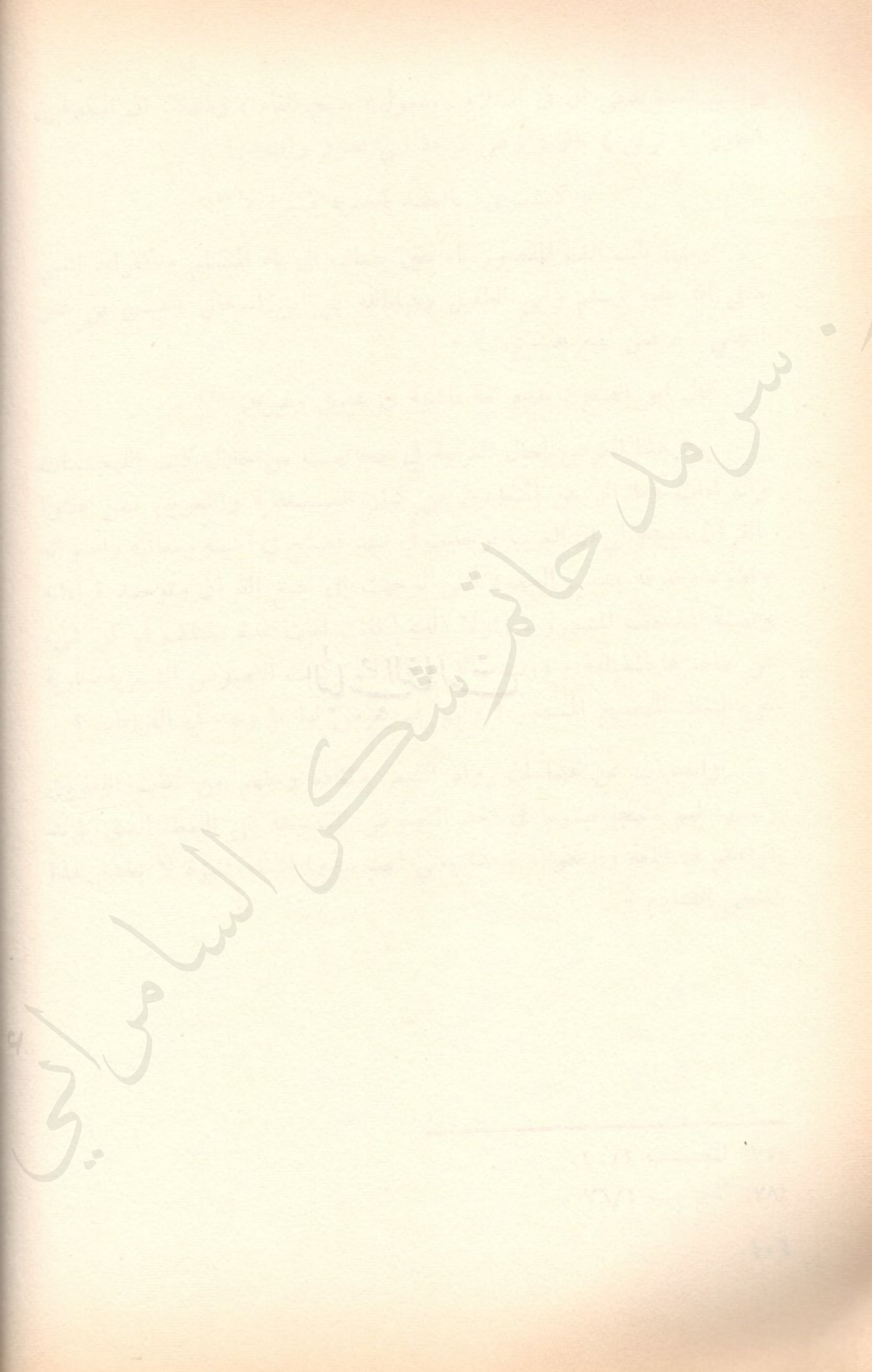
والجواب عن هذا ان رواة الشعر ونقاده وجلهم من ثقات اللغويين رسموا لهم منهجا صارما في اخذ النصوص الفصيحة على النمط الذى يؤيد آراءهم في اللغة والنحو • وهذا يعني أنهم نبذوا اشياء كثيرة لا تخدم هذا المنحى الصارم •

---

(٧٧) المحتسب ٢/٤٠.

(٧٨) المحتسب ١/٧٦ .

الباب الثالث



الفصل الاول

قدم الفعل في العربية

لم يحظ الفعل من عناية اللغويين العرب بقيمته التاريخية ، كما لم يحظ بقيمته اللغوية في مباحث النحويين . وليس بي حاجة ان اعرض لشيء من هذا فقد كان لي أن ذكرته في موضع آخر يتصل بهـــذا الدرس النحوي اللغوي .

لقد شغل الفعل حيزاً كبيراً في العربية ، وكانت الجملة العربية ولا سيما المصدرة بالفعل هي الجملة الواضحة في هذه اللغة وفي سائر اللغات السامية . ولم يفطن اهل عصرنا الى هذه الخصيصة الواضحة . ومن اجل ذلك بدأت هذه الظاهرة اللغوية المميزة تنحسر قليلا فصارت الجمل تصدّر بالاسم في كتابات المعاصرين ولا سيما الشباب منهم . واكبر الظن ان ذلك من القراءات في اللغات الاعجمية والنقل عنها .

قلت : ان الفعل يشغل مكانا واضحا في العربية . وأريد ان انبه ان هذا الفعل لمكانته العريقة قد تجاوزوا فيه حدّه ومكانه فحوّلوه من الحدوث والتجدد الى الثبوت فصار من مواد الاسماء .

ومن المفيد ان اشير الى أن الفعل المتجدد المستمر وهو بناء « يفعل » استخدم في العصور المتقدمة جداً في تاريخ العربيـــة مادة في « العلمية » للذكور من اعلام العاقلين .

ولعل ذلك كان متبعاً في أعلام الاناث وان أخلّ الاستقراء في اثبات هذه الحقيقة اللغوية . واذا عرفنا اننا لا نملك المواد الكثيرة من هذه اللغة

التاريخية فلا نستطيع ان نقول : ان الاستقراء لم يؤيد هذه الحقيقة • وقد تجاوزت هذه الظاهرة اللغوية أعلام العاقلين الى غيرها من أعلام المواضع والمدن • وهذه ظاهرة ينبغي ان نقف عليها وقفة خاصة فنستقريها ونسجلها ونفسرها التفسير التاريخي • وهذا من غير شك يضيف فائدة جديدة في تاريخ الفعل في العربية وتاريخ العربية بوجه عام •

ومن المفيد أيضا ان اشير الى ان الاستقراء قد هداني الى أن جمهرة هذه الأصول الفعلية في مادة الاعلام كانت واضحة كل الوضوح في العربية الجنوبية وهي العربية اليمانية القحطانية ، ولعلها ظاهرة خاصة باللغة اليمانية • ثم ان الدراسات الحديثة في نقوش اليمن اثبتت هذه الحقيقة اللغوية • وقد يكون من نتائج الاستقراء اننا نظفر بشيء من هذه المواد في العربية الشمالية • لعل هذا من باب التأثر والانتقال ، ثم من باب ما خلفته هجرة اليمانيين القحطانيين الى شمالي بلاد العرب والبادية الشامية •

ولعل استخدام المادة الفعلية في التسمية في أعلام العاقلين وفي اعلام المواضع دليل على عناية العرب في اقدم العصور بهذا الضرب من الكلم وغلبتها على غيرها من الالفاظ •

ومن غير شك أن هذا ينسجم مع عناية الشعوب « السامية » أو شعوب شبه الجزيرة العربية بهذه المادة • ومن ثم عرفنا سبب اشتهار الجملة الفعلية ولا سيما تلك المصدرة بـ « الفعل » في اللغات السامية عامة •

ان بناء « الفعل » في العربية وغيرها من اللغات السامية مادة تفيد الحدوث والتجدد والاستمرار • وهذه الفائدة الصق بهذا البناء من الدلالة على زمن معين محدود بالحال والاستقبال ذلك ان ضبط الحال والاستقبال في استعمال هذا البناء أمر يفتقر أشدّ الافتقار الى التحديد •

وقد استقريت المصادر التي تعنى بأخبار اليمن فوقفت على جملة كبيرة من هذه المواد الفعلية التي روّضها العرب في اقدم عصورهم فاتخذوها اعلاماً مستفيدين من معاني بناء « يفعل » والحاقها بالاسمية العلمية •

لقد وجدنا شيئاً من ذلك في العربية الاسلامية نحو :

يبقى ويحيى ويزيد ويعيش ويسوت وكلها متضمنة معنى الدعاء بالبقاء والحياة والزيادة والعيش ، اما يسوت فهو على ارادة الضد وهذا من مذاهبهم في كثير من الالفاظ وقد عرض له أهل اللغة في باب « الأضداد » .

وليس غريبا ان يكون شيء من هذه الفائدة قد توخاه عرب الجنوب الاقدمون . ولعل هذا يفسر مجيء هذه الاعلام على «الفعل» ولم يكن شيء منها على بناء « فعل » .

ومن المفيد ان الاستقراء لم يهدنا الى ان هذه الطريقة قد استعملت في الأعلام المؤنثة الا نادراً . ولا استطيع ان اذهب الى انكار هذه الحقيقة العلمية ذلك اني لا أملك من المواد قدراً كافياً يعين على اثبات هذه المسألة .

ولعل في جمهرة النقوش الموجودة في العربية الجنوبية ما يفي بهذه الحاجة .

قلت : ان هذه المواد اللغوية ظهرت في العربية الجنوبية وربما كانت احفل من غيرها في الافادة من المواد الفعلية .

ولنعرض لما ورد في المصادر التي اشرنا اليها بادئين بكتاب « الاكليل » للهمداني ومن هذا ما ورد في الجزء الاول الذي نشره محمد بن علي الاكوع في القاهرة سنة ١٩٦٣ وهو :

تريم بن راغو في ١/٨٥ .

تزيد بن حلوان ، وتزيد بن حيدان في ١/١٨١ .

وذلك في نسب قضاعة .

ولابد لي ان أقول : ان هذه الاعلام قد جاءت على بناء « تفعل » فكأنها للمخاطب وليس على « يفعل » للغائب . ومجيئها على « تفعل » بالتاء لا يخرجها عن الفائدة المتوخاة المقصودة التي قد تكون مما كانوا يرمون اليه من « الدعاء » او شيء يقرب من ذلك . وكيف لا يكون ذلك والعلم

« تزيد » لا يفارق معنى الزيادة ولعل « تريم » شيء من « يريم » أو يومىء اليه قليلاً ومعناه البراح او الاقامة •

تغلب بن حلوان وتغلب بن وائل في ١/١٨١ •

وتغلب بن وبرة في ١/١٨٤ •

وليس من شك ان « تغلب » من الغلبة وكان العرب عامة يسمون ابناءهم بما يدل على الغلبة والفوز على أعدائهم نحو غالب وغلاّب وفائز وفواز وفوز •

ويثرب بن قانية في ١/٨١ •

وبه سميت « يثرب » جاء في معجم ياقوت (٤/١٠٠٩) :

قال ابو القاسم الزجّاجي : يثرب مدينة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سميت بذلك لان أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية فلما نزلها رسول الله سماها طيبة •

أقول : وهذا يعني ان الرسول الكريم قد استبعد الاسم الاول « يثرب » لدلالته المعروفة كراهية للتثريب •

ويحنن بن حسريت في ١/١٩٢ وذلك في نسب مهرة بن حيدان •

وما أظن الا ان « يحنن » هذا من مادة « الحنان » •

ويرسُم بن كثير في ١/٢٩٤ وذلك في نسب عنز بن وائل •

ويشجُب بن سبأ في ١/١٠٦ ، ١١٤ ، ١٢٧ ، ١٣٣ في باب فرق ما بين قحطان وعدنان •

ويشجب بن يعرب في ١/١١٤ •

ويشكُر بن وائل في ١/٨٩ في نسب الحارث بن حلزّة •

ويعرب بن قحطان في ١/٨٣ •

ويَعلَى بن زيد بن مالك في ١/٢٧٢ •

ويعلى بن رازح في ١/٣٢٣ ، ٣٤٨ وذلك في أنساب رازح بن خولان •

اقول : وقال اللغويون : « يَعلى َ » اسم وكأنها في الاشتقاق من مادة « علو » في تصورهم ذلك انهم انكروا ان يكون في العربية « ع ل ي » •

قال ابن جني في التعليق على « عَلاية » وهي اسم موضع ورد في قول أبي ذؤيب •

فيا أمّ خشفٍ بالعلاية فارِدٌ
تنوش البرير حيث نال اهتصارها

قال ابن جني :

الياء في العَلاية بدل عن واو ، وذلك انّا لا نعرف في الكلام تصريف (ع ل ي) ، انما هو (ع ل و) فكأنه في الاصل علاوة الاّ انه غُيِّر الى الياء من حيث كان علماً ، والاعلام مما يكثر فيها التغيير والخلاف •

أقول : وكلام ابن جني في أن سبب التغيير من الواو الى الياء بسبب كونها علماً ليس شيئاً • ولا أرى إلا ان يكون للكلمة أصل يائي ولا سيما في العربية الجنوبية وعلى هذا يكون « يَعلى َ » فكأنه من (ع ل ي) •

ويغنم بن ربيعة في ١/٢٧٧ ويغنم بن سعد في ١/٣٢٣ •

ويغوث بن قحطان في ١/١١٩ •

ويقطن بن عابر في ١/٨٥ وذلك في نسب أرفخشد بن سام •

ويَمْنا في نسب حِمير بن سبأ في ١/١٣٢ •

وفي الجزء الثاني (القاهرة ١٩٦٣) ورد من هذا الباب الاعلام الآتية :

تبين بن عنس في ٢/١٦١ في نسب سدد بن زرعة •

وتنوخ بن ثابت في ٢/٣٨١ في نسب آل ذي حسّان •

أقول : والنوخ الاقامة •

وتُجيب ابنة ثوبان المذحجية في ٢/٢٩ • وهي اسم قبيلة مشهورة •

أقول : والذي في « لسان العرب » (جيب) : تجيب (بضم التاء) بطن من كندة وهو تجيب بن كندة بن ثور •

وهذا يعني ان « تجيب » علم للمذكر والمؤنث وكلاهما في اليمن .

ويحسن بنا ان نشير الى « تَجوب » بفتح التاء وهو اسم قبيلة من حمير حلفاء لمراد . انظر « لسان العرب » (جوب) .

وتُخلي بن عمرو بن معد يكرب في ٢/٨٠ وذلـــك في نسب علاق بن عمـــرو .

وتَدمُر ابنة حسّان في ٢/٩٠ وذلك في نسب السَمَيدع .

وتُراحِب بن جهران (بضم التاء) في ٢/١٩٤ وذلـــك في نسب بنو يحصب .

وتَرحَب بن دهمان وترحب بن يحصب في ٢/١٩٤ وذلـــك في نسب آل ذي يَهَر .

وتريس بن صهاية في ٢/٢٣ وبه سمّيت مدنية تريس .

وتريم بن حضرموت بن سبأ في ٢/٣٦٩ في نسب حضرموت بن سبأ .

وتعود بن أصبح في ١٤٦/٢ في نسب الأصابح .

وتمضر بن سَمُرة في ٢/٢٠ في نسب خُوار بن الصدف .

وتنأد بن أبرش في ٢/٣٥٧ في نسب بني حجر بن يريم ذي رعين .

وتُناعِم بن ذي مكارب في ٢/٣٦٨ في نسب نعاتة .

وتُنعِم بن حضرموت في ٢/٣٦٩ في نسب حضرموت بن سبأ .

ويامَن بن حسّان في ٢/١٣٩ .

ويجرح بن شمر ذي الجناح في ٢/٧٨ .

ويحبس بن ذخار في ٢/٨١ .

ويحصب بن دهمان في ٢/٤٦ ، ٨٦ .

ويحبُر بن الحارث في ٢/٣٣٦ .

ويحمَد بن اسعد في ٢/٣٥ .

واليَحموم بن زيد بن غالب في ٢/٧١ .

واليحموم فرس النعمان بن المنذر في ٢/١٥٩

أقول : وبناء « يفعول » من الابنية القديمة الفعلية التي استفيد منها في العلمية للعاقلين ولغيرهم وللجمادات كالنبات والشجر وشخوص الطبيعة الاخرى . وقد استقرى الصاغاني اللغوي هذا البناء في كتاب خاص نشرناه في بغداد . ولعل « يفعول » بمطل الضم اصل بناء « يفعُل» بالضم .

ويدرس بن عامر ذي حوال في ٢/١٧٧ .

ويدع بن ذي خولان في ٢/٣٨٣ .

ويدوم بن يجرح بن شمر في ٢/٧٨ .

ويريس بن حضور في ٢/٢٨٣ .

ويريم ذو رُعين في ٢/٩ .

لقد تقدم أنهم سموا « تريم » فكأن هذا البنـــاء الفعلي يتوزع بين المبدوء بالتاء ولعل أصله ما كان فعلاً للمخاطب ، وبين المبدوء بالياء ولعل أصله ما كان فعلاً للغائب .

ويزأن تـُبـَّع بن الحارث في ٢/٧٨ .

أقول : وليس في معجمات العربية شيء عن هذا الأصـــل « زأن » .

والذي فيهـــا ان : « ذو يزن » ملك من ملوك حمير أصله يزأن من لفظ الزؤان . وليس من علاقة بين الزؤان وهو حب يكون في الطعـام واحدته زؤانة ، وهذه المادة العربية اليمنية .

وقالوا : ورمح يَزَنِيّ وأَزَنِيّ ويَزْأنيّ وأزأنيّ ، وأيزنيّ على القلب ، وآزنيُ على القلب ايضاً .

ويسر بن أصبح في ٢/١٩٦ .

ويعتب في شعر تـُبـَّع في ٢/٣٨٩ قال :

ويعتبُ يعتب خـالي الذي له الشرف الضخم والعنصر

ويعرب نيكف بن جيدان في ٢/٣٦١ .

ويعرم وهب ودبن كوكبان في ٢/١٠٧ .

ويعفر بن الاسود بن المعترف في ٢/٧٥ .

ويفاح بن جبل في ٢/٨٤ .

ويفع بن ذى الاجراد في ٢/١٤٢ .

أقول : ان « يفاع » و « يفع » أصل واحد . ولا استطيع الا أن أعد « يفاع » اصلاً فعلياً مثل « يَهاب » ، كما لا استطيع ان أعد « يفاع » اسماً دلالته على المشرف من الارض والجبل كما في كتب اللغة .

وفي العربية الشمالية ان « اليافع » ما أشـــرف من الرمل ، وقالوا : جبال يَفَعات ويافعات أي مشرفات ، وكل شيء مرتفع فهو يفاع وغـــلام يافع ويَفَعة . وأفَعَة ويَفَع : شابٌ .

ومن يدري لعل هذه وتلك مادة واحدة ومعنى واحد .

ويكار بن يحصب في ٢/١٩٤ .

ويكر بن كركر في ٢/١٩٥ .

أقول : ولم أجد هذا الأصل في العربية الشمالية ولا ما يقاربه .

ويكسوم بن يدوم في ٢/٧٨ .

أقول : ويكسوم هذا مما يستدرك به على « يفعول » عند الصاغاني الذي أشرت اليه .

ويكالم بن عريب بن جيدان في ٢/١ .

أقول : لعله من مادة « الكلم » المعروفة المشهورة .

ويَكلَى بن زرعة في ٢/١٠٦ .

ويجد اخنس بن معدي كرب في ٢/٦٨ .

وينأر بن جرهم في ٢/٩١ .

ويناع بن حَضوَر في ٢/٢٨٣ ٠

أقول : لعل « يناع » من معنى « ينع وأينع » للثمر اذا نضج وأدرك فهو يانع ومونع ٠

ويُنعِم بن ذي صبعان في ٢/٨٣ ٠

ويَنكفَ بن زرعة بن يعفر في ٢/٢٧١ ٠

جاء في « لسان العرب » : ويَنْكَف اسم ملك من ملوك حمير ٠ وينكف موضع ٠

ولم أر في معاني « نكف » في العربية المعجمية التي نعرفها بـ « عربية الشمال » ما استطيع ان أقطع به على أنه المعنى الذي قصد في التسمية بهذه الفعلية ٠

وينوف بن شرحبيل بن ينكف في ٢/٧٩ ٠

أقول : ولعله من « النوف » الذي يعني الزيادة ٠ ومازال العرب حتى يومنا هذا يسمون بهذا الفعل فيقولون : « نايف ونوّاف » ٠

ويهبُر ذو ماور في ٢/٢٩٩ ٠

أقول : ولعله من الهَبْر اي القطع ٠

ويهبلظ في ٢/٣٨٩ ، وجاء في شعر تُبَّع :

وكــان يُهبلظ لا ينثني اذا جَنَّه الدرع والمِغفَر

أقول : لابد ان يكون « يهبلظ » من « هبلظ » والهــاء من الزيادة كالهمزة ولكنها تثبت في بناء المستقبل وهي نظير هراق ويُهريق التي بقيت في العربية الشمالية وقد استعمل هذا الفعل الاخير في شعر الجاهليين تأثراً بالعربية الجنوبية وكأنهم ظنوا ان الهاء من بناء الفعل وليس صوتاً كالهمزة ٠ وهذا يعني ان «هراق » هي « اراق » ، ولأنهم توهموا انها صوت كسائر أصوات الكلمة وليست زائدة ثبتت في المستقبل ٠

جاء في « اللسان » : الازهري : هراقت السماء ماءها وهي تهريقُ والماء مُهْراق . الهاء في ذلك كله متحركة لانها ليست بأصلية انما هي بدل من همزة « اراق » .

قال : وهرقت مثل أرقت ، قال : ومن قال أهرقت فهو خطأ في القياس .

قال امرؤ القيس :

وان شفائي عبرة مُهَراقة   فهل عند رسم دارسٍ من مُعوَّلِ

وقال النابغة :

وما هُريق على الانصاب من جَسدِ

ومثل هذا قالوا : أَرَحتُ الدابّة وهرحتها ، وهنرت النار وأنَرتها .

ولم أجد أصل «بلظ» التي هي مادة العلم «يُهبلظ» موطن الشاهد في الأصول العربية المعروفة .

ويهسع بن الهميسع في ٢/١ ، ٥

ويُهصدِق بن هامن في ٢/٣٨٩ ، وجاء في شعر تُبَّع :

وكان يُهصدق عند اللقا   يطول لعمري وما يقصر

والهاء في « يهصدق » نظير الهمزة فكأنه من « هصدق » الماضي أي « اصدق » .

ويُهمجد بن الفياض في ٢/٣٨٩ ، وجاء في شعر تُبَّع :

وكان يُهمجد ذو نائل   بنى المجد فهو مسأر

ويُهفرع في ٢/٣٨٩ في قوله :

وكان يهفرع لا ينثني   اذا جَنَّه الدرع والمِغفَرُ

ويهكر بن ذي ذرانح ويهكار بن ذي ذرانح في ٢/٩٩ .

ومن هذا الباب طائفة من اسماء البقاع والمواضع اليمانية هي :

تريم : وهي مدينة بحضرموت •

وتعز : مدينة في اليمن •

ويحصب : موضع في اليمن •

وينكف : موضع في اليمن •

وتريس : مدينة بحضرموت •

وتفيش : قرية بحضرموت •

وتَلْغَم : قصر مقابل لقصر ناعط في ٢/٩٨ •

وتنادح : موضع في ٢/١٦٣ •

ويشبيم : مدينة بحضرموت في ٢/٢٦٣ •

ويشيع : بلدة عامرة من ظاهر همدان في ٢/٢٦٣ •

ويفرس : موضع في ٢/٣٤٠ •

أقول : ومن هذا الباب يثرب وينبع وتبوك واليرموك وغيرها •

وفي « الاكليل » الجزء الثامن (برنستون ١٩٤٠) من هذا الباب ما يأتي :

يحابر : في ص ١٠٦ ، قال فروة بن مسيك :

أحلّ يُحابِرُ جدّي غطيفـا   معين الملك من بين البنينـا

ويحبس : موضع في ص ٨٤ •

ويحبش : موضع في ص ٨٢ •

اذا ما طلعنا النجد من رأس يحبش   انارَ لنا الملك والعز صِرواح

ويحضب في ص ٢٩ ، قال أسعد تبّع :

على الجنة الخضراء من أرض يحضُبٍ ....

ويراخ في ص ٨٦ قصر أبيض في جبل حصين •

ويرقَم في ص ٩٤ جماعة قبيلة .

ويشحم في ص ٦٧ ، قال علقمة :

وذا رئـام وبنـى فارسٍ واجدع القيل اخا يشـحما

ويشيع في ص ٩٤ قصر ، ومنه بنو يشيع قبيلة .

وقصر يعرق من قصور ناعط في ص ٣٤ .

ويفيق في ص ٨٧ موضع بذي رعين .

وقصر يكلى في ص ١٠٣ .

ويمجد في ص ٩١ .

ويندر في ص ٦٩ جبل .

وينوف في ص ٥٣ قال :

شحرار قصر العلا المنيف امّـه تبَّـع ينوفُ

وذو يهر في ص ٥١ من أهل اليمن .

وفي الجزء العاشر من الاكليل (بتحقيق محب‌الدين الخطيب) .

تملك في ص ١٦٧ ام يزيد بن عمرو بن امرىء القيس بن عمرو .

ويحبُر بن اخرم ص ٢٤٧ .

ويطاع ويارم ص ٨ أقيال شعبين .

ويعوق : صنم ص ٥٦ .

وفي صفة جزيرة العرب للهمداني القاهرة ١٩٥٣ .

تعشر : واد ص ٧٣ .

وتَعكر : مدينة ص ١٠٠ .

وتَضرُع في بلد السكاسك : ص ١٨١ .

وتوضح : موضع (في شعر امرىء القيس) ص ١٤٠ .

ويثقب : من ديار غطفان ص ١٢٩ •

ويثلث : موضع ص ٢٣٠ في قول امرىء القيس :

قعدت له وصحبتي بين ضارج وبين تلاع يثلَث فالعريض

ويندَد ويَحال : من أرض جهينة •

ويحضِب بن دهمان ص ١٠١ ويحضِب : موضع ، قال :

وبالربوة الخضراء من أرض يحضبٍ ....

ويحكش ص ٨٣ سيل في الجوف •

ويخار : موضع ص ١٠١ •

ويداع : واد ص ١٠٨ •

ويفد : واد ص ١٠٨ •

ويذبل : جبل ص ١٣٦ •

وذو يَقَن : من مياه ثهلان ص ١٤٧ •

وتزيد : ماء ص ١٤٧ •

يُزْحَم : بئر في حمير ص ٩٠ •

يسقى : واد لبني عمرو ص ٩١ •

ويسلحَ : موضع في أليمن ص ١٩٠ •

ويُسنِم : موضع في اليمن ص ٨٤ •

ويَشبم : واد لحمير ص ٩٦ •

ويشور : موضع في همدان ص ١١٠ •

ويصاع : في أرض السراة ص ١٢٣ •

ووادي ذي يعزَر في ص ١٠١ •

ويعموم : موضع في الجوف ص ٨٢ •

واليَعْمل : واد في اليمن ص ١٩٣ •

ويعيش : موضع في اليمن ص ١١٥ •
ويثفاء : ماء ص ١٥٥ •
وفي كتاب شمس العلوم لنشران (ليدن ١٩١٦) •
يُحمد بن ذى الرمحين ص ١٠٦ •
ويُرعش ص ٣٣ ، قال النعمان بن بشير :
وحسان ذو الشَعبين منّا ويُرعِش
وذو يَزَنٍ تلك البحور الخَضارم
يكسوم : موضع ص ٦١ •
ينقم : موضع في اليمن ص ١٦٩ •
ذو اليُنيم : موضع يسكنه بنو ضرار ص ١١٨ •
وفي معجم البلدان لياقوت (ط اوربا ١٨٦٩) الجزء الرابع •
يبرود : بليدة بين حمص وبعلبك •
ويُبْنى : على بناء ما لم يُسَمَّ فاعله ، بليد قرب الرمله •
ويبوس : جبل بالشام •
يَترَب : قرية باليمامة •
يثجل : موضع •
يثرب : تقدم ذكرها •
يثقُب : موضع بالبادية ، قال النابغة :
أرسماً جديداً من سعادَ تجنّب
عَفَت روضة الأجداد منها فيثقُبُ
يحطوط : اسم وادٍ •
يحمول : اسم قرية مشهورة من قرى حلب ••••
يَحير : اسم بلدة نُسب اليها بطن من كندة وبطن من حِمير
يَديع : ناحية بين فدك وخيبر بها مياه وعيون •
يُراخ : حصن من اعمال النجاد باليمن •
يُرامل : اسم واد لاهل ابن مقبل •

يَرْبَغ : موضع في ديار بني تميم بين عمان والبحرين •

يَرْثد : وادٍ •

يرثَم : جبل في ديار بني سليم •

يرمَل : موضع في شعر الراعي :

حتى اذا حـالت الأرجـاء دونهـم

أرجاء يرمَلَ حار الطرف اذ بعـدوا

يَسوم : جبل في بلاد هذيل ، قال بعضهم :

حلفت بمن أرسى يسوم مكانه

يَعمون : موضع باليمن من منازل همدان ، قال فروة بن مُسيك المرادي يخاطب الاجذع بن مالك الهمداني :

دَعوا الخوف الاّ أن يكون لأمِّكم

به عُقُرٌ في سالف الدهر أو مَهْر

وحُلّـوا بيَعمونٍ فانّ أباكُـم

بهـا وحليفـاه المذلّـةُ والفَقْر

يَقَن (بالتحريك) : ماء ، قال بعضهم :

قد فرّق الدهر بين الحيّ والظَعَن

وبين أهواء شُـرب يومُ ذي يَقَن

وذو يَقَن ماء لبني نُمير بن عامر بن صعصعة ، قال الشاعر :

عَلَّق قلبـي بأعـالى ذي يَقَن

أكّـالةَ اللحـم شـروباً للَّبَنْ

يَلْبَن : جبل قرب المدينة • وقيل هو غدير للمدينة •

الفصل الثاني

من أصول العربية

نسمع بين الحين والحين أصحابنا اهل علوم هذا العصر يتوجهون الينا نحن أهل علوم العربية بشيء أقسى من النقد فيقولون أما يكفي « ضرب زيد عمرا » ، وكأنهم لمحوا ان العلم انتهى في هذه المواد العتيقة في علوم العربية • ولا يريد أصحابنا هؤلاء أهل العلم الجديد ان ينالوا من العربية او يقدحوا فيها ، ولكنهم يريدون ان يقولوا ، إنكم يا أهل هذه العلوم العتيقة بعيدون عن العلم في عصرنا هذا ، ثم انكم لم تضربوا بسهم في خدمة هذه العربية التي ابتعدت عن عصرنا وعلومه لتقاعسكم في خدمتها وفهمها وافهامها •

قلت : لعل في هذه المقولة من الحق شيئا كثيرا ، ذلك انأصحابنا أهل العربية درجوا على شيء لا يرضاه منطق هذا العصر • اننا ما زلنا ندرس هذه اللغة التي فرض عليها ان تساير العصر ، بطرائق العصور المتأخرة في تاريخ العربية • وما زالت مصنفات القرن السادس والقرن السابع الهجريين بل حتى القرون اللاحقة هي مقطع العلم ومفصل الرأي في علم النحو العربي •

وكأن ليس بيننا وبين اهل العلوم في هذا العصر من صلة الرحم وشائج تفرض علينا السير في طريق واحد ومنهج واحد هو منهج العصر الحديث • أو كأننا نحن دارسي العربية في جزيرة تقطعت بها الاسباب فلا صلة لها بالمعمور العامر بالعلم في دنيانا هذه •

أخلص من هذه الكلمات لأعرض لشيء من مناهج الدرس في العربية وما أدت الى نتائج غير سلمية •

قال دارسو أدبنا القديم : ان اللغة في النصوص القديمة هي لغة بدوية ، أقول : ليس في الامر ما يجافي الصواب غير ان هؤلاء الدارسين لو التزموا بمنهج العلم القائم على الموضوعية لانتهوا الى نتائج اخرى تضيف الى بداوة اللغة مادة جديدة . ومن العجيب ان دارسي العربية غير ميالين للاخذ بالجديد ، او قل غير مبالين الى ان يغيروا ما درجوا عليه ، فقد وجدوا ان السابقين منهم قد اطلقوا مزاعم فهم على آثارهم مقتدون .

قلت : ان مقولتهم ببداوة اللغة حق لامراء فيه ، ولكنهم لم يستقروا المادة القديمة من النصوص الكثيرة استقراء وافيا ليخلصوا الى هذه النتيجة . ولو أنهم فعلوا ذلك لوجدوا شيئا آخر يضيفونه الى مقولتهم فينتهون الى علم قائم على الصدق .

وأريد ان أقول : ان أصول العربية بدوية وأن سمات البداوة تبدو في كثير من النصوص . وحسبك ان تعرف ان الشاعر القديم قد وقف على الديار واطلالها فبكاها واستبكاها ، ووصف ما لاح له مما أبقته الايام فيها فتجد من ذلك صورة بداوة خالصة للبداوة . ثم انك لتراه يطوى أرضه القفر على راحلته فيعرض عليك مما يتصل بالجمل والناقة شيئا كثيرا من مواد تلك البيئة المقفرة . وبعد فلا تعدم ان تتبين شخوص تلك البيئة مما يدرج عليها من حيوان او طير . وما ينبت فيها من نبات وشجر وما يعرض لها من الريح والبرق والسحاب والرعد . وجملة هذه المواد تعطي صورة البيئة الجاهلية .

وما أظن ان الحاجة تدعو الى شيء من الاستشهاد بجملة من النصوص القديمة فذاك أمر معروف مشهور . غير ان الشعراء الجاهليين يختلفون في القدر الذي يفصح عن تلك البداوة ، ذلك ان طائفة منهم قد اوغلت كل الايغال في تلك الطبيعة القاسية الجافية ، فالتزمت بمواد البداوة الخالصة مما اصطلح عليه بالاوابد او الشوارد او ما سمي بـ « الغريب او النوادر » في حين ان طائفة اخرى لم تذهب هذا المذهب القاسي . ومن أجل هذا فاننا

نجد طائفة منهم قد حفل أدبهم بكل قديم نافر من أدوات البيئة البدوية ، فالرجاز والصعاليك قد حفل أدبهم بشيء كثير من ذلك •

على أن البداوة ماثلة في سائر الادب القديم ، وليس الشعر وحده المادة التي نجد فيها آثار البداوة ، بل اننا لنلمس هذه العناصر البدوية في الامثال القديمة •

ولعل المثل القديم خير صورة للبيئة البدوية ولعله اكثر اصالة وصدقا من نصوص الشعر الجاهلي ، ذلك ان نصوص الشعر قد فرضت على الشاعر القديم نمطا من القول لابد من التزامه • وقد بقيت القصيدة العربية تجرى على نسق من البناء ذى اجزاء ضم بعضها الى بعض في هيأة عمارة خاصة طوال عصور عدة • وهذا يعني ان القصيدة الجاهلية في بنائها وترتيبها وموضوعاتها ومادتها البدوية بقيت واضحة المعالم في القصيدة الاسلامية ، بل قل خلال عصور أخرى • وظلت تلك المعالم التي تضرب أصولها في البيئة القديمة المثال الذي يحتذيه الشعراء طوال العصور • ومن اجل هذا أبى النقاد الاوائل ان يستحسنوا شيئا مما قيل بعد عصور الاحتجاج بحجة ان تلك النصوص قد ابتعدت عن النمط القديم الذي استجادوا لفظه ومعناه وبناءه وما حكاية « عمود الشعر » الا شيء من هذا •

اذا كان هذا النمط من الادب قد درج على أصول وقواعد صارت سنة ومنهجا يتبعه الشعراء ، أفلا يحق لنا ان نقول ان كثيرا من هذه المواد قد داخلها التقليد وما نسميه بـ « الصناعة » ومن ثم تكون « الامثال العربية » أصدق وأدل على البيئة الجاهلية ببداوتها ، ثم البيئة الجاهلية بقراها ومواطنها الحضرية وشبه الحضرية •

ولا أريد ان اترك البداوة وعلاقتها بالعربية دون ان اشير الى ان المعالم البدوية قد تجاوزت المسميات والصور • هذا يعني اننا ليس فينا حاجة ان تتبين البداوة في ألفاظ القفر والابل والنبات والشجر والريح والبرق والسيف والرمح وما أشبه هذا من لوازم البيئة العربية القديمة • ان ذلك شيء معروف متفق عليه •

غير اني أذهب الى القول : ان البداوة كانت الطابع المميز للغتنا ولكن عبقرية هذه اللغة نقلت تلك الاصول البدوية القديمة الى أشياء اخرى عن طريق المجاز باديء ذي بدء ، ثم انها أصبحت حقيقة من الحقائق كما سنتبين من الامثلة التي سنعرض لها .

واني لابصر ان العربي القديم قد احب جمله حتى أنزله من نفسه منزلة الاناسي وهو القائل :

شكا اليَّ جَمَلي طولَ السُــرَى

يا جَمَلي ليس اليّ المُشتَــــكَى

صبراً جميلاً فكِلانا مُبْتَلَى

ومن هنا لقد رأى ذلك العربي القديم في « الجمل » الحيوان المفضل ، ومن ثم « الجميل » ، وأنا اميل الى ان مادة « جمال »[1] بفتح الجيم قد استوحاها العربي وولّدها من مادة « الجمل » الحيوان المعروف . ثم كان ما كان من أمر هذه المادة التي كثرت مشتقاتها فجاءت في أبنية الافعال والاسماء. ان النظر في المعجم ليهدى الدارس الى هذه المادة في سعتها وغزارتها ، وهو من غير شك واجد فيها « الجميل »[2] ويعني فيما يعنيه ما اختزن من الشحم في سنام « الجمل » . فهلا تصور العرب الاقدمون ان « الجمال » يتضمن شيئا من « السمن » في الانسان ولا اقول الضخامة . ثم الا يلمح القاريء ان « المجاملة » و « الاجمال » مثلا لابد ان يكون فيهما صلة رحم بالمادة القديمة ! قلت : أنا ميال الى شيء من هذا النظر القديم الى مادة « جمل » فماذا عن « الناقة » ؟

---

(١) انظر مادة « ج م ل » في « لسان العرب » .

(٢) انظر « الجميل » في « اللسان » ثم قارن بينه وبين « الجميل » وهو الصفة في الجمال .

لابد ان يكون في « الناقة » شيء مما عرضنا له في « الجمل » ومن غير شك ان « الناقة في احساس العربي القديم وتصوره شيء يتصف بالحسن ، فهل لي ان أعقد صلة بين هذه المادة القديمة وبين قولهم : « تنوق »[٣] أي اعتنى وأحسن ثم تفنن » . وبعد الا ترى معي ايها الزميل الدارس ان « الاناقة » شيء من هذا .

ولندع هذا ، ونشرع في شيء اقرب الى ما يمكن ان نتوصل اليه بيسر وهو مادة « ركب » ولنأخذ هذه الكلمة من لغة اهل عصرنا هذا عصر العلم والتكنولوجيا فنجد ان المعربين يكتبون ويخطبون فترد في رسائلهم وخطبهم عبارة « البلدان المتخلفة عن ركب الحضارة » .

فهل للحضارة « ركب » على نحو ما نجده في قول الله ـ عز من قائل ـ « والركب أسفل منكم » . ان الركب « في الآية الكريمة يعني جماعة الابل» . والركاب الابل ولا واحد لها من لفظها ، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اذا سافرتم في الخصب فأعطوا الركاب أسنتها » أي امكنوها من المرعى والركب البعير والركوبة الناقة .

وللكلمة العربية مسيرة في المعاني منذ اقدم العصور مستفيدة من تحويل الصيغة والبناء لتكثير المعاني . ومن هنا كان الفعل « ركب » والمعلوم ركب الجمل او الناقة او الحصان أو أية دابة . ثم كان « المركب » للدابة بوجه عام[٤] ، غير ان هذا المعنى قد عرض له من التطور والتوسع ، فكان « المركب » واحد مراكب البر والبحر . ومن هنا كانت السفينة مركبا ، وصار من في السفينة من الناس « ركّابا » جمع راكب .

---

(٣) انظر « تنوّق » في « اللسان » .

(٤) وقد اطلق « المركب » في اللغة العراقية السائرة على ما نسميه الآن « الباخرة » .
وأذكر اني كنت أعرف هذه اللفظة منذ أكثر من ثلاثين سنة ، غير انها أخذت تزول من الاستعمال وما أظن ان الاجيال الناشئة تعرف هذا اللفظ .

ومن الطريف ان اشير الى اننا الآن نستعمل « الركاب » جمع راكب لجماعة المسافرين بالسيارة صغيرة كانت أم كبيرة • ولا يبعد ان تسمع من يقول : « فلان ركب سيارته » وكأن السيارة قد تحملت معنى « مركب » و « مركبة » • وشاء ذوق أهل هذا العصر ان يطلقوا « مركبة » على كل ما يستعمل من سيارات وعربات ، وهي بهذا الاستعمال في نصوص القوانين التي تنظم المرور والنقل في بلدان عربية عدة •

وبنفسي ان أقول شيئا آخر مما يتصل بمادة « ركب » لاثبت انها اتسعت في اللغة القديمة فكان من كلامهم : « أركب المهر » ، اذا حان ان يركب فهو « مركب » •

ثم ماذا ؟

قالوا : « الراكب ما ينبت من الفسيل في أعلى النخلة وعلى جذعيها وربما قالوا : « الراكوب »[٥] ايضا ، وهذه الاخيرة هي التي بقيت في استعمال اهل النخيل في عصرنا في جنوبي العراق •

ومن الطريف ان أشير الى ان « المتراكب » من القافية هو كل قافية توالت فيها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين ، وهذا أمر يعرفه أهل العروض •

وبعد ، فاذا سمعنا من يقول « البلدان المتخلفة عن ركب الحضارة » أدركنا قوة هذه الكلمة وحيويتها التي تثبت طوال هذه المسيرة الى ان انتهت الى شيء يتصل بالعصر الحديث ، ذلك ان المشتغلين بالكيمياء في عصرنا يعرفون « المركب الكيمياوي » أو « التركيب الكيمياوي » •

ومن الطريف ان أذكر اننا نقرأ كثيرا في الصحف التونسية : أن الوفد الذي يضطلع بمهمة كذا متركب من السادة ••• » •

وما دمنا ندرس مادة « ركب » يحسن بي ان أشير الى اننا قد كنا نستعمل في عصرنا هذا كلمة « تسنّم » فنقول « تسنّم فلان المنصب

---

(٥) انظر اللسان (ر ح ل) .

الخطير » ونريد ترأس وشغل ، ومن غير شك ان الفعل « تَسنّم » جاء من مادة « سنام » المشهورة المعروفة . وهذا يدل على قوة هذه العربية واصالتها في كونها اتخذت من مواد البداوة وسائل للاعراب عن الحضارة .

ثم ماذا من هذه الاصول العريقة ؟

أظن ان في « الرحل » مادة ينبغي ان نفيد منها ، ذلك ان الرحل مركب للبعير والناقة ، وجمعه أرحل ورحال ، قال طرفة :

جازت البيد الى ارحلنا   آخر الليل بيعفور خدر

والرحالة : نحو الرحل ، كل ذلك من مراكب النساء ، وانكر الازهري ذلك ، قال الرحل في كلام العرب على وجوه . قال شمر : قال أبو عبيدة : الرحل بجميع ربضه وحَقَبه وحلسه وجميع أغرضه ، قال : ويقولون ايضا لأعواد الرحل بغير أداة « رحل » وأنشد :

كأنّ رَحلي واداةَ رَحْلي   على حَزاب كأتانِ الضَحَل

قال الازهري : وهو كما قال أبو عبيدة وهو من مراكب الرجال دون النساء ، وأما الرحالة فهي أكبر من السرج وتغشّى بالجلود وتكون للخيل والنجائب من الابل .

ومنه قول الطرماح :

فتروا النجائب عند ذلك بالرحال وبالرحائل

والرحل ايضا منزل الرجل ومسكنه وبيته ، ويقال : دخلت على الرجل رحله اى منزله .

قال الجوهري : والرحل رحل البعير وهو أصغر من القتب[٦] .

وجاء في « التهذيب » : ان الراحلة عند العرب كل بعير نجيب ، سواء كان ذكرا أو انثى ، وليست الناقة اولى باسم الراحلة من الجمل ، تقول العرب

---

(٦) انظر الصحاح (ر ح ل) .

للجمل اذا كان نجيبا راحلة[٧] • وهو يردّ على ابن قتيبة الذي ذهب الى ان « الراحلة » الناقة وليس « الجمل » •

ولكن العربية القديمة أفادت من هذه المادة المهمة التي تعد من قوام الحياة اليومية البدوية ، فقد اشتقوا من « الرحل » وهو الاداة التي توضع على الجمل مركبا فقالوا : رحل البعير يرحله رحلا فهو مرحول ورحيل ، وارتحله : جعل عليه الرحل ورحله رحلة شدّ عليه أداته ، قال الاعشى :

رحَلَت سُميَّة غدوةً أجمالها
غَضْبَى عليك ، فما تقولُ بَدالها

وقال المثقب العبدي :

اذا ما قمتُ أرحلُها بليلٍ تأوه آهة الرجل الحزين

وفي الحديث عند اقتراب الساعة : تخرج نار من قعر عدن ترحّل الناس ، رواه شعبة قال : ومعنى ترحّل اي ترحل معهم اذا رحلوا وتنزل معهم اذا نزلوا ، وتقيل اذا قالوا ، جاء به متصلا بالحديث ، قال شمر : وقيل معنى ترحلهم اي تنزلهم المراحل[٨] •

ومن ثم قالوا : رحل فلان وارتحل وترحّل اي سافر وسار • ومن هنا تتبين هذه المسيرة النافعة لهذه الكلمة وكيف قامت على أصول معرقة في البداوة •

واذا كان الحيوان القديم وأدواته قد أمد العربية بمادة صلحت في العصور المتعاقبة ان تكون من لوازم الحضارة فلا ننسى ان نذكر ان « الخيل » من الحيوان الذي أحبه العربي القديم ورعاه أجلّ رعاية وبالغ في الحفاظ عليه ، فليس عجيبا ان نرى أهل اللغة يصنفون في « أنساب الخيل » كما فعل ابن الاعرابي وابو عبيدة وغيرهما من المتقدمين من علماء العربية •

---

(٧) انظر التهذيب (ر ح ل) .
(٨) انظر النهاية في غريب الحديث لابن الاثير (رحل) .

أقول : هذه العناية بالخيل جعلت العربي القديم يستحسن «خلق»[٩] الخيل وتناسق هذا الخلق وصفاته . ولا غرابة انك تجد الخيل وصفت بالكرم فقالوا « كرائم الخيل » ، ثم انهم سموا الحصان « جوادا » فصارت الكلمة اسما لغلبة الصفة على المسمى كما قالوا « الصارم » للسيف .

ثم ماذا عن « الخيل » ؟ ألم يقولوا : « الخُيَلاء » بضم الخاء أو كسرها وتعني التكبر والزهو والصلف ؟

لا أشك ان « الخيلاء » هذه قد توسموها في الخيل فأخذوا هذا المعنى من لفظ الخيل . ثم اذا كانت « الخيلاء » فلابد ان يكون الفعل « اختال » والمصدر اختيال فاستعملت في الآية الكريمة بصيغة اسم الفاعل في قوله ـ جل شأنه ـ « ان الله لا يحب كل مختال فخور » . ومن لوازم هذه البيئة القديمة البدوية « الرعي » وان لهم ابلا ودواب اخرى ترعى . والراعي يرعى الماشية أي يحوطها ويحفظها ، والماشية ترعى الكلأ .

وأنهم رعاة ورِعاء ، قال تعالى : « حتى يصدِرَ الرِعاء » .

قال الازهري : واكثر ما يقال رعاة للولاة ، والرعيان لراعي الغنم .

أقول : ان انتباهة الازهري للتفرقة بين رعاة ورعيان مفيدة ذلك ان هذا اللفظ قد انتقل مجازا فقالوا : ان الحاكم يرعى المحكومين ويتفقدهم وينتصر للمظلوم منهم من الظالم ، والى هذا ينصرف الحديث الشريف « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

والرعية في الأصل ، الماشية الراعية او المرعيّة قال الراجز :

ثـم مَطِرنا مَطْرةَ رويّه فنبَتَ البَقْل ولا رَعيّه

هذه هي « الرعية » في الاصل ، ثم تحولت الى الناس الذين يحكمهم

---

(٩) يراد بـ « الخلق » بفتح فسكون أسماء اعضاء جسم الحصان والفرس وصفاتهما وذلك لانهم صنفوا في « خلق الانسان » مصنفات مشــهورة طبع شيء منها .

الراعي أي صاحب الامر • ثم ان الرعاية في الاصل حرفة الراعي ، ولكنها تحولت ولا سيما في العربية الحديثة الى المعنى المجازى ، ولم تحتفظ بمعناها الاول كما هي الحال في العربية القديمة •

ومثل هذا كثير في العربية فقد تهيأ من مواد المعاني ومـــا يسمى بـ « المجردات والمعنويات شيء كثير كانت اصوله مواد قديمة محسوسة في الغالب •

ولا أنهي هذه الالمامة قبل ان اعرض ما يتصل بالعقـــل والحكمـــة ، وكيف كانت هاتان اللفظتان في الاصل •

ان « العقل » من اشهر المواد في تاريخ اللغة والفلســـفة والمعرفة الانسانية بوجه عام • وهو في الاصل مصدر عقل يعقل ، وكأن المعنى الاول لهذا اللفظ الشدّ ، فقالوا : عقل البعير يعقله عقلا وعقّله واعتقله ، أي ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما جميعا في وسط الذراع ، وكذلك الناقة والحبل الذي يشد به هو العقال •

وكأن القوة الخارقة التي تعنى التمييز والادراك والفهم وما يتصـل بهذا قد سميت « العقل » واستعيرت من هذه المادة العتيقة التي تعني الشد ، بل قل من الحبل الذي يشد به وهو « العقال » • ولعلنا نفهم هذا السلوك اللغوي اذا عرفنا انهم تصوروا النفس الانسانية مجبولة على الشر ، فهي ابدا تجنح للفساد ، ولكن القوة الاخرى تكبح من جماحها وتحد من شرتها ، فكانت هذه القوة بمثابة « العقال » الذي يشد به البعير مخافة ان ينفر او يضرب في الارض •

ومثل هذا « الحكمة » ولا أريد ان أعرض لمعانيها فهي العقل وهي الفلسفة وهي العلوم كافة ولا سيما في المصطلح القديم ، فالحكيم الفيلسوف والطبيب والمتكلم والشاعر وأصناف شتى من أهل الحكم والرأي • وحسبك ان تنظر في ابنية هذه الكلمة فتبصر الحكم والحكم والحاكم واحكم واستحكم واحتكم وغير هذا •

ولكنك لو أدركت ان « الحكمة » بفتحتين حكمة لجام الدابة ، أى ما احاط بحنكيها وهي أيضا حديدة في اللجام تكون على انف الفرس وحنكه تمنعه عن مخالفة راكبه ، وهي تمنع الدابة من كثير من الجهل •

وفي الحديث : « ما من آدميّ الاّ وفي رأسه حكمة » وفي رواية : « في رأس كل عبد حكمة اذا همّ بسيئة ، فان شاء الله تعالى ان يقدعه بها قدعه »[١٠] •

وغير خاف على الباحث معرفة السبب الذي حدا العربي القديم ان يختار « الحكمة » بكسر الحاء وسكون الكاف أو « الحكم » بضم الحاء للمعاني التي انصرفت اليها ، فكأن الأصل ان « الحكمة » كقوة « العقل » يحترز بها الانسان من الزلل والجهل والغواية • كأنهم أدركوا ان الانسان بطبعه صاحب غواية وفساد وشر وان القوة التي تردعه هي « الحكمة » التي تقوم مقام « الحكمة » بفتحتين للدابة • ان هذه تصد صاحبها عن السقوط في الرذيلة ، كما ان تلك تمنع الدابة من كثير من الجهل كما قالوا •

ان هذه الالمامة بجملة هذه الالفاظ وأصولها وتطورها يهدينا الى القول ان البداوة العربية التي اتسمت بها لغة الادب القديم كانت اصولا تطورت في تلك الاحقاب المنصرمة الى شيء آخر يتصل بمادة حضارية •

ان اطلاق تلك المقولة على بداوة اللغة يخفي كثيرا من العلم ، وكأنه يحجب حقيقة لغوية صرح بها العلم اللغوي في عصرنا هذا Linguistique الا وهي ان اللغة مادة وسلوك اجتماعي يبدأ في صورة وينتهي الى شيء آخر •

قلت في اول مقالتي هذه : ان الباحثين قد اطلقوا المقولة المشهورة ببداوة لغة الشعر القديم ، وقد قلت فيما قلت ان هذا نتيجة استقراء غير واف لمادة الأدب القديم • ولو أنهم استوفوا استقراءهم لانتهوا الى نتائج

---

(١٠) النهاية في غريب الحديث (حكم) .

أخرى تضيف شيئا آخر الى نتيجة استقرائهم • وأود ان أقول : ان مما يضيفه الاستقراء الوافي ان في لغة تلك النصوص القديمة مادة حضارية •

ان هذه المادة الحضارية منها ما يتصل بالدين ومنها ما يتصل بالكتابة والفنون والزراعة والمهن والتجارة والطعام والشراب والعطور والحلي ، ان جملة هذه المواد لهي من لوازم الحضارة ، او انها مما يستعمله الناس في معيشة تتسم بالاستقرار والثبات •

اذا قرأنا قول امرىء القيس[11] :

فاليومَ أُسقَى غيرَ مستحقِبٍ إثماً من اللهِ ولا واغل

وجدنا الشاعر يقول :

انه يشرب الخمر وقد حلّت له فلا يأثم ويكرّم نفسه عن ان يشرب الوغل • وفي البيت ذكر « الله » واشارة الى الاثم في حق « لله » تعالى •

وهذا الاعشى يمدح بني شيبان بن ثعلبة يوم ذى قار فيقول في قصيدته[12] :

فلله عَينا من رَأى من عصابةٍ
أشدّ على أيدي السُقاة من التي

وحضور لفظة الجلالة (لله) في البيت يشير الى التزام الشاعر بشيء من عقيدة دينية واضحة •

وقوله[13] يمدح النعمان بن المنذر فيقول في قصيدته :

فلا تَحسَبَنّي كافراً لك نعمةً
عليّ شهيد شاهد الله ، فاشهَدِ

---

(11) الديوان (دار المعارف) ص ١٢٢ .
(12) الديوان (دار صادر) ص ٣٣ .
(13) الديوان ص ٤٧ .

وقوله[١٤] من قصيدة يعرض فيها لما كان بينه وبين قومه :

جَزَى اللهُ فيما بيننا شيخَ مِسمعٍ
جزاءَ المُسيءِ حيثُ أَمسَى وأشرَقا

جَزَى الله تيمـاً من أخٍ كان يتّقي
محارمَ تيم مـا أخف وأرهَقـا

وما «الله» في هذه اللغة الا مادة هي من الحضارة في مكان واضح ،فهذا الايمان بالله يشعرنا ان الرجل لم تسمه البداوة الجافية بميسمها .

ثم انظر تعلقه بالفكر الديني والعقيدة الواضحة حين يقول :

فاني وربِّ السـاجدينَ عشيـَّـة
وماصَكَّ ناقوسُ النَصارَى أَبيلُها[١٥]

كما يشير الى مادة أخرى هي : الاله والرحمن .

والاشارة الى الأديان كثيرة في الشعر الجاهلي فقد شبه امرؤ القيس وجه حبيبته بالراهب المتبتل بمصباحه في الليل فقال :

تضيءُ الظلامَ بالعشـاء كأنّهـا
منارةُ مُمسـي راهبٍ مُتبتّـل

وهذا النابغة الذبياني يصف المتجردة فيقول « لو عرضت لراهب أشمط متعبّد صرورة لرنا لها » .

لو أنّهـا عرضَتْ لأشمط راهبٍ
عبدَ الالـه صَرورة المتعبِّـد[١٦]

---

(١٤) الديوان ص ١٢٣ .

(١٥) الديوان ص ١٣٥ .

(١٦) ديوان النابغة (تحقيق د. شكري فيصل) ص ٣٣ – ٣٤ .

والاشارات الى ما يتصل بالنصرانية وطقوسها كالفصح وغيره كثيرة في شعر الأعشى وأوس بن حجر والنابغة .

ومثل هذا اشاراتهم الى ما يتصل بالديانة اليهودية ، ومن ذلك قول عبيد ابن الابرص[١٧] . وقد شبه امرؤ القيس ناقته ببنيان اليهودي مشيرا الى انها صلبة قوية البناء :

فعزَّيتُ نفسي حين بانوا بجَسْرةٍ

أمون كبُنيان اليهوديّ خَيْفَقٍ[١٨]

وفي نصوص الشعر الجاهلي اشارات لانبياء بني اسرائيل كسليمان الحكيم وداود ويوسف كما في شعر الاعشى والنابغة ، فسليمان عند الاعشى هو الذي بنى حصن الابلق ، وهو في شعر النابغة قد أمر باذلال الجن في بناء مدينة تدمر .

وهذا بشر بن ابي خازم يقول[١٩] :

فقل كالذي قال ابنُ يعقوبَ يوسفٌ

لاخوتِه ، والحكم في ذاك راسبُ

فاني سأمحُو بالذي أنا قائل

به صادقا ما قلتُ اذ انا كاذب

وفي شعر أوس بن حجر اشارة الى المهوّل ، وهو القائم على النار المقدسة ، وفيه يقسم بالنار حين يقترب من يحلف من شررها فيصد عنها :

اذا استَقبَلته الشمسُ صدّ بوجهه

كما صدّ عن نار المُهوِّل حالِف

(١٧) الديوان (تحقيق د. حسين نصار) ص ٤٧ .

(١٨) الديوان ص ١٦٩ .

(١٩) الديوان ص ٤٢ (تحقيق د. عزة حسن) .

والاشارات الى ديانة الفرس كثيرة في شعر الاعشى .

على أن الادب القديم قد حفل بذكر الآلهة كاللات والعزّى وودّ واليعبوب والاقيصر قال زهير بن ابي سلمى[٢٠] :

حَلَفتُ بأنصابِ الأقيصرِ جاهداً
وما سَحَقت فيه المقاديم والقَملُ

وهذا لبيد الشاعر يشير الى الوليد اليماني الذي يخط بقلمه على العسيب الذابل والبان فيقول[٢١] :

فنِعافَ صارةَ فالقَنانِ كأنّها زبرٌ يرجّعها وليدَ يَمانِ
متعوّد لَحِنٌ يعيد بكفّه قلماً على عشب ذَبَلنَ وبان

وفي ديوان عبيد بن الابرص وديوان ابي دواد الايادى وديوان بشر بن أبي خازم وديوان زهير وديوان امرىء القيس اشارات كثيرة للاقلام والمهارق والكتابة على عسب النخل والرقاق والسلام .

وهذا طرفة بن العبد يقول[٢٢] :

أَشَجاك الربعُ ام قِدَمُهُ أم رماد دارس حممه
كسطور الرُقّ رقّشه بالضُحَى مرقّش يَشِمُه

وأنت لا تعدم ان تجد من مادة الغناء والموسيقى قدرا حفل به أدبنا القديم ، ومن أسماء الآلة في الموسيقى الكران والطنبور والمزهر والبربط والونّ والصنج .

---

(٢٠) الاصنام لابن الكلبي (تحقيق احمد زكي) ص ٣٨ .
(٢١) ديوان لبيد (تحقيق احسان عباس) ص ١٣٨ .
(٢٢) الديوان (دار صادر) ص ٨٤ .

قال امرؤ القيس[٢٣] :

وان أمسِ مكروباً فيا رُبَّ قَينةٍ
منعّمةٍ اعملتَها بِكِران

لها مزهر يعلو الخميس بصوته
أجسّ اذا ما حرّكته يدان

وهذا الاعشى يقول[٢٤] :

وطنابيرُ حسانٌ صوتها
عند صَنْجٍ كلمّا مُسَّ أرَنّْ

واذا المِسمَعُ أفنى صوتَه
عَزَفَ الصَنجُ فنادَى صوتَ وَنّْ

ومن غير شك ان مجالس الغناء والآلات يصحبها الشراب وفي ذلك شعر كثير في نصوص الادب الجاهلي القديم .

أما ما يتصل بالدمى والتماثيل فانه مشهور معروف قال الاعشى[٢٥] :

كدُمية صوِّرَ مِحرابها   بمُذهَب في مَرمرٍ مائرِ

وهذا النابغة[٢٦] يقول :

أو دميةٌ من مرمرٍ مرفوعةٌ
بُنِيَت بآجرٍّ يُشادُ وقَرمَد

---

(٢٣) الديوان ص ٨٦ .
(٢٤) الديوان ص ٢١٥ .
(٢٥) الديوان ص ٩٢ .
(٢٦) الديوان ص ٣٣ .

اما الاشارات الى الزرع فكثيرة ومنها ما أشار اليه لبيد[٢٧] من النخل العالي الموقر بحمله وبينها الكروم :

نخلٌ كوارع في خليج محلّم
حملت فمنها مُوقَر مَكموم

سحْقٌ يمتّعها الصَفا وسريّه
عُمٌ نواعمُ بينهنّ كُروم

وانظر الى قول النابغة[٢٨] مشيرا الى الكرم المسند على الدعام حين يشبه الشعر الفاحم :

وبفاحم رجْل أثيثٍ نبته
كالكَرْم مال على الدعامِ المُسند

والاشارات الى أصناف الفاكهة كالرمان والتفاح والتين والاترجّ كثيرة . ولا تعدم ان نحظى باشارات واضحة تشير الى أنواع النسيج كالنسيج الهاجرى المنسوب الى هجر ، والنسيج القطيفي ونسج الرها ونسج انطاكية ونسج فارس ونسج القبط في مصر .

وانظر الى امرىء القيس وهو يشير الى « حوك العراق » فيقول[٢٩] :

جعلن حوايا واقتعدن قعائدا   وحفّفن من حوك العراق المنمق

والاشارات الى المهن كثيرة ، فهناك صنعة الحلي من الذهب والفضة وصنعة السيوف ، واستقراء معجمات العربية يؤيد هذا . وفي طوقنا ان نحصي من هذا ما يكفي ان نصنف منه معجما صغيرا في مادة الحلي . وقد فطن

---

(٢٧) الديوان ص ١٢٠ .

(٢٨) الديوان ص ١٦٨ .

(٢٩) انظر مطولة عنترة في « شرح القصائد العشر » .

المتقدمون الى شيء من هذا فصنفوا الرسائل في السيف واسمائه وصفاته كما صنفوا في الحلي والعطور وغير هذا •

قال عنترة[30] :

بزجاجة صفراء ذات أسرةٍ

قرنت بأزهرَ في الشمال مفدَّم

ان هذه الزجاجة ذات « الاسرة » الى جانبها « الازهر » وهو الابريق الفضي وعليه الفدام ، لتشير الى ان للقوم المتقدمين في جاهليتهم قدرا كبيرا من مواد الحضارة • ولو لم يكن شيء من ذلك لما وجدنا امرأ القيس يقول[31] :

اذا ذقتَ فاها قلت طعمُ مدامةٍ

معتَّقة مما يجيءُ به التَجْر

فهذه اشارة واضحة الى التجارة والمواد التي يجلبها اولئك التجار ، ذلك ان الخمر شيء مما يجلبه أصحاب التجارات في تلك الاعصر الخالية •

وهذا سلامة بن جندل يقول[32] :

من نسجِ بُصرى والمدائنِ نُشّرت

للبيع يوم تحضّر الاسواقِ

ومثل هذه الاشارة للبيع والاسواق ما نجده في شعر النابغة[33] :

كأنَّ مجَرَّ الرامسات ذيولها

عليه قضيم نمَّقته الصوانعُ

---

(٣٠) انظر الديوان (تحقيق هوارت) ص ١١ •

(٣١) الديوان (دار صادر) ص ٢٠ •

(٣٢) الديوان ص ١١

(٣٣) التوضيح للبيان عن شعر نابغة بني ذبيان ص ٣٨

على ظهر مَبناة جـديدٍ سيورها

يطوف بهـا وسطَ اللطيمـةِ بائع

والكلام على السفن كثير في الشعر القديم فهذا طرفة يقول[٣٤] :

كأن حـدوج المالكيـة غـدوة

خلايا سـفين بالنواصـف من دد

عدوليـة او من سـفين ابن يا من

يجور بهـا الملاح طورا ويهتـدى

واذا استقرينا ما يتصل بالطعام والشراب والحلى والعطور رأينا مادة أبعد ما تكون عن بداوة جافية فهي حضارة مع شيء من التنوق .

وفي شعر امرىء القيس والنابغة والاعشى وقيس بن الخطيم وبشر بن ابي خازم شيء كثير مما يتصل بهذه المواد .

وبعد فهذا عرض للعربية التاريخية جريت فيه على ان اوضح الاصول القديمة لكثير من المواد التي اعتمدت على البداوة ثم خرجت بها العربية الى مسائل أخرى هي من مواد الحضارة . وهذا يعني ان هذه اللغة العربية قـد تجاوزت المراحل وعاصرت الحضارات فكانت اداة حكيمة للاعراب عن الجديد، فهي ابدا متطورة وهي أبدا صالحة للاعراب عن الجديد الوافد . وماذا أقول في هذه اللغة التي عمرت بمادة حضارية وهي في عصورها القديمة وبيئتها البدوية العريقة .

غير اننا نحن الباحثين في عصرنا لم نولها ما تستحق من دراسة علميـة نستجيب فيها الى علم العصر وذوقه ومنهجه .

---

(٣٤) الديوان ص ٣٤

الفصل الثالث

من المعجم العربي القديم

دراسة في العربية التاريخية

لقد عني الباحثون اللغويون في العصر الحديث بموضوع تأريخ اللغات وفاء لعلم اللغة التاريخي ولعلم اللغة المقارن • ولقد كان من ذلك ان حفل العلم اللغوي بدراسات ذات قيمة في تاريخ اللغات ولا سيما لغات الشعوب المتقدمة • ويهمنا ان نعرض لشيء من تاريخ العربية على نحو ما تم انجازه من الدراسات الحديثة في عصرنا الحاضر •

أقول : ربما كانت العربية بدعا بين أخواتها اللغات السامية ، وذلك لاننا نعرف من أمر تاريخ اللغات شيئا يفوق ما نعرفه من بدايات العربية • اننا نعرف مثلا كثيرا من النصوص البابلية الآشورية والأكدية ، كما نعرف قدرا عظيما من اللغة الآرامية ولهجاتها ، وقل مثل ذلك عن نصوص اللغة العبرانية وسائر اللغات السامية الاخرى ما خلا العربية • أقول ما خلا العربية ذلك اني أعلم ان بين يدى الباحثين نصوصا من العربية الجنوبية في نقوش جنوبي الجزيرة العربية وشماليها كما في النقوش القتبانية واللحيانية والثمودية • وليس في طوق الباحث ان يتخذ من هذه النصوص البدايات الاولى في تاريخ العربية ، فلا يمكن ان تكون نقوش معين وسبأ وحمير في اليمن ولا النقوش القتبانية واللحيانية والثمودية في شمالي الجزيرة اصولا تطورت الى العربية الفصيحة التي عرفناها في نصوص الأدب الجاهلي • ان النصوص الاولى التي اشرنا اليها تعدّ بعيدة كل البعد من حيث التطور عن

النصوص الجاهلية ، ذلك ان الباحث في تلك النصوص يقف ازاء مادة لغوية بعيدة كثيرا من حيث مبناهـا ومعناها عمـا تفصح عنه نصـوص الأدب الجاهلي مثلا •

لقد أدركت العربية الجاهلية الممثلة بنصوص الشعر الجاهلي مستوى عاليا من حيث الاسلوب فقد اشتملت على صيغ ومبـان هي من الاتقان والاحكام بحيث تهيأ منها ان يكون للعرب موازين وأقيسة في الشعر هي الغاية في الضبط والتدقيق من حيث الناحية الموسيقية • وليس أدل على ذلك من انهذه الموازين والاقيسة بقيت المثالالذي يحتذى فيموسيقى الشعر طوال عصور عدة ، ولم يستطع أهل العصـور التي تلت ان يضيفوا الى موسيقى الشعر الجاهلية شيئا • أقول لم يتأت لاولئك الجاهليين ان يحذقوا ذلك الفن الا بعد ان كانت مواد العربية في صيغها وأبنيتها قد استوفت غايتها من الضبط والاحكام • ولو وازنا بين أبنية العربية ونظائرها في اللغة العبرانية او في سائر اللغات السامية لوجدنا ان الابنية في لغتنا القديمة جاءت منسجمة ، مشتملة في حركاتها وسكناتها والتئام أصواتها بعضها ببعض على ما اتاح للجاهلي ان ينظمها في موسيقى شعرية لا نجدها في اية لغة سامية أخرى •

ثم اذا جئنا الى ما اشتملت عليه تلك النصوص الجاهلية من معان وجدنا أنها حفلت الى جانب ما يفصح عن حياة البداوة وعاداتها ورسومها بمعان تدل على ادراك دقيق للحياة في خيرها وشرها • وليس أدل على ذلك من الاشارات الكثيرة التي حفلت بها مطولة زهير بن أبي سلمى مما يدل على فهمه لكثير من العاني الانسانية ، ومثل ذلك نجده في سائر النصوص الجاهلية •

أقول اذا كانت القصيدة الجاهلية قد أدركت في مبانيها ومعانيها هذا القدر السامي من الاجادة في البناء الموسيقى والتوفر على شيء كثير من الفكر الانساني ، فلا بد ان تكون هذه المواد الادبية الجاهلية قد تطورت تطورا عظيما ، ومن ثم فلابد ان تكون قد سبقت هذه المرحلة من النضج مراحـل أخرى لا نعرف عنها شيئا •

ولو أتيح لنا ان نوازن بين ما اثر من ألوان العربية القديمة الممثلة في النصوص الجنوبية ، وهي لغات النقوش في معين وسبأ وحمير ونظائرها من العربية الجنوبية في شمالي الجزيرة وهي اللغات القتبانية واللحيانية والثمودية، وبين نصوص الشعر الجاهلي لاتضح لنا بعد الشقة بينهما . ومعنى هذا لا يمكننا ان نعدّ تلك اللغات القديمة الممثلة بالنقوش الأصول المفقودة التي كانت الاساس الذي تطور في نصوص الشعر الجاهلي .

ومعنى هذا أيضا لابد من القول : ان حلقات عدة من النصوص قد ضاعت ففصلت بين الأصول وبين ما نجده من حال العربية في نصوص الشعر الجاهلي .

بعد هذه المقدمة الموجزة لابد من البحث في المأثور من العربية القديمة فنعرض لموادها مستقرين فاحصين لنرى ما عرض لها من التزيّد والافتعال الذى لابد لنا من كشفه حتى تتبين الصحيح من هذه اللغة العربية .

أقول : لقد قيل الكثير في مسألة الانتحال في الشعر ، ذكر ذلك المتقدمون ويكفي ان نذكر قول المفضل الضبي الذي ذهب فيه الى ان الشعر الجاهلي قد نال من خلف الاحمر ما هجّنه وافسده فلا يصلح ابدا . وقد فصل القول ابن سلام الجمحي في هذه المسألة . ثم كان للمحدثين في عصرنا الحاضر مشاركة في هذا الموضوع ، وأول من بحث في ذلك المستشرقون مثل نولدكه الالماني وباسّيه الفرنسي ، ومرجوليوث الانكليزي ، كما شارك في ذلك العلماء العرب ولا ننسى في ذلك مشاركة الدكتور طه حسين .

ولقد قيل في وضع الحديث الشريف وماذا زاد فيه الوضاعون والكذابون ، وما غير فيه المدلسون والضعفاء حتى كان من ذلك نشأة ما سمى في علوم الحديث بـ « الجرح والتعديل » ثم كانت طبقات للمحدثين صنفوا حسب توفر الثقة والصدق والامانة فيهم . وكان من كل هذا ان صنفت المصنفات الضخمة في الاحاديث الموضوعة .

ومن غير شك ان الكذب والافتراء والانتحال قد عرض لنصوص التاريخ القديم عامة فظهرت كتب في التاريخ ابتعدت عن العلم فزادت في العبث استجابة لهوى او خدمة لنحلة أو بدعة او ضلالة ، وكل هذا معروف مشهور .

ولكني لم أجد كثيرا ممن عرض للمادة اللغوية فاستقرى الصحيح وأشار الى المفتعل الموضوع ، الا شذرات من أخبار تشير الى أن شيئا من الوضع قد وقع .

وقد عنيت في هذه الدراسة بأمر رواية اللغة وما عرض لها من صنع الوضاعين ، وما أظن ان جمهرة من هذه المواد قد عرفها العرب ولاكتها السنتهم فجرت في كلامهم وسأعرض لهذه النماذج الكثيرة .

جاء في « المزهر »[1] للسيوطي :

« قال ابن فارس » في « فقه اللغة »

تؤخذ اللغة سماعا من الرواة الثقات ذوى الصدق والامانة ويتقى المظنون .

حدثنا علي بن ابراهيم عن المعداني عن أبيه ، عن معروف بن حسان عن الليث عن الخليل قال :

« ان النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ارادة اللبس والتعنيت » .

قال ابن فارس : فليتحرّ آخذ اللغة اهل الامانة والصدق والثقة والعدالة فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا » .

ومن هنا نعلم أن الخليل قد عرض لهذا الموضوع ، وقوله «ربما أدخلوا» يعني أنهم أدخلوا ، واستعمال « ربما » في اللغة القديمة تفيد التكثير كثيرا كما أشار أهل النحو كما تفيد التقليل قليلا .

---

(١) السيوطي ، المزهر ١/١٣٧ ـ ١٣٨ .

ولشيوع الكذب في اللغة قالوا : تؤخذ اللغة من ذوى الصدق والامانة ويتقى المظنون ، ثم قالوا لا تؤخذ من الطفل والمجنون ، وذهب قوم فمنع ان تؤخذ من « العبد » وهم يجرون مجرى أهل الحديث والاثر في تحري الصدق والثقة والامانة .

واذا عرفنا أن الوضع قد عرض للحديث وان الوضاعين والمدلسين من أهل الحديث جمهور كبير فليس غريباً ان نجد شيئا من ذلك يعرض للمادة اللغوية .

ثم اذا عرفنا ان الوضاعين قد عبثوا في الحديث الشريف ، والرسول الكريم يقول : « من كذب علي منكم متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وأدركنا سوء صنيعهم فهمنا ان قضية الوضع في المسألة اللغوية شيء ليس ذا خطر كبير .

ولا نذهب بعيدا في الاستدلال على وجود الانتحال والكذب في المادة اللغوية وربما يكفي أن نذكر قول رؤبة بن العجاج الراجز المشهور . لقد ضاق رؤبة ذرعاً بيونس بن حبيب وهو من علماء اللغة المتقدمين ممن أخذ عنهم سيبويه . لقد كان يونس من علماء اللغة يجمعها عن رواتها من الأعراب وغيرهم فكان كثير السؤال لرؤبه هذا لما اشتهر عن رؤبة وابيه العجاج من أنهما قد أكثرا من الغريب والنوادر في أرجازهما . قال رؤبة ليونس بعد ان أكثر من مساءلته وضاق رؤبة به ذرعا : «حتى متى تسألني عن هذه الاباطيل وأزوقها لك ، أما ترى الشيب قد بلغ في رأسك ولحيتك »[(٢)] .

وحكى أبو عبيدة عن ابن داود بن متمم بن نويرة شيئا يقرب من ذلك فقال :

« .... قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي في الجلب والميرة فنزل النحيت فأتيته أنا وابن نوح العطاردي فسألناه عن شعر أبيه فجعل يزيد في

---

(٢) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ـ ط دار المعارف ص ٥٨١ .

الاشعار ويضعها لنـــا ، واذا كلام دون كلام متمم ، واذا هو يحتذى على كلام [٣] فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها ، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله » .

أقول : ان هذا الخبر الثاني لا يشير الى وضع الكذب في اللغة ولكنه يشير الى أن الوضع في النص الأدبي ، ولكني ذكرته لاشير الى ان الاختلاف والوضع والكذب شيء عام فكما عرض للنص الادبي عرض لمواد النصوص الادبية وهي المادة اللغوية ، ومن غير شك ان ما جرى بين يونس بن حبيب ورؤبة بن العجاج الراجز مفيـــد كل الافادة في أن كثيرا من مادة الغريب والنوادر هو مما افتعله اولئك « النحارير » .

ومن المفيد ان اشير الى أن كثيرا مما سأعرض له من المادة اللغوية التي تشير الى أنها موضوعة ورد من غير أي شاهد من نص صحيح وفصيح ، ثم ان وجد ذلك الشاهد فهو رجز نادر لا يعرف قائله او يكون أحد هؤلاء « النحارير » المشاهير مثل رؤبة وغيره من الرجاز كما سنرى .

ومن المفيد ان اعرض لشيء مما أثر عن كبار اللغويين النحاة لأشير الى شيء مما ذهبت اليه من مسألة الوضع في اللغة .

جاء في أخبار ابي العباس محمد بن يزيد المبرد صاحب «الكامل »[٤] : « وقال ابو عبدالله المفجع : كان المبرد لعظم حفظه اللغـة واتساعه يتّهم ، فتوافقنا على مسألة لا اصل لها نسأله عنها لننظر كيف يجيب ، وكنا قبل ذلك نمارينا في عروض بيت الشاعر :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنــا
حنانيك بعض الشرّ أهون من بعض

---

(٣) المصدر السابق ص ٤٠ .

(٤) الانباري ، نزهة الالباء (ط مكتبة الاندلس ببغداد) ص ٢٢٠ .

فقال قوم : هو من البحر الفلاني ، وقال آخر ، هو من البحر الفلاني فقطّعناه وتردّد على افواهنا تقطيعه ومنه قِ بعضنا » فقلت : أيدك الله تعالى ، ما القبعض ؟ فقال : القطن ، يصدق ذلك قول الشاعر :

كأن سنامها حشي القبعضا »

قال : فقلت لأصحابه : ترون الجواب والشاهد ، ان كان صحيحا فهو عجيب ، وان كان اختلق الجواب في الحال فهو أعجب .

ومثل هذا ما ورد في ترجمة أبي عمر الزاهد «غلام ثعلب» فقد اشتهر عنه أنه لا يسأل الا أجاب ، فقد كان كثير الاملاء عالما بالاخبار واللغة والادب ، متهما بالكذب والتزيّد . جاء في « انباه الرواة »(٥) للقفطي :

« ويروى ان جماعة من أهل بغداد اجتازوا على « قنطرة الصراة » وتذاكروا كذبه فقال بعضهم : انا اصحّف له القنطرة وأسأله عنها فانه يجيب بشيء آخر ، فلما صرنا بين يدبه قال : ايها الشيخ ما الهرطنق عند العرب؟فذكر شيئا قد أنسيته فتضاحكنا واتممنا المجلس وانصرفنا ، فلما كان بعد شهر ذكرنا الحديث فوضعنا رجلا غير ذلك نسأله فقال له : ما الهرطنق ، فقال : ألست قد سألت عن هذه المسألة منذ كذا وكذا ؟ فقال : هي كذا فما درينا من أيّ الامرين نعجب ، من ذكائه ، ان كان علما فهو اتساع طريف ، وان كان كذبا في الحال ثم قد حفظه ، فلما سئل عنه ذكر الوقت والمسألة فأجاب بذلك الجواب فهو أطرف .

ومثل هذه الاخبار كثير في مصادرنا العربية وهي مفيدة في نظر الباحث المدقق .

أقول : قد تكون هذه الاخبار موضوعة بقصد السمر او النيل من فلان وفلان ممن اشتهروا بالعلم ، أو قد تكون قد حيكت لبيان فضل فلان وفلان وتقدمه في العلم من الناحية الاخرى . غير اني أذهب من كل ذلك

---

(٥) القفطي ، انباه الرواة ١٧٢/٣ .

الى أن شيئا من الوضع في اللغة قد حدث وانه بسبب من ذلك كانت لنا مواد ضخمة تحجرت في بطون المطولات .

واني لأعرض لشيء من ذلك اتخذ منه نماذج ، واود ان اقول بادىء ذي بدء ان هذه المخلفات اللغوية تتناول في الغالب المعاني الخلقية الحية مما يدخل في باب « خلق الانسان والحيوان » ، ثم انها تشتمل على ابنية خاصة نافرة ، أقول : نافرة لانها قليلة الورود في لغتنا القديمة العريقة ، فهي والحالة هذه قد عفى عليها الزمان في عربيتنا المعاصرة .

ويبدو لي ان اولئك النحارير الكبار قد اهتدوا الى هذا الوضع والافتعال سعيا وراء الغريب والنادر وولوعا بتلك الاوابد النافرة وحبا باظهار العلم والاجتهاد فيه . ثم انهم اتخذوا من بعض المواد التي تثبت صحتها ودلالتها أصولا فزادوا في اصواتها صوتا ظنوا أنه يزيد المعنى قوة فقالوا مثلا : خَنْبَث وخُنابِث والرجل الخَنْبث والخنابث هو المذموم الخائن . ومن غير شك ان هذه الكلمة لم ترد في نص قديم منسوب او غير منسوب ، والذي أراه انها صنعت من مادة « خبث ، فزادوا في اصواتها النون والتزموا بناء غريبا من أبنية الرباعي وذهبوا الى المعنى الذي أرادوه الذي لا يبتعد عن أصل المادة الثلاثية كثيرا . ومن المفيد ان انبه الدارس الى ان بناء « فُعالِل » بضم اوله وكسر ما قبل الآخر من الابنية التي هجرتها العربية الفصيحة منذ قرون طويلة بله عربيتنا المعاصرة .

هذا مثل أسوقه لأخلص الى تحقيقي الوافي الذي اعتمدت فيه على كتاب « الجمهرة » لابن دريد(٦) ، واقتصرت منه على ما جاء في « أبواب الرباعي الصحيح » ، من المجلد الثالث . ويحسن بي ان أهون على القارىء فاتخذ منهجا ، وهأنا أبدأ بمعنى « الصلب الشديد » فأعرض لطائفة من الالفاظ التي وقفت عليها من هذا المعنى فأجد : العَتْبَل ، والنَبْتَل ، والكُنْبُث والكُنابِث ، والجَلْدَب ، والعَكْبَل ، والجِلْبِز والجُلابِز ، والبُعْثُج،

---

(٦) ابن دريد ، الجمهرة ٣/٢٩٥ – ٣٧٠ .

والعَضبل ، والشنْزب ، والكمتر والكُماتِر ، والكمْتَل ، والكُماتِل ، والجلْعَد والجُلاعد ، والجَلفَز والجُلافِز والعُرُدُل والعَصْلَد ، والعَكْلَد والعَنْدَل .

والصُمُل والعُكَلِد والعُلَكِد ، وسِبَطْر ، وضبَطْر ، وكُندُث وكُنادِث وشَعثَم ، وعردُل ، ومثل هذا كثير .

تعليق :

أقول : ان هذه الطائفة من الالفاظ وهي قليل من كثير ، في معنى « الصلب الشديد » او « الشديد الصلب » . وقد وردت على هذا اللون النافر في أبنيتها وفي مكانها من اللغة ، فلم ترد في أي نص كان موضوعا أو غير موضوع . ثم انها لم تلصق بموصوف معروف فلم اتبين انها من صفات ولوازم العاقلين كما لم أتبين انها من لوازم غير العاقل من الحيوان والجماد.

غير ان العارف بالمعجم القديم واصوات العربية يدرك انصراف الاصوات لما يمكن ان يكون شيئا من معنى حي او ظلّ لذلك المعنى . أريد ان اقول مثلا ان سَلْحَب وسَلْهَب تشيران الى « الطول » . وقد نحسّ هذا من معرفتنا ان في « سحب » و « سهب » شيئا مما يشعر بهذا المعنى ، وهكذا زاد الوضع وزاد الافتعال وكثرت المتحجرات وسمّها ما شئت من نوادر وغريب وأوابد .

وقد ترد طائفة من هذه الالفاظ مشيرة الى « الصلب » أو « الشديد » او « كليهما » أو ما في معناهما الى جانب « رجل » أو « أسد » أو «حمار» فتكون كالصفات ومن هذا :

الكُنُدُر والكُنادِر = الحمار الصلب الشديد .

وأسد عَشَرَّب وغَشَرَّب وعَشَرَّم = غليظ شديد .

وجمل غَبَنَّك = شديد صلب .

ورجل قُنْبُل وقُنابِل = غليظ شديد •

ورجل كُنْبُل وكُنابِل = صلب شديد •

تعليـق :

لا أرى ان كان صوت القاف في « قُنْبل » هو الذى غير المعنى من « الصلب » الى « الغليظ » ! ذلك أنهم قالوا : كُنبُل صلب شديد •

وقد وجدت من ذلك انهم قالوا :

عُنْتُل = صلب شديد ، أما غُنْتُل (بالغين المعجمة) فهي الخامل ! فهل صحيح ان العرب نطقوا بالكلمة مبدوءة بالعين المهمـــل لتعني الصلب الشديد وبالغين وهي نظيرتها وتعني الخامل • انهم لم يذكروا اى شـــاهد على ذلك •

ومن المفيد ان اشير الى ان « عُنْتُل » ربما يكون قريبا من « عُتُلّ » التي وردت في قوله تعالى « عُتُلٌّ بعد ذلك زنيم » •

ولابد أن أعرض لبقية من هذه المعاني الحسيـــة التي تدخل في خلق الانسان والحيوان وصفاتهما مما ورد يتيما في مطولات اللغة لم نظفر به في نص ثبتت نسبته ولم يرد في أضعف الاحوال في رجز من الأرجاز • وسأعرض لطائفة من الالفاظ التي لم تعرف الا عند الرجازين ممن يتساهلون في صبغ هذا اللون من الكلام •

قالوا : الجُنْبُخ والجُنابِخ = العظيم من كل شيء •

الجَنْبَز = القصير والجُعْشُب = الطويل الغليظ •

ومن الطريف ان يكون مقلوب « الجُعْشُب » شيئا آخر فقـــالوا العَشْجَب = الرجل المسترخي • كل هذا من غير ان يشفع بشاهد يعطي شيئاً من الثقة •

ومثل هذا : الدَنْبَح = السيء الخلق في حين الدَنْحَبَة = الخيانة .
ورجل شَرْحَب = طويل ، الحبْرَكي = القصير المتداخل .

وسَحْتَب = اسم وهو الجرىء المقدّم والكُلْتُب والكُلْتَبة = شبيه بالمداهنة .

البهكثة = السرعة فيما أخذ فيه من عمل .

والسَلْحَب والسَحْبَل = الطويل .

تعليق :

لم يغير القلب شيئا من المعنى .

وسبحل وسبحلة = طويل ضخم وطويلة ضخمة .

وقد ذكروا في هذا رجزا مشهورا هو :

سِبَحلة رِبَحْله تنمي نماءَ النخله .

وسكتوا عن « رِبَحْلة » ولم يقولوا فيها شيئا ولعلها شيء من « الاتباع » مثل : شَذَرَ مَذَرَ ونحوها .

والكُنْتُب والكُنَاتِب = القصير المتداخل ، ورجل خُنْبُث وخُنابِث = الخائن ، وشَنْبَثُ وشُنابِث وهو الغليظ من الناس ، ورجل كَلْبَث وكُلابِث = متقبض بخيل ورجل حَبْجَر وحُباجِر = عظيم البطن ، وربما سمّي الغليظ حُباجِر ، ورجل جَحْرَب وجُحارِب=العظيم الخلق ، ورجل طَرْعَب = طويل قبيح في الطول .

وحُبْجُر وحُباجِر = ذكر الحبارى وكذلك حُبْرُج وحُبارِج ، والبَحْزَج = ولد البقرة الوحشية وخبجر خُباجِر = المسترخي البطن .

تعليق :

وقد مرّ بنا ان حَبْجَر وحُباجِر (بالحاء المهملة) يفيد عظيم البطن ، ولا أدرى كيف تطلق الدلالة .

ورجل جَلَنْحَب وجَلَنْحاب وجُلاحِب = الشيخ العظيم الجسم وفيه بقية ، ورجل جَخنَب وجُخَانِب = القصير الغليظ ، والحُنْجُب=اليابس من كل شيء ، وخَلَبْنَج وخُلابِج = المضطرب الخلق الطويل • وجُنْبُخ وجُنابِخ = الطويل العظيم الخلق ، والجَسْرَب = الطويل ، والشَرْجَب= الطويل من الناس والخيل •

ورجل جَعْبَر = القصير المتداخل ، والجَعْبَر ايضا = القعب الغليظ الذي لم يحكم نحته •

والجَرْعَب = الجافي ، والجَنْبَز = القصير • والكَهْدَب = الثقيل الوخم •

تعليـق :

مر بنا ان الجِلْبِز = الصلب الشديد !

الجُعْشُب = الطويل الغليظ •

ولابد ان نعرف ان مقلوبها مع تغيير الضمتين الى فتحتين وهو العشجب يفيد الرجل المسترخي ثم زادوا فقـــالوا : المخبول من جنون ونحوه وليس بثبت •

وسأعرض لطائفة من الالفاظ ذكروا بها « ليست بثبت ! »

والهَلَبَج اصل بناء قولهم : رجل هِلَبْاج وهِلَبْاجة وهُـــلابِج = الثقيل الوخم •

والخُرْبُق = القصير المجتمع ، الدَنْبَح = السيء الخلق ، ورجل شَرْحَب = طويل ، وحَضْرَب من الحَضْرَبة = الضيق البخيل ، ورجل دَخْبَش ودُخابِش = العظيم البطن •

والخَضْرَبة = اضطراب الماء ، وماء خُضَـــارِب ، وشُخارِب = الغليظ الشديد •

ورجل سَلْخَب = فدم ، وشَنْخَب = طويل ، وناقة خِدْلِب = مسنّة مسترخية .

والخَدْلَبة = مشية فيها ضعف . والخَنْزَبة منها اشتقاق الخُنْزوب والخِنْزاب = الجرى على الفجور ، ورجل كُنابد (بالدال المهملة) = صلب شديد ، ورجل كُنابِذ (بالذال المعجمة) = غليظ الوجه جهم ، وعَرْزَب = غليظ شديد ، وعِرْزِب = صلب شديد . وناقة بَلْعَس ودَلْعَس وبَلْعَك ودَلْعَك اى المسترخية المتبخبخة اللحم .

تعليـق :

ولا أدرى انكانتغيير الضبط بالحركات قد أدى الىهذا التغيير الطفيف في المعنى .

ورجل بِرْشِع وبرِشاع = سيء الخلق ، والقَهْزَب = القصير ، والعُصْرب = الطويل المضطرب وعُلَبِط وعُلابِط الرجل الغليظ ، ولبن عُلَبِط وعُلابِط اذا خَثَر ، ورجل هُبْقُع وهُباقِع = قصير ملزّز الخلق، وجمل عُبنّك = شديد صلب ، والدَهَكَث = القصير والدَلْمَث والدُلامِث = السريع ، وبعير دَلْهَث ودُلاهِث = الجرىء في سيره ، وكَنْثَر وكُنائِر = المجتمع الخلق ، والحَرْجُل = الرجل الطويل .

وامرأة حِفْضِج وحُفاضِج = عظيمة البطن ، وكذلك عِفْضِج ، وأتان سَمْحَج = طويلة .

والشَرْجَع = الطويل ، ورجل بَلْعَث وامرأة بَلْعَثة = هو الاهوج وهي الرخواء في غلظ ورجل جنْعِظ وجِنْعاظ = هو الجافي الغليظ الاحمق ، وقالوا : هو القصير المجتمع الخلق .

تعليـق :

لقد لاحظت على طائفة من هذه الغرائب ابتعادا في الدلالة وهذا قد يعني ان الكلمة قد توحي لاحدهم شيئا في حين انها توحي لآخر شيئا آخر، وكل ذلك جائز مع غياب الشاهد والاستعمال .

وعجوز هِرْشَفَّة = مسنّة ، ويقال : بل الهِرْشَفَّة خرقة يُنَشَّف بها الماء من الارض او من الحسي •

تعليـق :

وهذه الهِرْشَفَّة نظير سابقتهـا وهي الجِنْعِظ والجِنْعاظ ، ولا يمكن للدارس ان يطمئن الى هذا الذي ذكر في مطولات اللغة من الكلم الغريب المهجور •

ورجل حُظُبّه وحِظَبّ = الغليظ •

وقالوا : هِجَفّ = جافّ وغليظ ، والهِزَفّ = السريع ، والخِدَبّ = عظيم الخلق (للبعير) ويقال : هُدَبِد وعُثَلِط وعُجَلِط وعُلَبِط وعُكَلِط وهو اللبن الخاثر •

تعليـق :

وهذا من أعجب العجب فكيف تكون جملة هذه الالفاظ التي جاءت على على بناء واحد وكلها بدأت بصوت العين تؤدي معنى واحدا هو اللبن الخاثر!

والهُدَبِد أيضا داء يصيب الانسان في عينه كالعشا فلا يبصر بالليل •

الفاظ مع شواهدها

وهذه الطائفة من الالفاظ ذات شواهد والشاهد اما ان يكون بيتا أو رجزا غير معروف ولا منسوب ، واما ان يكون مثالا مصنوعا على طريقـة النحاة في قولهم : قام زيد وجلس عمرو •

الجَرْدَبة : يقال رجل مُجَرْدِب الذي يستر يمينه بشماله ويأكل ، قال الشاعر :

اذا مــا كنت في قوم شــهاوى

فلا تجعـل شـمالك جُرْدُبانـا

واجْلَعَبَّ الرجل اذا سقط على وجهه

واجْلَعَبَّ الفرس اذا مرَّ سـريعا

تعليـق :

وما أدرى كيف أثق بهذين الاستعمالين على البعد ما بينهما وافتقارهما الى الكلام الاصيل .

ومثل ذلك : ابْلَنْدَحَ المكان اذا اتّسـع ، وابْلَنْدَحَ الحوض انهدم قال الراجز :

قد داست المركوّ حتى أبلَنْدَحـا

البُغْثُر وهو الأحمق الضعيف ، قال الراجز :

ليعلمنّ البُغْثُـرُ ابن البُغْثُـرِ

ومن ذلك : زلحب من قولهم : تزلحب عن الشيء اذا زل عنه .

ويقال : عَثْلَبْتُ الحوض اذا هدمتـه عَثْلَبةً وعِثْلابا ، قال الراجز :

« والنُؤىُ بعـد عهده المُعَثْلَبِ »

وقال الآخر :

والنُؤىُ أمسى جَدْرُه مُعَثْلَبا »

ومن الطريف ان يكون « غَثْلبَ » بالغين المعجمة شيئا آخر ، يقال : غَثْلَبَ الماء يُغَثْلِبُه اذا جرعه جرعا شديدا .

خدرب : اسم ودربخ أحسبها سريانية وهو التذلل والاصغاء الى الامر، قال العجاج :

ولو نقـول دَرْبَخوا لدَرْبَخوا

لفحلنـا أنْ سـرَّه التَنَـوُّخُ

تعليـق :

سآتي على طائفة من الالفاظ التي ظنوا توهماً وتصوراً انها دخيلة وربما عرّبت وليس شيء من ذلك قائما على ثقة وصحة وتأكد ، وانما هو ظن ورجم بالغيب ، ثم ان المعنى في هذه الكلمة استوحاه اللغوي القديم من قول الراجز الذي لا يتوقف امام القافية فهو يصنع اللفظة وهي توحي ما توحيه ، ومثل هذا ما نستشعره كثيرا في الاراجيز وقد لمّحوا الى شيء من ذلك •

بَخْذَع وخَذْعَب : يقال ضربه بالسيف حتى بَخْذَعَه وخَذْعَبَه

سَرْبَخ : هو الفضاء القفر ، قال عبيد :

فأبصرت ثعلبـا بعيداً ودونه سَرْبخٌ جديبُ

وخُطْرُب وخُطـارِب وهو التقوّل بما لم يكن ، جـاء فلان يُخَطِربُ •

تعليـق :

ولا أدرى ما العلاقة بين هذا وبين قولهم :

الخَطْرَبة والحَطْرَبة والحَظْرَبة تعني الضيق في المعاش ! ومن قال هذا وأين ومتى ؟

خِرباش : وقع القوم في خرباش أي اختلاط وصخب ، لغة يمانية •

تعليـق :

لعل الباحث يستطيع ان يجمع طائفة ضخمة من الالفاظ التي « زعم » ابن دريد في « الجمهرة » انها يمانية وليس من دليل يثبت هذه الاصالة في الموطن القديم •

وخَبْرَقْتَ الثوب أي شققته • ومثله الخَزْلَبَة ، يقال : خَزْلَبْتُ اللحمَ أو الحبل اي القطع السريع •

تعليـق :

لعل هذا المعنى من لمح الثلاثي وهو « خرق » و « خزل » وقد زيد الباء في الفعلين ارادة التكثير او التخصيص . ومثل هذا حاصل . ولكني أتساءل هل وجد الفعلان في كلامهم الفصيح المعروف ؟

ومثل هذا « بَزْمَخَ » أي تكبَّر ومن غير شك ان الثلاثي «زَمَخَ» يفيد هذا فزيد الباء .

زَغَدَبَ . قالوا : فلان يُزَغْـــدِبُ على الناس اذا كان يلحف في المسألة ، هذا عن مكوزة الاعرابي .

تعليـق :

كأن صاحب الجمهرة « أراد ان يبعد التبعـــة فذكر هذا الاعرابي « مكوزة ؟ » ألا يرى الباحث ان هؤلاء الاعراب قد اريد لهم ان يضعوا ويفتعلوا ويأتوا بالكلام البارد ؟ ومثل هذا ما ذكروا في مادة « بَخْدَق »[7]:

أخبرنا ابو حاتم ، قال : سألت أم الهيثم (الاعرابية) عن الحبّ الذي يقال به بالفارسية اسفيوش ما اسمه بالعربية ؟ فقالت : أرني منـــه حبّات فأريتها وأفكرت ساعة ثم قالت : هذا البُخْدُق ولم أسمعه من غيرها .

ولما كان الكلام على الافتعال فلابد ان اورد قصة ام الهيثم هذه :

قال عمر بن خالد العثماني : قدمت علينا عجوز من بني منقر تسمى أم الهيثم فغابت علينا ، فسأل عنها أبو عبيدة فقالوا : انها عليلة ، فقال : هل لكم ان نعودها فجئنا فاستأذنا فقالت : لجوا . فسلمنا عليها فاذا هي عليها أهدام وبجد ، وقد طرحتها عليها ، فقلنا : يا أمّ الهيثم كيف تجدينك ؟ قالت : كنت

---

(٧) اللسان ١٣/٣٩ (ط. دار صادر) مادة بخق ، بخدق . وكذا في الجمهرة (مادة بخدق) .

وَحَمَى بالدكة (الودك) فشهدت مأدبة فأكلت جُبْجُبَة من صفيف هلعة فاعترتني زلخة • فقلنا يا أمّ الهيثم : اي شــيء تقولين ؟ فقالت او للناس كلامان ؟ والله ما كلمتكم الا بالعربي الفصيح[٨] •

وهذا الذي زعموا ان أم الهيثم ذكرته لم يقل به غيرها ، وهو ان كان صحيحا والخبر ثابتا فان من غير شك ان الاعراب شاركوا في هذا العمـــل المفتعل المختلق • وفي مطولات العربية مادة كثيرة لم تسمع الا من واحد من اللغويين فقد اثر عن اللحياني من علماء اللغة مسائل كثيرة تفرّد بها فجاءت غريبة عن المتوارد المسموع •

ويبدو انهم كانوا لا يشكون كثيرا فيما يقال انه مسموع عن الاعراب ذكر يونس فيما زعموا انه سمع بعض العرب يقول : ما هــذه الكَنْخَبَة ؟ يريد الكلام المختلط من الخطأ[٩] •

ومن هذا الباب الذي استشهدوا عليه بالرجز اليتيم قولهم : رجـــل قِرشَبّ أي طويل ، ويقال للشيخ اذا عسا وغلظ « قِرشَبّ » ، قـــال أبو محمد الفقعسيّ :

كيف قريت شيخك القِرْشَبّا لما أتاك ســائلا مُخِبّـــا

وقالوا : رجل شهبُر وامرأة شَهْبَرة أي مسنّة لم تحطمها السنّ ، قال الراجز :

ربّ عجوز من أناس شَــهْبَره
علمّتهـــا الانقـــاض بعـــد القرقره

ويبدو ان الراجز ينصرف في الكلمة حسب الحاجـــة فقـــد قلبت « شَهْبَرة » الى « شَهْرَبة » •

---

(٨) القالي ، الامالي ٦٩/٣ ، والمزهر للسيوطي ٥٤٠/٢ . والدكة = الودك ، والجبجبة = الكروش يحفظ فيها اللحم المجفف ، والصفيف = ما صف من اللحم . هلعة = الهلع الجدي .

(٩) الجمهرة ، المجلد الثالث مادة (كنخب) .

فقال الراجز :

أم الحُلَيس لعجوز شهربه ترضى من اللحم بعظم الرقبه

فصارت من شواهد النحو في مجيء خبر المبتدأ محلّى بلام الابتداء للتوكيد خلافا للمشهور من مجيء اللام داخلة على خبر « انّ » .

وقالوا : تبَعَرص الشيء اذا قطع فوقع يضطرب . ذكر ابن الكلبي ان الشنفرى لما خرج من البئر قطعت يده بعد ان ضربه رجل فتبعرصت يده وكانت بها شامة فقال :

لا تبعدنْ لا تبعدن يا شامه ...

وقالوا : زَعبَل وهو اسم واشتقاقه من قولهم : « صبيّ زَعبَل اذا كان سيءّ الغذاء كادى الشباب . ومن امثالهم (لا يكلم زعبل) .

وقالوا : الصَبَعْطَي والضَبَغْطَي وهي كلمة يفزّع بها الصبيان قال الراجز :

وزوجها زَوَنْزَكٌ زَوَنْزَى

يجزع ان فُزّع بالضَبَغْطَي

وقالوا : الطَلَخْشَة التلطّخ بالشيء ، ذكر ابو مالك وابو الخطاب الاخفش : طلخثه طلخثة اذا لطخه بأمر يكرهه .

وقالوا : حِضْجِم وحُضاجِم اى الجافي الغليظ اللحم ، قال الراجز :

« ليس بمبطانٍ ولا حُضاجِم »

وقالوا : الدَعْلَجَة اي الاخذ الكثير ، قال الاسعر الجُعفي :

باتت كلاب الحيّ تسنح بيننا

يأكلن دَعلَجَة ويشبع من عفا

ثم قالوا : الدَعْلَجة اختلاط الالوان في ثوب او غيره • أين هـذا من ذاك ؟

وقالوا : شَمْرَجَ الرجل اذا عمل عملا غير محكم •

وقالوا : غَمْجَرَ الماء اذا جرعه جرعا شديدا •

وقالوا : افْرَنْجَم اللحم اذا تشيطّ من أعلا ولم ينْشَوِ •

وقالوا : عَلْهَضْتُ القارورةَ اذا صممت رأسها هكذا يقول الخليل، قال ابو حاتم هذا بناء مستنكر ويقال : عَضْهَلْت • ويقال : دَحْقَبه اذا دفعه من ورائه •

ألفاظ أخرى

وهذه طائفة من الالفاظ منها مصادر تدل على كثرة الكلام واختلاطه وأخرى تدل على المشي وما يتصل به ، ومنها الفاظ قالوا انها موضوعة وليست بثبت او انهم ظنوا انها دخيلة •

قالوا : جَعْتَبَ اسم مأخوذ من فعل ممات ، والجَعْتَبـة الحرص والشـره •

وقالوا : الصُعْتُب وأصل الصَعْتَبَة مقاربة الخطو والخفة •

وقالوا : عَنْبَث والجمع عَنابِث وهي شجيرة زعموا وليس بثبت •

وقال ابن دريد : السَبْرَجة احسبها دخيلة في العربيـة من قولهم : سَبْرَج على هذا الامر اذا عمّاه •

وقالوا : العَشْجَب اى الرجل المسترخي وقالوا المخبـول من جنون ونحوه وليس بثبت •

وقالوا : الشَهْجَبَة اى اختلاط الامر •

وقالوا : خَزَرْبَ مأخوذ من الخَزَرْبَة وهو اختلاط الكلام وخطله •

ومثله : هَذْرَبة وهَذرَمة وتعني كثرة الكلام ، أما الهَزْرَبة فهي الخفة والسرعة .

ومثل هذا : الهَرْثَمة والحَذْرَمة وكلها كثرة الكلام .

وقالوا : الخَنْبَصة[10] اي اختلاط الامر .

اختلاط الصوت .

وقالوا : الدَرْبَلة وهي ضرب من مشي الانسان فيه ثقل كقولهم جاء يُدَرْبِل .

وقالوا : ذَدْلَبَ اللقمة اذا ابتلعها وليس بثبت .

وقالوا : البَرْكَلة والكَرْبَلة وهي مشي في الطين او خوض في الماء ، وكَرْبَلْت الشيء خلطته بعضه ببعض .

وقال ابن دريد : الرَهْبَلة أحسبها ضربا من المشي وليس بثبت ، قالوا جاء يَتَرَهْبَل اي يمشي مشيا ثقيلا .

وقالوا : ذحلط في كلامه اذا خلط .

وقالوا : الحَضْرَمة اى اللحن في الكلام . والهَتْمَرة اي كثرة الكلام .

وقالوا : الهَبْرَمة زعموا كثرة الكلام ولا أحقه . وقالوا : العَذْرَمة والغَذْرَمة والغَذْمَرة اختلاط الكلام .

وقالوا : زَلْهَبٌ زعموا انه خفيف اللحية ، قال ابن دريد ولا احقه .

وقالوا : الدَرْقَعة العدو الشديد مع فزع ومثله القَعْسَبة والكَسْعَبة .

وقالوا القَنْطَثة وهي العدو بفزع قال ابن دريد وليس بثبت .

وقالوا الثُخْرُط والثُخروط نبت زعموا وليس بثبت .

---

(١٠) لعل كلمة « خبصة » في العامية الدارجة العراقية شيء من هذا .

وقالوا : تِخْطِع اسم ، قال ابن دريد : وأحسبه مصنوعاً .

وقالوا : عَفْشَج أى ثقيل وخم زعموا ، ذكر الخليل انه مصنوع .

وقالوا : عجوز جَلْقَق أي كثيرة اللحم مسترخية ، قال ابن دريد : وأحسب ان هذا الحرف مصنوع لان الجيم والقاف لم تجتمع الا في أحرف معروفة .

وقالوا : الحَوكَلة ان يمشي ويضع يديه في خصره ويعتمد عليها .

وقالوا : الحركلة والحرتلة ضرب من المشي . والخَذْعَلة والخَزْعَلة والخَزْرَفة وهي ان يمر الرجل يخطر .

هذا تحقيق في طائفة من الالفاظ الرباعية البناء ، وهي من غير شك من مادة الغريب المهجور ، وقد كنت أشرت الى ان شيئا كثيرا من هذا لا يوحي انه ورد في كلام العرب او ان الالسن قد لاكته . ومن أجل ذلك فهي مخلفات لغوية لم تكتسب الحياة منذ ان وضعت . وقد لمحنا ان اهل اللغة قد وقفوا منها موقفا خاصا وان كانوا قد سعوا الى جمعها وضبطها رغم انهم لم يتحققوا الكثير من اصالتها وصوابها .

ان معجمنا القديم لهو وعاء واسع اشتمل على فوائد جمة نستخلصها فتتبين لنا عبقرية العربية وكيف انها ظلت لغة الحضارة في العالم المعمور طوال عصور عدة وما زالت قادرة على مسايرة عصرنا الحاضر بحضارته المعقدة الضخمة . غير ان هذا المعجم قد ضم الى جانب تلك الاعلاق النفسية مواد أخرى صنعت صناعة واخترعت اختراعا فلم يكن لها حظ من الحياة .. ومن أجل ذلك كان على اللغوي في عصرنا ان يؤرخ هذه اللغة فيقف على مراحلها ، وكيف استجابت لتلك المراحل الزمنية ازاء الحضارات المتعاقبة ، ثم يعرض لما لفظته القرون ، فانقطعت اخباره وعفت آثاره . ومن العجيب أن مؤسساتنا العلمية ومجامعنا اللغوية لم تحقق كثيرا من علم اللغة التاريخي فتقيم للعربية تاريخا اسوة بغيرها من اللغات المتقدمة في عصرنا هذا .

الفصل الرابع

كتاب « فاعول »[1]

بين السريانية والعربية

لم يشر اللغويون العرب الى بناء « فاعول » بين الابنية العربية ، فليس هو من ابنية سيبويه مثلا . ولم يفرد له احد منهم باباً ولا خصه بكتاب كما فعل الصاغاني في كتاب ما جاء على « فَعالِ »[2] بفتح الفاء وكسر اللام ، وكما فعل في كتاب « يفعول »[3] .

غير ان العربية اشتملت على الفاظ وردت على « فاعول » فماذا القول فيـــه ؟

اقول : ان اصالة بناء « فاعول » سريانية فقد ورد منه في هذه اللغـــة قدر كبير ما زلنا نلمحه بل نستعمله في العربية السائرة الدارجة في كثير من الحواضر العراقية وغير العراقية من بلاد العرب . كما نجد قدراً من هـــذه الالفاظ على هذا البناء في العربية الفصيحة ، ومما لا شك فيه ان من هـــذه

---

(١) لقد اضفت الى مواد هذا الكتاب ما جاء على « فاعولة » وهـو كثـير أيضاً .

(٢) كتاب ما جاء على « فعال » للصاغاني من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق وقد حققه وعلق عليه عز الدين التنوخي .

(٣) كتاب يفعول للصاغاني حققه حسن حسني عبدالوهاب وطبع في تونس . ثم اعاد كاتب هذا المقال نشره في بغداد بعد ان تيسر له من الفوائد مـا شجع على اعادة النشر .

الطائفة من الالفاظ ما كان سريانياً استعمل في العربيـــة وبقي محتفظاً بشيء نستدل به على اصالته •

ونستطيع ان نلمح في هذه الالفاظ في العربية الفصيحـــة وفي الالسن الدارجة تصنيفاً خاصاً هو ان قدراً كبيراً منها يدل على ادوات تســـتعمل في البيوت ، ويستعملها اصحاب الحرف كما ان منها نعوتاً وصفات تقوم مقام الصفات والنعوت في العربية • ولا نعدم ان نجد منهـــا شيئا من الالفاظ النصرانية وعرفته العربية بدلالته هذه •

اقول : ان بناء « فاعول » وان استعمل في العربية فهو من الابنيـــة السريانية التي استعملها العرب فأضافوه الى ابنيتهم فالحقوه بابنية الآلة تارة وبابنية المبالغة تارة اخرى ، ومن المفيد ان اشير الى ان طائفة مما جاء على « فاعول » كانت من اسماء المدن والمواضع القديمة ولا استبعد ان تكون هذه من الالفاظ السريانية ومن غير شك ان قدراً من هذه الالفاظ هو من الكلم السرياني وهو يحتفظ بشيء يقرر اصالة الســريانية مثل القصر في آخر الالفاظ كما سنبين ذلك •

ولا يفوتني ان اذكر ان قدراً مما جاء على « فاعول » من اسماء المواضع واعلام الرجال هو شيء عرّبه العرب واخضعوه في اســـتعمالهم على بناء « فاعول » فابتعد قليلاً او كثيراً عن اصله الاعجمي •

وسأعرض في هذا العمل المعجمي لهذه المواد كلها فاثبت من الفوائد لكل منها مما اهتديت اليه في العربية ، واشير الى سريانية المواد ان عرضت كما اشير الى ما جـّد في العربية من هذه الالفاظ مما اعطي له هذا البناء النادر •

باب الهمزة

آجُـور :

جاء في « اللســان » : والأجور واليــأجُور والآجرُون والأُجُرّ

والآجُرّ والآجِرُ : طبيخ الطين ، الواحدة بالهاء أُجُرّة وآجُرّة وإجِرّة .

قال أبو عمرو : هو الآجُرُ مخفف الراء ، وهي الآجُرَة . وقال غيره : آجُرٌ وآجُور على « فاعول » وهو الذي يُبنى به ، فارسي مُعرَّب .

قال الكسائي : العرب تقول آجُرَّة وآجُرّ للجمع وآجُرَة وجمعها آجُرٌ وأَجُرَة وجمعها أَجُرٌ ، وآجُورة وجمعها آجُور .

وجاء في « المعرَّب » للجواليقي [أ] :

والآجُرُّ : فارسيّ معرّب وفيه لغات : « آجُرُّ » بالتشديد و « آجُرٌ » بالتخفيف و « آجُور » و « ياجُور » [ب] و « اجُرُون » « آجِرُون » .

وقد جاء في الشعر الفصيح ، قال ابو دواد الايادي :

ولقد كان ذا كتائب خضرٍ
وبَلاط يُشاد بالآجُرُونِ

ويروى : « بالآجِرون » بكسر الجيم .

وقال ابو كَدراء العجليّ :

بنى السُّعاةُ لنا مجداً ومَكرُمةً
لا كالبناء من الآجُرِّ والطينِ

وقال ثعلبه بن صُعَير المازنيّ :

« فَدَنُ بن حيّةَ شادَهُ بالآجُرِ »

وحُكِي عن الاصمعي : « آجرَّة » و « آجُرَّة » والهمز في الآجُرّ فاء الفعل كما كانت في « أَرَّجان » بدليل قولهم : « الآجُور »

(أ) انظر «المعرب» .
(ب) المصدر السابق .

فالآجُورُ كالعاقول والحاطُوم ، لانــه ليس في الكـــلام شـــيء على « أفعُول » ••••••

وقد ذكرها السيد ادّي شير رئيس اساقفه سعرد الكلداني في «كتاب الالفاظ الفارسية المعرّبة »(ج) وذهب الى انهـــا تعريب آگور • ونقل قول فرنكل (ص : ٥) ان اصل اللفظة آرامي » ܐܓܘܪ

اقول : وانا اقطع بسريانيتها ولكني لا استطيع ان اقطع في ان العرب قد اخذوها من السريانية واكبر الظن انهم اخذوها عن طريق الفارسية فعربت على انها فارسية ولم يلتفتوا الى الاصل السرياني •

آخــور :

معرّب فارسي الاصل « آخور » وهو الاصطبل ذكره ادّي شير •

وهو ايضاً « آخور » بالسريانية الدارجة • ولعل الكلمة فيالسريانية الدارجة وقد وردت من الكردية والتركية ومن غير شك ان الاصل فارسي •

آشوب ــ

من الاعلام عند الفرس والذي نعرفه ان غير واحد من الاعلام عرف بـ « اشوب » ومنهم ابن شهر آشوب من الاعلام الذين صنفوا في الرجال •

وعرض الجواليقي لكلمة « الاشائب »[1] فقال :ــ

الاشائب : الاخلاط من الناس • قيل انها فارسية معرّبة • اصلهـــا « آشوب » •

اقول : ولم اجد بين اللغويين الاقدمين من ذهب الى عجمة « الكلمة » فهي عربية خالصة • والنظر في « آشب » و « شـــوب » يهدي الى عروبة الكلمـــة •

(ج) انظر كتاب الالفاظ الفارسية المعربة .

(١) المعرّب ص ٢٧ .

آلوس ـ

بليده على الفرات .

ذكر ياقوت[2] :

آلوسة : على « فاعولة » بلد على الفرات قرب عانة وقيل فيه ألُوس بغير مد ، الا ان ابا علي حكم بتعريبه وجاء به بالهمزة بعدها الف وقال : هي فاعولة ، الا ترى انه ليس في كلامهم شيء على « افعولة » فهو مثل قولهم « آجُور » ومثل ذلك قولهم الآجُور والآخيُّ والآريّ « فاعول » وكذلك الآخيّة ، وانما انقلبت واو فاعول فيه ياء لوقوعها ساكنة قبل الياء التي هي لام الفعل واللام ياء ....

باب الباء

بابوج ـ[3]

معرّب فارسيّ الاصل « پاپوج » واصل معناه مُغطيّ الرِّجْل وهو كذلك بالكردية والتركية . ذكره أدّي شير .

بابوش ـ لغة في بابُوج .

بابُونِيا ـ[4]

بضم الباء الثانية وسكون الواو وكسر النون وياء والف من قرى بغداد منها ابو الفضل موسى بن سلطان بن علي المقري الضرير البابوني ، دخل بغداد فسمع بها وقرأ القرآن بالروايات ....

---

(٢) معجم البلدان ١/٦٥ .

(٣) كتاب الالفاظ الفارسية المعربة ص ١٤ .

(٤) الحق هذا اللفظ ببناء « فاعول » مع وجود الياء في آخره لانه مما يلحق فليس هي اصلا . انظر معجم البلدان ١/٤٥٢ .

باتولي —

قرية في جنوبي لبنان .

قال انيس فريحة : ܒܬܘܠܐ متبتلون ، منقطعون عن الزواج من جذر « بتل » وقد ورد في التوراة اسم مدينة في سبط شمعون ، يشوع ١٩ : ٤ . وهناك امكانة اخرى ان يكون تحريف « بطّليّه » اي الكسالى والخاملون[٥] .

اقول : والعجيب انه لم يشر الى كلمة « بتول » العربية التي تعنى المعنى نفسه فهي من المشترك السامي ولا وجه « للامكانة » الثانية .

باحور —

جاء في « اللسان »[٦] : ويوم باحُوريّ على غير قياس فكأنه منسوب الى باحُور وباحُوراء مثل عاشور وعاشوراء ، وهو شدة الحر في تموز ، وجميع ذلك مولد .

اقول : ولعل الكلمة من السريانية « باحورا » وهو الغيم الصيفي ، وهي بهذا المعنى في العامية الموصلية[٧] . وهي كذلك في العامية البغدادية مع افادة شدة الحر فهي من الفصيح العامي .

وفي « اللسان » : والباحور : القمر عن ابي علي الفارسي في « البصريات » .

اقول : وهذا الذي نسب الى ابي علي غريب لم يُنقل عن غيره ولعله مصحف « ساهور » التي تعني القمر وسيأتي في باب السين .

---

(٥) اسماء المدن والقرى اللبنانية ص ١٧ .

(٦) اللسان (بحر) .

(٧) انظر الاثار الآرامية في لغة الموصل العامية ص ١٥ .

و « باحُور » من اعلام الذكور في عصـرنا ولا سيما لدى العراقيين في جنوبيّ العراق .

بادُورْيا ـ

جاء في « معجم البلدان »[٨] : بادوريا بالواو والراء وياء والف طسّوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد وهو اليوم محسوب من كورة نهر عيسى بن علي منها النحاسية والحارثية ونهر ارما ، وفي طرفه بنيت بعض بغداد منه القُرَيّة والنجمى والرقّة .

قالوا : كل ما كان من شرقي الصَّراة فهو بادوريا وما كان في غربيهـا قطربُّل .

قال ابو العباس احمد بن محمد بن موسى بن الفرات : من استقلّ من الكتاب ببـادوريا اسـتقل بديوان الخراج ومن اسـتقل بديوان الخراج استقل بالوزارة وذاك لان معاملاتها مختلفة ، وقصبتها الحَضرة ، والمعاملة فيها مع الامراء والوزراء والقوّاد والكتاب والاشـراف ووجوه الناس فاذا ضبط اختلاف المعاملات واستوفي على هذه الطبقات صلح للامور الكبار .
وقال يذكر بادوريا فعرَّبها بتغبيرين كسر الراء ومدّ الالف فقال :

فـداء ابى اسـحق نفس وأسرتي
وقلَّت له نفسي فداءً ومعشْـري

أطبْت واكثرتُ العطـاءَ مُسَمِّحاً
فطبْ نامياً في نُضرة العيش واكثرِ

وأدَّيتَ في بادورياءَ ومسـكن
خراجي وفي جنبي كنـارٍ ويعمرِ

---

(٨) معجم البلدان ١/٤٦٠ .

وقد نَسَبَ المحدثون اليها ابا الحسن علي بن احمد بن سعيد البادوريّ حدّث عن مقاتل عن ذي النون المصري ، روى عنه ابن جَهْضَم وكان قد كتب عنه ببادُوريا . انتهى كلام ياقوت .

اقول : بابُونيا وبادُوريا جاءتا على نمط طائفة من اسماء المواضع والبلاد والمدن مما جاء مصدراً بـ « با » وهي مجتزأة من كلمة « بيت » وكل هذه الاسماء من الاثار السريانية التي بقيت وعرفها العرب وابقوها في كثير من الاحيان على صورتها السريانية ومنها : باجَدّا من قرى بغداد ، وباجرّا من قرى الجزيرة وباجَرْما قرية من اعمال البليخ قرب الرقة وباجَرْمق كوره قرب دَقُوقا ، وباجِسْرا بليدة في شرقي بغداد ، وباجُمَيرا موضع دون تكريت ومنها ايضاً بعقوبا وباصَيدا وبعشيقا وبقسايا وغيرها وهذه ما زالت تحتفظ بالحركة المطلقة المفتوحة في آخرها . وهذا الفتح المطلق (فتاح) في الاخر هو الذى تحول الى هاء التأنيث في هذه الكلمات بعد تعريبها مثل بعقوبة وبقساية وسورية وغيرها . غير ان طائفة منها بقيت تحتفظ بهذه اللاحقة دلالة على التأنيث ومنها الكلمتان اللتان كانتا موضع الشاهد وهما :

« بابونيا » و « بادوريا » ويضاف اليهما سوريا في الرسم القديم في كتب التاريخ والبلدان و « صيدا » و « عين طورا » و « برمّانا » في بلاد الشام، ومثل هذا كثير[٩] .

بارُود ـ

وهو المادة المتفجرة التي تطلق من البندقية والمدفع ونحوها وهو معرّب جديد .

---

(٩) ولا استبعد ان تكون « كربلا » و « سامرا » من هذا الارث السرياني في العربية . اما الهمزة في الآخر فهي من زيادات العربية في العصور المتأخرة ولا سيما في الشعر وهو شي يقتضيه الوزن والدليل على هذا ان النسبة لـ « سامرا » في كتب التراجم « سامريّ » .

اقول : وقد لقب غير واحد من الاعلام في عصرنا بـ « البارودي » اشهرهم محمود سامي باشا البارودي الشاعر المصري[10] ونسبته الى « ايتاى البارود » وهي قرية بمصر .

بارُوذ ـ[11]

بضم الراء وسكون الواو والذال معجم من قرى فلسطين عند الرملة منها ابو بكر احمد بن محمد بن محمد بن بكر البارُوذي الأزدي .

اقول : لعلها قرية سريانية نصرانية أو آرامية : ولم اهتد الى اصلها ومعناها فلا اقطع به .

بارُوس[12] ـ

من قرى نيسابور على بابها ينسب اليها ابو الحسن سَلَّم بن الحسن البارُوسيّ ذكره ابو عبدالرحمن السلميّ في « تاريخ الصوفية » وقال من قدماء الصوفية بنيسابور استاذ حمدون القَصّاب .

بارُوشه[13] ـ

قال ياقوت : مدينة من غربيّ سرقطة من نواحي الاندلس شرقيّ قرطبة بقرب من ارض الفرنج وهي اليوم في ايديهم ولها بسيط وحصون .

الباروك ـ

نبع مشهور في لبنان .

قال انيس فريحة[14] : من جذر ب ر ك على وزن فاعول ، وهو في

---

(١٠) الزركلي ، الاعلام ٨/٤٧ .
(١١) معجم البلدان ١/٤٦٥ .
(١٢) معجم البلدان ١/٤٦٥ .
(١٣) رأيت من المناسب ان الحق ببناء « فاعول » الالفاظ التي جاءت على « فاعولة » وهي مؤنثات اغلبها ادوات .
(١٤) اسماء المدن والقرى اللبنانية ص ١٧ .

العبرية اسم المفعول ، وعليه نرجح ان يكون الاسم فينيقياً قديمـاً بمعنى « المبارك » وهو اسم جميل لنبع ماء غزير .

وقال الابوان يوسف حبيقة واسحق رملة : انه يعني « رابض »[١٥] . وقد اخذا التسمية من « بَرَكَ » .

ويرد انيس فريحة عليهما قائلاً : واما نحن فنميل الى اعتبار الاسم من البركة والنعمة .

اقول : ليس الاسم فينيقياً قديماً من اصل ברך العبراني ذلك ان هذه المادة في العبرانية بالخاء المعجمة وعليه يكون الاسم بالخاء « باروخ » .

ثم ان فاعول ليس صيغة اسم المفعول قياسا فقد يأتي اسم فاعل وقد يأتي صفة، وقد يأتي اسماً نحو «ناحوم» נחום ويعني التسلية او الراحة وبه سُمّي الاعلام كالنبي ناحوم من انبياء بني اسرائيل .

وارى ان الاسم من مادة عربية هي « البركة » وان الصيغة آراميـة سريانية .

ومن العجيب ان الاستاذ فريحة لم يشر الى ان الكلمـة من المشترك السـامي .

وانا استبعـد رأي الاب حبيقة والاب رملة في الذهـاب الى معنى البُروك .

البازوريـة :

موضع في لبنان .

قال انيس فريحة[١٦] : يحتمل الاسـم عدة تفاسير :

حـلـ رة زا

---

(١٥) مجلة المشرق سنة ٣٧ ، عدد تموز - ايلول ١٩٣٩ ص ٣٨٧ .

(١٦) اسماء المدن والقرى اللبنانية ص ١٧ .

بيت زوارا محله الغرباء والاجانب او المهاجرين جذر זור « زور » العبري يفيد الاغتراب والكراهية والضغط والشدة . وقد يكون الباء في اوله من الجذر בזר « بزر » ويقابلها بذر فيكون اسماً زراعياً : الارض التي تبذر .

اقول : وانا ارى الرأي الثاني اى مادة البذر .

باسور[17] ـ

جاء في « الجمهرة » : فاما الداء الذي يسمى الباسُور فقد تكلمت به العرب ، واحسب ان اصله معرّب . وقد نقل الجواليقي عبارة ابن دريد في « المعرب »[18] .

وجاء في « اللسان » : الباسور كالناسور اعجمي ، داء معروف ويجمع « البواسير » .

وفي « فتح الباري على صحيح البخاري »[19] : وفي حديث عمران بن حصين في صلاة القاعد « وكان مبسوراً » اي به بواسير . وفي «التاج» : الباسور عله معروفة ، اعجميّ .

وقال داود الجلبي الموصلي[20] :

باسُور ج بواسير : نتوء لحمي يحدث في المقعدة خارجها او داخلها يدمي احياناً .

اقول : والكلمة ما زالت متداولة في العربية المعاصرة وليست قاصرة على عاميّة بعينها . وهي من غير شك من « باسُورا » ܒܣܘܪܐ السريانية .

---

(١٧) الجمهرة ١/٢٥٥ .
(١٨) المعرّب ص ٥٨ .
(١٩) تاج العروس (بسر) .
(٢٠) الاثار الآرامية في لغة الموصل العامية ص ١٦ .

پاسوق(٢١) ـ

ܦܣܘܩܐ

وتعني عث القمح . وهي من غير شك «پاسوقا» السريانية والفعل في هذه الكلمة « پْسَق » ويعني قطع وقص ، وجَذَم.

اقول : وليس هذا الفعل السرياني غريبا عن الفعل « فَسَق » في العربية . وهذا يعني ان هذه المادة من المشترك السامي العام .

ان الفعل « فَسَقَ » في العربية يعني ما يعنيه في غير العربية من اللغات السامية . ولقد جاء في معجمات العربية شيء يقرب من المعنى الحقيقي الذي ضل السبيل عن اصحاب المعجمات بل قل جهلوه وهو : فسقت الرطبة عن القشر اي خرجت .

يعني ما يعنيه في غير العربية من اللغات السامية . ولقد جاء في معجمات العربية شيء يقرب من المعنى الحقيقي الذي ضل السبيل عن اصحاب المعجمات بل قل جهلوه وهو : فسقت الرطبة عن القشر اي خرجت .

قلت : لقد خفي هذا المعنى على اهل اللغة وذلك لانشغالهم بآخر دلالة للفعل وهو الفسوق أي الخروج عن طريق الحق ولزوم المعصية وترك امر الله عز وجل والمصدر فُسوق وفِسق . والحديث في القرآن عن هذه الكبيرة من كبائر الذنوب الفسوق أو الفسق حديث طويل فقد اشارت الآيات الكثيرة الى عاقبه الفاسقين وسوء منقلبهم وابتعادهم عن عفو الله ورحمته .

ولم يعن اهل المعجمات بهذه اللفظة واصولها التي تبتعد عن هذا المعنى الاسلامي ولو فعلوا ذلك لتوصلوا الى كثير من خواص الالفاظ مما يؤدي الى زيادة فوائد يتضح فيها تاريخ العربية بالنظر الى غيرها من اللغات السامية.

باصوص ـ

كلمة عراقية من الفاظ العوام ويريدون بها النظر الحساد . وليس في فصيح اللغة العربية شيء من هذه المادة الا" البصيص وهو البريق .

---

(٢١) الحقنا هذه الكلمة بباب الباء لمشابهة الرسم بين الصوتين ، وكان الاولى ان تلحق الكلمة بباب الفاء ذلك ان « ف » و « پ » صوتان شفويان .

باطوخ ــ

من العامية الموصلية وتعني الزبل يدعك باليد ويعالج ويجعل على هيئة قطعة كرة ويجفف في الشمس للوقود • وهو من «پاثوجا» [Syriac] في السريانية وتعني الزبل والدمن وخثي البقر • ومثل هذا يعالجه القرويون في جنوبي العراق ويدعونه « المطّال » بضم الميم وتشديد الطاء • والاسم يدل على انه ممطول أي مبسوط وليس على هيئة الكرة كالباطوخ •

باعُوث ــ

جاء في « اللسان »[22] : وفي حديث عمر « رضي الله عنه » لما صالح نصارى الشام كتبوا له : إنا لا نُحدث كنيسة ولا قَلّيّة ولا نخرج سعانين ولا باعوثاً • الباعوث للنصارى كالاستسقاء للمسلمين ، وهو اسم سرياني •

وقال الدكتور داود الجلبي الموصلي[23] : باعوثي (كذا بالياء المعجمة) ايام ثلاثة تصومها النصارى ويقرؤون فيها ادعية مخصوصة تذكاراً لصوم النبي يونس (يونان) واهل نينوى • من [Syriac] (باعوثا) وهو الطلبة والالتماس والتضرع والتوسّل •

باغُوث ــ لغة اخرى في باعوث كما في معجمات العربية •

باقُور ــ

وفي معجمات العربية ان : البقر والباقِر وللبَقير والبَيْقور وباقُور وباقُورة اسماء للجمع ولم يوردوا شاهداً في « الباقور » •

باقورة ــ اسم جمع في البقر ايضاً •

باقوفا ــ قرية او بليده من قرى الموصل• ولعلها من « قوفا » اي ارتفاع وتراكم في السريانية [Syriac] وقد صدرت بـ « بـا » وتعني بيت •

---

(٢٢) اللسان (بعث) .

(٢٣) الالفاظ الارامية ص ١٦ .

ولعل « كوفه » هي من هذه الاصول الســـريانية وهي « كوفا » وهي « قوفـــا » .

باكور ـ

في معجمات العربية : ان الباكُور من كل شيء ، هو المبكِّر السريع .

وفي العامية الموصلية ان « باكُور » شبه محجن قد قطع من غصن قرب منشأ فرع وقُطع الفرع وترك منه على الغصن نحو ثمانية سانتيمترات وحُدّد طرف الجذمة المتصلة بالغصن على زاوية حادة فصارت كالكلاّب ، وحدّد طرف الغصن ايضاً عند اتصاله بالجذمة .

يستعمل الباكور هذا سَوّاقو الحمير ، يضرب السائق به حماره كما يضرب بالعصا او يوخزه برأسه الحاد كلما اراد حثّه وهو يمشي وراءه .واذا ركبه مدّ الباكور وراءه ووجه رأس الكلاب الى فخذه وصار يخدشه بحكه من تحت الى فوق وهكذا يحثه على الاسراع . وهو مـن (بگارا)[٢٤] .

وفي العامية البغدادية ان (الباكورة) عصاً على النحو الذي جاء وصفه لدى الموصليين .

باكورة ـ

في معجمات العربية : واول كل شيء باكورة .

باب التاء

تابوت ـ

غلط الجوهري في « الصحاح »[٢٥] فأدرج التابوت في كلمة « توب ». وقد نبّه ابن بري على وهم الجوهري فقال وكان الصواب ان يذكره في فصل « تبت » لان تاءه اصلية ، ووزنه على « فاعول »[٢٦] .

---

(٢٤) الالفاظ الآرامية ص ١٦ .
(٢٥) الصحاح (تـوب) .
(٢٦) اللسان (تبت) .

والتابوت : الاضلاع وما تحويه كالقلب والكبـد وغيرها ، تشبيهاً بالصندوق الذي يحرز فيه المتاع أي انه مكتوب موضوع في الصندوق .

تابوه ـ لغة في التابوت ، انصارية نقلاً عن ابن سيده[٢٧] .

تاسوعاء ـ هو اليوم التاسع من المحرم ، وقيل هو يوم عاشوراء .

تاسومة ـ

ضرب من الاحذية تعريب تاسُم ومعناهـا الضفيرة والقدّة وفرعـة الحذاء[٢٨] . ذكرها ادي شير .

تاعوب ـ

من العامية العراقية بمعنى الذي يعمل بجهده اجيراً كالفـلاح الذي لا يشارك في النفقات مثلاً . وفي اللغة الدارجة في كثير من الحواضر العراقية يصوغون على « فاعول » للدلالة على اسم الفاعل الذي يؤدى صاحب حرفة او عمل من الاعمال وسيأتي شيء كثير من هذه الالفاظ .

تاقول ـ

خيط قد علّق برأسه قطعة معدنية يدلّيـه البنّاء على وجه حائط او رخامة ونحوهـا ليروز به الاستقامة . وهو من السـريانية (تاقولا) ܬܩܘܠܐ[٢٩] . كذا في الدارجـة الموصلية وفي الدارجـة البغدادية وغيرها في حواضر العراق « شاهُول » بالشين وسيأتي الكلام عليها في باب الشين . وفي الفصيح من العربية « الشاقول » .

تامُور ـ

قال ابن دريد في الجمهرة[٣٠] : ومما أخذ من السريانية « التامور »

---

(٢٧) اللسان (تبت) .
(٢٨) كتاب الالفاظ الفارسية المعربة ص ٣٣ .
(٢٩) الالفاظ الآرامية ص ٢٤ .
(٣٠) الجمهرة ٣/٥٠١ .

وربما جعلوه صبغاً أحمر ، وربما جعلوه موضع السـر ، وربما سُمّي دم القلب « تامورا » .

وعد الجوهري وغيره التاء اصلية فوزنه فاعول ، اما صاحب القاموس فجعله في فصل « أمر » ووزنه تفعول[٣١] .

وفي « معجم البلدان » ان « تامُور » اسـم رمل بـين اليمامة والبحرين[٣٢] .

تامورة ـ

جاء في المعرّب[٣٣] ان « التامور » صـومعة الراهب ويقال : تامُور بلا هاء وقال ربيعة بن مقروم الضبي :

لَدَنا لبهجتها وحسن حديثها ولَهَمّ من تاموره يتنزلُ

اقول : ولم استطع التحقق من هذا الدخيل السرياني في التامور والتامورة فيما بين يدَيّ من مظان .

باب الثاء

ثالوث ـ

مجموعُ ثلاثة اشياء . والثالوث في المسيحية معروف وهو الاب والابن وروح القدس .

باب الجيم

جاثوم ـ

جاء في كتاب اللغة : الجُثام والجاثوم الكابوس يجثم على الانسان وهو

---

(٣١) القاموس (امر) .

(٣٢) معجم البلدان ٨١٣/١ .

(٣٣) المعرّب ص ٨٥ .

الديثاني" . وفي « التهذيب » ويقال للذي يقع على الانسان وهو نائم جاثوم وجُثم َ وجُثَمة وجَثامة .

جارود ــ

جاء في معجمات اللغة : سنة جارود مقحطة شديدة المحل . ورجل جارود : مشؤوم منه كانه يقشر قومه .

والجارود العبدي" : رجل من الصحابة واسمه بشر بن عمرو بن عبد القيس ، وسُمِّي الجارود لانه فرَّ بابله الى اخواله من بني شيبان وبابله داء، ففشا ذلك الداء في ابل اخواله فاهلكها وفيه يقول الشاعر :

لقد جرَّد الجارود بكر بن وائل

ومعناه : شئم عليهم ، وقيل استأصل ما عنـــدهم . وللجارود حديث وقد صحب النبي (ص) وقتل بفارس في عقبة الطين[٣٤] .

ومن الاعلام ايضا قال ابو عبيدة : ... فحدثني غير واحد عن ابن الجارود بن ابي سبره عن ابيه الجارود[٣٥] ....

جاروش ــ

الجاروش في لغة عوام جنوبي العراق من مهنته الجرش أي انه يقوم على آلة بدائية هي المجرشة التي تقشر الحبَّ كالحنطة والرز" وغيرهما . و«فاعول» كثير في ذوي الحرف والاعمال في العامية العراقية .

جاسوس ــ

صاحب سر" الشر" كما في كتب اللغة .

جاسوم ــ

جاء في السيرة النبوية : بلغ رسول الله ــ ص ــ ان ناســاً من المنافقين

---

(٣٤) انظر لسان العرب (جرد) .
(٣٥) نقائض جرير والفرزدق ٢/٧٢٤ .

يجتمعون في بيت سُوَيلم اليهودي وكان بيته عند جاسُوم .....[٣٦] .

جالـوت ـ

جاء في الكشاف للزمخشري في تفسير الآية : « .... قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » . وجالوت جبّار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد[٣٧] .

وعين الجالوت[٣٨] ـ بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من اعمال فلسطين كان الروم قد استولوا عليها مدة ثم استنقذها منهم صلاح الدين الملك الناصر يوسف بن ايوب سنة ٥٧٩هـ .

جاموس ـ

جـاء في « المعرّب » : أعجمي وقد تكلمت به العـــرب[٣٩] . وفي « اللسان » : هو ضرب من البقر ، فارسي معرب ، جمعه جواميس واصلها كواميش .

باب الحاء

حادُور ـ

الدواء يحدُر البطن أي يُمشّيه كذا في (اللسان)[٤٠] .

والحادور : القرط في الاذن وجمعه حوادير .

والحادور في لغة العراقيين : انحدار الماء في النهر ، وهي مما يستعمله الملاحون واهل السفن .

---

(٣٦) السيرة النبوية لابن هشام ١٦٠/٤ .
(٣٧) الكشاف ٢٩٦/١ .
(٣٨) معجم البلدان ٧٦٠/٣ .
(٣٩) المعرب ص ١٠٤ .
(٤٠) اللسان (حدر) .

حادورة ـ

قال اللحياني : حَدَرت العين بالدمع تحدُر وتحدِر حَدْراً ، والاسم من كل ذلك الحُدورة والحَدورة والحادورة[٤١] .

حارُوف ـ

موضع او بليدة في جبل النبطية في جنوبي لبنان .

يقول انيس فريحة : ونقدر ان الاسم « حاروفا »

ومعناه الحادّ واللاذع والحِرّيف . وقد يكون تصحيف « حروبا » أي الخرنوب[٤٢] .

حاسود ـ

الحاسد في لغة عامّة العراقيين . والكلمة كأنها اسم فاعل كما في عدة لغات سامية اخرى منها العبرانية .

حاشوش ـ

وهو الذى يحش الحشيش اي يحسّه ويقصه . وهي في لغة عامة العراقيين العاملين في الزراعة .

حاصود ـ

جاء في « اللسان » : وحكى ابن جنّي عن احمد بن يحيى : حاصُود وحواصيد ولم يفسره قال ابن سيده : ولا ادري ما هو[٤٣] .

اقول : من حق ابن سيده ان يجهل هذا ، ذلك انه لغة عوامّ العراقيين ولا سيما اهل الفلاحة .

---

(٤١) المصدر السابق (حدر) .

(٤٢) اسماء المدن والقرى اللبنانية ص ١٠٠ .

(٤٣) اللسان (حصد) .

والحاصود الذي يحصد وليس كمـــا زعم داود الجلبي الموصلي من انه المنجل[٤٤] .

والكلمة من المشترك السامي فهي معروفة في السريانية « حاصودا » .

حاصودة ـ

وتطلق على الآلة الجديدة او الماكنة التي تحصد الزرع في عصرنا .

حاصورا ـ

قال ياقوت : في كتاب العمراني بالصاد المهملة بآخره الف مقصورة وقال : موضع .

وجاء به ابن القطاع بالضاد المعجمة بغير الف في آخره وقال : اسم ماء ، ولا ادري اهما موضعان ام احدهما تصحيف[٤٥] .

حاطوم ـ

هو الهاضوم اي الدواء الهاضم للطعام .

الحاكورة ـ

قال فريحة : الحـُكر والحاكورة في عامية لبنان قطعة ارض حولها سور. وقد تطلق على قطعة الارض امام البيت او وراءه يزرع فيها « خضار » او اشجار مثمرة . ترجيحنا ان اللفظة اسم مفعول من جذر فينيقي (او بالاحرى سامي "مشترك) 𐤇𐤊𐤓 ويعنى منع وصد "وسو "رفيكون معنى الاسم سواء اكان اسم قرية او قطعة الارض الصغيرة المسو "رة المحجور عليها الممنوعة عن الغير[٤٦] .

---

(٤٤) الاثار الآرامية ص ٣٣ .

(٤٥) معجم البلدان ٢/١٨٤ .

(٤٦) اسماء المدن والقرى اللبنانية ص ١٠١ .

حالوب ـ

هو البَرَد الذي يسقط اي الماء الجامد فيسقط حبّـــات صغيرة أو كبيرة .

حامول ـ

بليدة او موضع في جبل صور .

قال انيس فريحة : حامُولا وتعني الجامع والحاشد والحابس . وقد ورد هذا الاسم في التوراة تكوين ١٢:٤٦ ، عدد ١:٢٦ חמול يفيد (١) الحمل (٢) الرحمة والشفقة والعفو . وعليه يمكن ان يكون هذا الاسم بمعنى المرحوم والمعفي (كذا) والمعطوف عليه[٤٧] .

حانوت ـ

الحانوت معروف ، وقد غلب على حانوت الخمّار ، قال الاعشى :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني ....

والحانوت ايضاً : الخمار نفسه ، قال القطاميّ :

بكيت اذا ما شجّها الماء صَرَّحَتْ

ذخيرة حانوتٍ عليهـــا تنـاذُرُهْ

والحانوت في العربية المعاصرة كل دكان او مخزن تباع فيه البضائع ، والجمع حوانيت[٤٨] .

---

(٤٧) المصدر السابق ص ١٠٢ .

(٤٨) اللسان (حنت) .

باب الخاء

خابوراء ـ

بوزن عاشوراء موضع . قاله ابن الاعرابي" . وقال ابن دريد : اخبرني بذلك حامد ولا ادري ما هو ولعله لغة في الخابُور[٤٩] .

الخابُور ـ

هو من ارض خبْرة وخَبْراء وهو القاع الذي ينبت السدر ، او من الخبار وهو الارض الرخوة ذات الحجارة . وقيل فاعول من خابَرت الارض اذا حرثتها .

وقال ابن بزرج : لم يُسمع اسم على فاعولاء الا أحرفاً هي الضاروراء الضَرّ ، والساروراء السرّ ، والدالولاء الدَلّ ، وعاشوراء اسم لليوم العاشر من المحرّم .

قال ابن الاعرابي : والخابوراء اسم موضع[٥٠] .

قلت انا : لا ادري أهو اسم لهذا النهر ام غيره .

وهو اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من ارض الجزيرة ، ولاية واسعة وبلدان جَمّة غلب عليها اسمه فنسبت اليه .

خاطور ـ

هو البَيْزر والمِبْزر والمِحضجة والمِحضاج في اللغة الفصيحة .

قال داود الجلبي الموصلي[٥١] : هي خشبة طولها عدا مقبضها نحو شبر في

---

(٤٩) معجم البلدان ٢/٣٨٣ .

(٥٠) المصدر السابق .

(٥١) الاثار الآرامية ص ٣٦ .

فتر لها وجه مستوٍ وآخر محدّب تضرب بها الثياب عند غسلها وهي من (حاطورا) ܚܛܘܪܐ وهي تعني ما يضرب به كالعصا وما يندف به القطن .

خاموش ــ

وابو الخاموش رجل معروف بقّال ، قال رؤبة :

« أقحَمَني جارُ ابي الخامُوشِ »

خانوق ــ

وجمعها خوانيق وهي الدفتيريا وهي من ܚܢܘܩܐ (حانوفا)[٥٢] .

وهي داء الخناق . وفي فصيح العربية الخُناق مثل غراب داء يمتنع معه نفوذ النفس الى الرئة والقلب . والخُناق كرُمّان لغة في الخناق ، والجمع خوانيق .

باب الدال

داجُون ــ

قرية من قرى الرملة بالشام ينسب اليها ابو بكر محمد بن احمد بن عمر بن احمد سليمان الداجوني الرملي[٥٣] .

داروما ــ

احدى مدن قوم لوط بفلسطين ولعلها الداروم المذكورة بعد هذه[٥٤] .

داروم ــ

قال ياقوت : قال ابن الكلبي : قال الشرقي نزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور . ويقال لتلك الناحية الداروم فجعل الله فيهم السواد والادمة واعمر

(٥٢) المصدر السابق .
(٥٣) معجم البلدان ٢/٥١٥ .
(٥٤) المصدر السابق ٢/٢٢٥ .

بلادهم وسماءهم وجرت الشمس والنجوم من فوقهم ورفع عنهم الطاعون .

والداروم :ـ قلعة بعد غزة للقاصد الى مصر ، الواقف فيها يرى البحر الا ّ ان بينها وبين البحر مقدار فرسخ خر ّبها صلاح الدين لما ملك الساحل في سنة ٥٨٤ ينسب اليها الخمر .

ويقال لها الدارون ايضاً ، وينسب اليهـا على هـذا اللفظ ابو بكر الداروني (٥٥) .

داسُوس ـ

جاء في « شرح الحماسة للمرزوقي » في تعليق على بيت لعبد الشارق ابن عبدالعز ّى الجهني ّ :

« ودس ّوا فارساً منهم عشاءً »

والفارس الذي انفذوه جاسوساً لم يكد اتخذ اماناً . وفي الحاشية : في «م» داسوساً فاعُول من الدس . وليس في معجمات العربية «داسوس»(٥٦)

داعوس ـ

من الاعلام في عصرنا .

داعوق ـ

من الاعلام ايضاً .

داقوق ـ مدينة عراقية حديثة .

دامور ـ

قال انيس فريحة : وفي هـذا المكان وقعت معركة بين انطيوخوس وبطليموس سنة ٢١٨ق.م وقد ورد ذكر اسم النهر في سترابون ؟ولكن الاسم

---

(٥٥) المصدر السابق .

(٥٦) شرح الحماسة ص ٤٤٥ .

فينيقي" : وهذا من العجب هكذا يفسره الاب حبيقة والاب رملة[٥٧] . (في مقال اشرت اليه نشراه في المشرق) .

داموق ـ

ويقال : يوم داموق اذا كان ذا عكة وحرّ . قال ابو بكر : قال ابو حاتم : هو فارسي معرّب . لان « الدمقة » النفس فهو « دَمَهكِر » أي يأخذ النفس فقالوا داموق[٥٨] . وقال ادّي شير : تعريب « دمكاه » ومعناه الاتّون وكور الحدّاد[٥٩] .

داموك ـ من الاعلام في عصرنا .

داهوم ـ من الاعلام في عصرنا .

داود ـ من الاعلام ايضاً .

باب الذال

ذابوح ـ

ويقال للشقوق والجروح بين اصابع القــدم « ذابوح » في الالسن الدارجة .

باب الراء

راسوم ـ

جاء في « اللسان » : وقال ابو عمرو : يقال للذي يطبع به رَوسَم ورَوشم وراشوم وراشوم مثل روسم الاكداس وروسم الامير ، قال ذو الرمة :ـ

(٥٧) اسماء المدن والقرى اللبنانية ص ١٢٩ .
(٥٨) المعرّب ص ١٤٩ .
(٥٩) كتاب الالفاظ الفارسية المعربة ص ٦٦ .

ودمنـــة هيّجت شـــوقي معالمهـــا

كأنهـــا بالهِـــدَملاتِ الرواســـيم

والرواسيم : كتب كانت في الجاهلية ، والهدملات رمال معروفة بناحية الدهنـــاء[٦٠] .

راشوم –

لغة الراسوم .

وجاء في « المعرّب » ان الروسم فارسي معرب ومثله رَوشَم[٦١] .

راشوش –

هو ما يتساقط من المطر على الارض بفعـــل قوته وشـــدته او بفعـــل الريح . وهذا في لغة عامة العراقيين .

راشوق –

وهو يشبه المعنى السابق في لغة عامة العراقيين .

راقود –

دنٌ طويل الأسفل كهيئـــة الاردبّه يُسيحُ داخله بالقار ، والجمع رواقيد معرّب .

وقال ابن دريد : لا احسبه عربياً[٦٢] . وهو من آنية الشراب[٦٣] .

راموز –

البحر . ويستعمله جماعة من المعاصرين من اصحاب تحقيق المخطوطات بمعنى جدول للرموز التي تشير الى المخطوطات وغيرها .

---

(٦٠) اللسان (رسم) .

(٦١) المعرب ص ١٦٠ .

(٦٢) اللسان (رقد) .

(٦٣) المعرب ص ١٦٠ .

راموس ـ

القبر .

راموسة ـ

من ضياع حلب على فرسخين تلقاء قنّسرين[٦٤] .

راموط ـ

قال انيس فريحة : ونحن نفضل ان نكتب « راموت » بالتاء ، لانه اسم سرياني : راموتا ومعناه العلو والارتفاع من جذر « روم » ومعناه العلو . وكثيرة هي الاسماء في لبنان وسوريا وفلسطين المشتقة من هذا الجذر . وقد ورد مثل هذا الاسم רמות في التوراة (تثنية ٤:٤٣ ، يشوع ٢٠:٨)[٦٥] .

راووق ـ

الراووق : المصفاة ، وربمّا سموا الباطية راووقاً .

الليث : الراووق ناجود الشراب الذي يُروّق به فيصفّى .... واستعار دُكين الراووق للشباب فقال :

« اسقى براووق الشباب الخاضل »[٦٦] .

باب الزاء

الزابوقة ـ

يقال زبق شعره يزبُق اي نتفه او يكون من الزقب مقلوب .

وهو موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل اول النهار . وهو مدينة المسامعة بنت ربيعة بالبصرة وهم بنو مسمع بن شهاب .

وفي اخبار القرامطة الزابوقة موضع قرب الفلّوجة من سواد الكوفة[٦٧]

---

(٦٤) معجم البلدان ٧٣٨/٢ .
(٦٥) اسماء المدن والقرى اللبنانية ص ١٥١ .
(٦٦) اللسان (روق) .
(٦٧) معجم البلدان ٩٠٥/٢ .

زاروب ـ

قرية في منطقة بعبدا في لبنان • وهي تعني في عامية لبنان الطريق الضيق أو الزقاق[٦٨] •

زاعورة ـ

موضـــع[٦٩] •

زاغـول ـ

من قرى مرو الروذ بها قبر المهلب بن ابي صفرة العتكي أمير خراسان ولاه عليها عبدالملك بعد فراغه من قتل الازارقة[٧٠] •

زاغوني ـ

قال ياقوت : ما اظنها الا من قرى بغداد ينسب اليها احمد بن الحجاج ابن عاصم الزاغوني يروى عن احمد بن حنبل[٧١] •

زافون ـ

ولاية واسعة في بلاد السودان المجاورة للمغرب المتصـــلة بـــلاد الملثّمين[٧٢] •

باب السين

سابوح ـ

السبّاح في لغة العراقيين •

سابور ـ

علم اعجمي وقد نطقت به العرب قديماً ، قال عدى بن زيد :

---

(٦٨) اسماء المدن والقرى اللبنانية ص ١٥٩ .
(٦٩) معجم البلدان ٢/٩٠٧ .
(٧٠) المصدر السابق ٢/٩٠٧ .
(٧١) المصدر السابق .
(٧٢) المصدر السابق ٢/٩٠٨ .

ان كسرى كسرى الملوك ابو سا

سانَ أم اين قبله سابور

وانما هو شاهبور • وعلى هذا اتى به الاعشى في قوله :ــ

اقام به شاهبور الجنو

دَ حَوليَنِ يُضرَبُ فيها القُدُم[٧٣]

وسابور بن هرمز ذو الاكتاف من ملوك العجم وكذلك سابور بن اردشير بن بابك وهو سابور الاكبر •

ساجور ـ

وهو القلادة او الخشبة توضع في عنق الكلب • وسجر الكلب : وضع الساجور في عنقه •

وحكى ابن جني كلب مُسَوجَر[٧٤] •

وهو اسم نهر بمنبج ، قال البحتري بذكره[٧٥] :

ما رأينا الحسين الغى صواباً

مذ شَركنا الحسين في التدبير

بك اعطيت من مُبرِّ اشتياقي

بُرَدي زُلْفه على الساجور

ساجوم ـ

موضع • قال نصر : واد[٧٦] •

---

(٧٣) المعرّب ص ١٩٤ .

(٧٤) لسان العرب (سجر) .

(٧٥) معجم البلدان ٣/٨ ـ ٩ .

(٧٦) المصدر السابق .

وقد ورد في شعر امرىء القيس وهو قوله :

كأن دُمى سَــقفٍ على ظهر مرمرٍ
كسا مُزبد الساجوم وشياً مُنَمنَماً[77]

ساحوق ـ

موضع ، قال الشاعر :

« هـرَ َقْنَ َ بساحوقٍ جفاناً كثيرة »

ويوم ساحوق من ايام العرب[78] .

سارود ـ

وهو الغربال الكبير الواسع الثقوب ، في عامية الموصـــل . وهو من (سراذا)[79] وفي العربية « سرد » أي شق . ولا وجه للسرد بمعنى الدرع والحلق الذي استشهد به داود الجلبي .

ساروغ ـ

هو الجد الثالث والثلاثون للنبي محمد (ص)[80] .

ساروق ـ

موضع بارض الروم ، تعريب « سارو »[81] .

سارونية ـ

قرب طبرية ، يصعد منها الى الطور[82] .

---

(٧٧) ديوان امرىء القيس (دار المعارف) .
(٧٨) معجم البلدان ٩/٣ .
(٧٩) الآثار الارامية ٥٠ .
(٨٠) السيرة لابن هشام ٢/١ .
(٨١) معجم البلدان ٨/٣ .
(٨٢) معجم البلدان ٩/٣ .

ساطور ـ

ما يسطر به الجزار اللحم .

ساعور ـ

خادم البيعة وهو الذي يدق بالناقوس ايضا . والكلمة من الكلمات النصرانيــة السريانية (ساعورا) زائر ، متفقــد ، وكيــل ، عــامل ، نائب .

وجاء في « تاج العروس » الساعور مقدم النصارى في معرفة علم الطب وادواته واصله بالسريانية « ساعورا » ومعناه متفقد المرضى[٨٣] .

ساهور ـ

القمر بل دارته . ذكره امية بن ابي الصلت :

لانقص فيــه غيــر أنّ خبيئَه

قمر وســاهور يُسَلّ ويُغْمَــدُ

وقال ابن دريد : والسَهر القمر بالسريانية[٨٤] .

ساهوق ـ

موضــع[٨٥] .

باب الشــين

شابور ـ

قال ياقوت : قال العمراني موضع بمصر[٨٦] .

---

(٨٣) تاج العروس (سعر) .

(٨٤) المعرب ص ١٩٢ .

(٨٥) معجم البدان ٣/٢٥ .

(٨٦) المصدر السابق ٣/٢٢٦ .

شاحوذ ـ

كلمة عراقية تعني المتسوّل الذي يسأل الناس .

شادوف ـ

اداة للسقي يستعملها المصريون في مزارعهم تشتمل على وعاء أو صفيحة من معدن متصلة بخشبة طويلة تحرك فتهبط وتغرف الماء ثم تقلب في الساقية.

شاروخ ـ

احد الاعلام في نسب النبي محمد (ص)[٨٧] .

شارود ـ

من الاعلام في عصرنا .

شاروغ ـ

احد الاعلام في نسب النبي محمد (ص)[٨٨] .

شاروف وشاروفة ـ

حبل يُجَرّ به القارب .

شاروق ـ

جاء في « المعرّب » : وقال بعض العرب في « الصاروج » أي النورة « الشاروق »[٨٩] .

والشاروق : المبطخة في عامية الموصل ، تكون على شـــاطىء النهر . وهي من (شاروقا)[٩٠] .

والشاروق : الشارب فكأن اصول البطيخ تشرب من ماء النهر الذي يتسرب اليها من الرمل :

---

(٨٧) روضة الالباب للامام الزيدي .
(٨٨) كتاب المعارف .
(٨٩) المعرب ص ٢٠٩ .
(٩٠) الآثار الارامية ص ٥٣ .

شارون ــ

موضع في لبنان[٩١] .

ويعنى السهل والارض المنبسطة : وكان العبرانيون يسمون الساحل الخصب من يافا الى حيفا شارون .

شاطوف ــ

في عامية الموصل .

قال داود الجلبي : صحيحه شاقوف . مطرقة ضخمة تكسر بها الحجارة. مشتق من (شقپ) بمعنى رضّ وكسر[٩٢] .

وهي كذلك في العامية السورية واللبنانية[٩٣] .

شاعور ــ

اسم علم حديث ولا سيما عند القرويين .

شاعورة ــ

اسم موضع عراقي بين بغداد وواسط .

شاغور ــ

موضع في لبنان فيه شلال مشهور قرب مدينة حمّانا[٩٤] .

ومعناه المتدفق ، ويقابله في العربية مادة« ثغر » بمعنى تدفق .

وفي معجم ياقوت :

الشاغور محلة بالباب الصغير في دمشق مشهورة[٩٥] .

---

(٩١) اسماء المدن والقرى اللبنانية

(٩٢) الالفاظ الآرامية

(٩٣) اسماء المدن والقرى اللبنانية

(٩٤) المصدر السابق .

(٩٥) المصدر السابق .

شاغول ــ

اسم فاعل في الدارجة العراقية من « شغل » • والشاغول هو العامل الجادّ •

شاقول ــ

خشبة قدر ذراعين في رأسها زُجّ تكون مع الزرّاع بالبصرة ، يجعل احدهم فيها رأس الحبل ثم يرزّها في الارض ويتضبطها حتى يمدّوا الحبل•

وعن ابن الاعرابي : الشقل الوزن ، يقال : اشقُل لي هذا الدينار اي زِنْــــه(٩٦) •

وجاء في « التاج » : ششقل الدينار ششقلةً عيَّره • قال الليث : هي كلمة حميرية لهجت بها صيارفة العراق في تعيير الدنانير يقولون ششقلناهـــا أي عيّرناها أي وزناها ديناراً ديناراً وليست بعربية محضة(٩٧) •

اقول : وهي اسم آلة على بناء فاعول ولعلها من ܫܩܠ (شقل) في اللغة السريانية وفيالعربية المعاصرة شاقول البناء وهي الحديد التي يربط فيها خيط فتدلّى فيختبر فيها البنّاء استواء البناء على نحو شاقوليّ عموديّ•

والبناءون يسمونه في عربيتهم الدارجة البغدادية وغيرها « شاهول » •

شالوس ــ

قال ياقوت : هي مدينة بجبال طبرستان وهي احد ثغورهم بينها وبين الري ثمانية فراسخ(٩٨) •

شالوط ــ

قرية قرب طرابلس الشام •

---

(٩٦) اللسان (شقل) •

(٩٧) التاج (شقل) •

(٩٨) معجم البلدان ٣/٢٣٧ •

ولعلها من مادة ܫܠܛܐ (شـلط) أي تسـلـّط وحكم وشليطا هوالحاكم .

شـاهود ـ

اسم فاعل في العامية العراقية من « شهد » ومعناها الشاهد .

والشاهود يعني ايضاً الخرزة الاولى في المسبحة وهي تختلف عن سائر الخرز في انها مستطيلة ويسلك فيها الخيط مرتين لتتم دائرة المسبحة .

شاهول ـ

اشرت اليه في « شاقول » من انه في لغة العراقيين وهي اداة البناء في اختبار الاستواء العمودي في الجدار .

باب الصاد

الصابون ـ

معروف وهو اعجمي مُعرَّب .

الصاروج ـ

النورة واخلاطها التي تصرَّج بها الاحواض والحمـامات ، فارسيّ معرب[٩٩] .

في « اللسان » عن ابن سيده وهو بالفارسية « جاروف » وربمّا قيل « شاروق »[١٠٠] .

الصاروخ ـ

سلاح جديد يطلق فيحرق ويخرّب . وقد يستعمل في الاغراض السلمية لدفع المركبات الفضائية وغيرها .

---

(٩٩) المعرّب ص ٢١٣ .

(١٠٠) اللسان (حرج) .

صارور ـ

قالوا : رجل صَرور وصَرورة أي لم يحج قط واصله من الصرّ أي الحبس والمنع . وقد قالوا في هذا المعنى : صَروريّ وصاروريّ . وقال ابن الاعرابي : كل ذلك من اوله الى آخره مثنى مجموع ، كانت فيه ياء النسب أو لم تكن .

وقيل : رجل صاروره وصارور لم يحج ، وقيل : لم يتزوج الواحد والجمع في ذلك سواء وكذلك المؤنث .

والصرورة في شعر النابغة الذي لم يأت النساء كأنه اصرً على تركهن . وفي الحديث :

لاصرورة في الاسلام .

قال اللحياني : رجل صَرورة وامرأة صَرورة لا يقال الا بالهاء .

وقال ابن جني : رجل صرورة وامرأة صَرورة ليست الهاء لتأنيث الموصوف بما هي فيه وانما لحقت لاعلام السامع ان هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية ، فجعل تأنيث الصفة امارة لما اريد من تأنيث الغاية والمبالغة .

وقال الفراء عن بعض العرب : قال رأيت أقواماً صراراً بالفتح واحدهم صَرارة . وقال بعضهم : قوم صوارير جمع صارورة . قال : ومن قال صروريّ وصاروريّ ثنّى وجمع وانّث[١٠١] .

صارورة ـ

مثل سابقه .

---

(١٠١) المصدر السابق (صرر) .

صارونيّة ـ

اسم قرية في « الشوف » من لبنان .

صاعود ـ

اسم فاعل من « صَعَدَ » في العامية الدارجة ويعني صاعد النخل .

صافورة ـ

لما يُصفر فيه من الادوات الصغيرة مما يستعمله الاطفـــال في لعبهم أو غيرهم .

الصالومة ـ

من قرى لبنان في المتن . لعلها تحريف צלם أي الصنم [١٠٢]

الصاموت ـ

من قرى لبنان الجنوبي .

يرجح انيس فريحه : انها من الاصل العبري צמת (صمت) ومعناه القضاء على الشيء وابادته ، فالصـــاموت أي المهـــدّم والمخرّب والبائد ، واما من اصل آخر هو صما أي الظمأ فيكون معنى الاسم الجفاف والعطش [١٠٣] .

صاموط لاموط ـ

من الفاظ الاتباع العامية في بغداد وغيرها من الحواضر العراقية يكنى بها ويشار الى الصمت المطبق الذي يفرضه احد من الناس على غيره .

---

(١٠٢) اسما المدن والقرى اللبنانية ص ١٩٨ .

(١٠٣) المصدر السابق .

باب الضاد

الضارووراء —

وهي القحط والشدة وهي كالضُرّ والضراء[١٠٤] .

ضارورة —

قالوا : وليس عليك ضَرر ولا ضرورة ولا ضَرّة ولا ضارورة.ورجل ذو ضارورة وضرورة أي ذو حاجة .

باب الطاء

طابور —

كلمة تركية تعني الفوج من الجنود ، استعملها العرب في المعنى نفسه في مطلع هذا القرن وتصرفوا فيها فجعلوها للصف من الناس واقفين في خط مستقيم انتظاراً لمهمة من المهمات .

طابوق —

لغة حديثة في الطابَق ، والطابق بمعنى الآجر وهو فارسي معرّب[١٠٥].

الطابون —

مدفن النار اي حُفرة فيها النار يختَبزُ فيها الخبز وما زالت معروفة في بعض الاقاليم كالشمالي الافريقي .

الطابونة —

مثل التنور يختبز فيها .

طاحول —

كلمة زجر ودعاء بالشر فالطاحول ما يشبه المرض يصيب الطحال .

---

(١٠٤) اللسان (ضرر) .

(١٠٥) اللسان (طبق) .

طاحون ـ

الماكنة الحديثة التي يطحن فيها الحب والقهوة ونحوها .

طاحونة ـ

مثل سابقها وقد تسمى بها الاجهزة التي يحركها الهواء فتسقي المزارع .

طاعون ـ

مرض معروف وجمعه طواعين .

طاغوت ـ

يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وهو في قوله تعالى :« يؤمنون بالجبت والطاغوت »[١٠٦] .

قال ابو اسحق : كل معبود من دون الله عز وجلّ جبت وطاغوت .

وقال : الطاغوت الشيطان وقالوا اقوالاً أخرى في ذلك[١٠٧] .

طالوت ـ

اسم اعجمي كجالوت وداود . وزعموا انه من الطوال[١٠٨] . وهو في قوله تعالى : « فلما فصل طالوت بالجنود »[١٠٩] .

طامور ـ

في اللسان : الطامور والطومار الصحيفة .

قال الجواليقي : وهو معرب زعموا[١١٠] .

طاووس ـ

بالواو وفي كتب اللغة مهموز وهو اعجمي وقد تكلمت به العرب قديماً وسمّت به[١١١] .

---

(١٠٦) النساء ٥١ .
(١٠٧) اللسان (طغي) .
(١٠٨) الكشاف للزمخشري ٢٩٢/١ .
(١٠٩) البقرة ٢٤٩ .
(١١٠) المعرّب ص ٢٢٥ .
(١١١) المصدر السابق .

باب العين

عابور —

بمعنى عابر وهي لغة عامية واكثر منها ما كان بالتاء « عابورة » وتستعمل في حال شيء يراد له ان يمرّ او يوافق عليه على علاّته .

عابود — بليد من ناحية بيت المقدس[112] .

عاثور —

ما عثر به . ويقال : لقيت منه عاثوراً أي شدة . ووقعوا في عاثور شرٍّ أي في اختلاط من شرٍّ وشدّة . والعاثور : ما اعدّه ليوقع فيه آخر .

والعاثور من الارضين : المهلكة ، قال ذو الرمة :

ومرهوبة العـــاثور ترمي بركبهـــا
الى مثله حرف بعيـــد" منـــاهلُه

وقال العجاج :

وبلدة كثيرة العاثور .

يعني المتالف .

والعاثور : حفرة تحفر للأسد ليقع فيها للصيد او غيره . والعاثور : البئر ، وربما وصف به ، قال بعض الحجازيين :

الا ليت شعري ، هــل ابيتن ليلةً
وِذكركِ لا يسري اليَّ كما يَسري
وهل يدع الواشون افســـاد بيننـــا
وحَفْر الثأى العاثور من حيث لا ندري

وجمع العاثور العواثير[113] .

---

(112) معجم البلدان ٣/٥٨٣ .
(113) لسان العرب (عثر) .

عاثورة ـ

عامية عراقية بمعنى العثرة وما يُعثَر به من حجر او صخرة او نحو ذلك .

عاذور ـ

وجمعه عواذير وهو ان يكون بنو الاب مِيسَمُهم واحداً ، فاذا اقتسموا مالهم قال بعضهم لبعض : اعذِرْ عني ، فيخطّ في الميسم خطاً أو غيره لتعرف بذلك سمة بعضهم من بعض .

والعاذور : ما يقطع من مخفض الجارية .

وعن الاصمعي : لقيت منه عاذوراً أي شراً وهو لغة في العاثور(١١٤) .

عازور ـ

اسم علم لقرية في جبل جزين من لبنان(١١٥) . من جذر עזר (عـزر) ومعناه المعونة والمساعدة والاسعاف . وهذا الاصل كثير الورود في الاعلام العبرانية .

عاشور ـ

من اعلام المسلمين في عصورنا الحديثة في كثير من الاقاليم العربية الاسلامية . وعاشور شهر المحرم لدى العراقيين . وهذا من باب تسمية الكل بالجزء ذلك ان في شهر المحرم يوم عاشورا وهو العاشر من المحرّم وفيه استشهد الحسين في أرض كربلاء .

عاشوراء وعَشوراء ـ

اليوم العاشر من المحرم ، وقيل التاسع . قال الازهري : ولم يسمع في امثلة الاسماء اسماً على فاعولاء الا احرف قليلة .

---

(١١٤) لسان العرب (عذر) .

(١١٥) اسماء المدن والقرى اللبنانية ص ٢١٢ .

قال ابن بزرج : الضاروراء الضراء ، والساروراء السرّاء ، والدالولاء الدلال[116] . وقد الحق به ابن الاعرابي الخابوراء موضع وقــد الحق به تاسوعاء .

وروي عن ابن عباس انه قال في صوم عاشوراء : لئن سلمت الى قابل لأصومنّ اليوم التاسع .

قال الازهري : ولهذا الحديث عدّة من التأويلات احدها انه كره موافقه اليهود لانهم يصومون العاشر . وروي عن ابن عباس انه قال : صوموا التاسع والعاشر ولا تشبّهوا باليهود ....[117] .

عاصون ــ

يقول انيس فريحة : ارجح انها تحريف « عاصوم »[118] . وعلى هــذا فان معناها العظيم .

وهي قرية قرب طرابلس الشام .

عاضور ــ

قرية في جبل جزين من لبنان[119] .

عاقورة ــ

اسم جبيل في لبنــان . من اصل سامي مشترك عقر ويفيــد العقم والجرد[120] .

---

(116) لم اجد الساروراء في (سرر) من لسان العرب ، وكذلك لم ير الدالولاء في (دلل) .

(117) لسان العرب (عشر) .

(118) اسماء المدن والقرى اللبنانية ص ٢١٣ .

(119) المصدر السابق .

(120) المصدر السابق .

العاقول ـ

هو من « دير العاقول » موضع بين مدائن كسرى والنعمانية بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً على شاطي دجلة،وكان عنده بلد عامر واسواق ايام كان النهروان عامراً،ثم آلت الى مدينة بعيدة في البرية لما اضمحل النهروان[121]

عاموراء ـ

قرية من قرى قوم لوط[122] .

عاموص ـ

بليد قرب بيت لحم من نواحي بيت المقدس[123] .

عانوت ـ

قرية في شمالي لبنان[124] .

باب الغين

غابون ـ

قرية في جبل لبنان قرب « عالية »[125] .

غاسول ـ

جبل بالشام[126] ، قال الفرزدق :

تظلّ الى الغاسـول ترعى حزينـة

ثنـايا بِراقٍ ناقتـي بالحمـالقِ

---

(١٢١) معجم البلدان ٦٧٦/٢ .
(١٢٢) المصدر السابق ٥٩٤/٣ .
(١٢٣) المصدر السابق .
(١٢٤) اسماء المدن والقرى اللبنانية ص ٢١٤ .
(١٢٥) اسماء المدن والقرى اللبنانية ص ٢٤٤ .
(١٢٦) لسان العرب (غسل) .

فاثور[١٢٧] ـ

في معجم البلدان : الفاثور عند العامة هو الطشت خان واهل الشام يتخذون خواناً من رخام يسمونه الفاثور والناجود • والباطية يقال لها الفاثور أيضاً • والفاثور أسم موضع أو وادٍ بنجد ، قال لبيد :

ولدى النعمان منّي موقف بين فاثورٍ أفاقٍ فالدَّحَل

وقال ابن مقبل :

حيّ محاضرهم شتّى ومجمعُهم
دومُ الايادِ وفاثورٌ اذا اجتمعوا

وجاء في « اللسان »[١٢٨] : الفاثور عند العامة الطشت او الخوان من رخام أو فضة او ذهب •

قال الاغلب العجلي :

« اذا أنجلى فاثور عين الشمسِ » •

وقال أبو حاتم في الخوان الذي يتخذ من الفضة :ـ

وغراً كفاثور اللّجيَن يزينه توقّدُ ياقوت وشذراً مُنَظّما

فاخور ـ

نبت طيب الريح ، وقيل : ضرب من الرياحين • والفاخوري هو صانع الفخّار أي الخزف في لغة اهل الشام •

الفاروث ـ

قرية كبيرة ذات سوق على شاطيء دجلة بين واسط والمذار[١٢٩] •

---

(١٢٧) معجم البلدان ٨٣٣/٣ .
(١٢٨) لسان العرب (فثر) .
(١٢٩) معجم البلدان ٨٤٠/٣ .

فاروق ـ

من قرى اصطخر فارس ينسب اليها جماعة من اهل العلم[١٣٠] .

والفاروق : ما فرّق بين شيئين . ورجل فاروق يفرّق ما بين الحق والباطل . والفاروق : عمر بن الخطاب .

فاشون ـ

موضع ببخارى عن العمراني[١٣١] .

فاقوس ـ

اسم مدينة في حوف مصر الشرقي ـ وهي آخر ديار مصر من جهة الشام[١٣٢] .

فاعور ـ

اسم علم حديث .

فالوذ ـ

الفولاذ والفالوذ مصاص الحديد المنقّى من خبثه . ويطلقان على نوع من الحلواء[١٣٣] .

فالوغا ـ

مدينة في لبنان من جهة بعبدا[١٣٤] .

فانوس ـ

المصباح الزيتي .

باب القاف

قابوس ـ

اسم أعجمي وهو بالفارسية « طاووس » فاعرب فقيل « قابوس »فوافق العربية . وكان النعمان بن المنذر يكنى ابا قابوس ، قال النابغة :

---

(١٣٠) المصدر السابق .
(١٣١) معجم البلدان ٨٤٤/٣ .
(١٣٢) المصدر السابق ٨٤٥/٣ .
(١٣٣) المعرب ص ٢٤٧ .
(١٣٤) اسماء المدن والقرى اللبنانية ص ٢٥٠ .

نبِّئت أنّ أبـــا قابوس أوعـــدني
ولاقرار على زَأْرٍ من الأسدِ[١٣٥]

وفي اللسان : القابوس الجميل الوجه الحسن اللون[١٣٦] .

قاذورة ـ

جاء في الحديث « أتقوا هذه القاذورة » . والمراد الفعل القبيح واللفظ السيّ[١٣٧] .

والقاذورة وتجمع القاذورات : الاقذار والاوساخ في لغتنا المعاصرة .

قارورة ـ

وعاء معروف من الزجاج وجمعه القوارير .

والقارور : ما قرّ فيه الشراب وغيره ، وقيل لا يكون الا في الزجاج . والقارورة حدقة العين على التشبيه كما شبهت النساء بالقوارير[١٣٨] .

قارون ـ

اسم رجل ، وهو اعجمي يضرب به المثل في الغنى . وقارون اسم رجل من قوم موسى وكان كافراً فخسف الله به وبداره الارض[١٣٩] .

قاصوص ـ

دودة تفسد الزرع وهي « قاصوصا » في السريانية .

قاطول ـ

نهر في موضع سامرا قبل ان تعمر ، كان الرشيد اول من حفر هـــذا

---

(١٣٥) المعرب ص ٢٥٩ .
(١٣٦) اللسان (قبس) .
(١٣٧) اللسان (قذر) .
(١٣٨) اللسان (قرر) .
(١٣٩) اللسان (قرن) .

النهر وبنى على فوهته قصراً سماه ابا الجند لكثرة ما كان يسقي من الارضين وجعله لارزاق جنده .....[١٤٠] .

قاعون ــ

اسم جبل بالاندلس قرب دانية[١٤١] .

قاقون ــ

حصن بفلسطين قرب الرملة . وقيل : هو من عمل قيسارية من ساحل الشام[١٤٢] .

قالوص ــ

موضع بمصر[١٤٣] .

قالون[١٤٤] ــ

قالوا انها تعنى الرجل الصالح وهي في قول ابن عمر :

قد كنت احسبني قالون فانطلقت
فاليوم أعلم أني غير قالون

وقالون من اعلامهم وألقابهم .

قاموس ــ

القاموس والقومس : قعر البحر ، وقيل : وسطه ومعظمه . وبه شبّه المعجم فغلبت عليه الكلمة .

قاموع ــ

وهو في العامية اللبنانية البرج العالي أو النصب العالي المشرف .

القانون ــ

معروف وهو اعجمي معرب . والقانون : منزل بين دمشق وبعلبك[١٤٥] .

---

(١٤٠) معجم البلدان ١٦/٤.
(١٤١) المصدر السابق ١٧/٤ .
(١٤٢) المصدر السابق ١٨/٤ .
(١٤٣) معجم البلدان ١٩/٤ .
(١٤٤) لسان العرب (قلن) .
(١٤٥) معجم البلدان ٢١/٤ .

باب الكاف

الكابوس ـ

ما يقع على النائم بالليل • وكابوس اسم يكنون به عن النكاح • ولعله من « كابوشا » في السريانية •

حشرة زاحفة تصيب الاشجار فتأكل ورقها •

كارون ـ

نهر في ايران معروف •

كافور ـ

كافور الكرم : الورق المغطى لما في جوفه من العنقود • والكافور الطلع •

قال ابن دريد : لا احب الكافور عربياً لانهم ربما قالوا القَفور والقافور •

والكافور : نبت طيب الريح يشبّه بالكافور من النخل • وفي التنزيل : ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا • قيل : هي عين في الجنة(١٤٦) •

كالوفة ـ

رحى من خشب تدار باليد يقشر بها الشلب والسمسم : وهي من « كالوفا » في السريانية •

كانون ـ

الثقيل الوَخِم • ابن الاعرابي : الثقيل من الناس(١٤٧) •

---

(١٤٦) لسان العرب (كفر) .

(١٤٧) المصدر السابق (كنن) .

والكانون والكانونة : الموقد . والكانونان : شهران في قلب الشتاء هما كانون الاول وكانون الثاني .

كاهون ـ

بلدة بكرمان بينها وبين السيرجان مرحلتان(١٤٨) .

باب اللام

لابوثة ـ مسحاة يسحى بها الطين عن المحراث . وآلة يقلع بها من « آبوتا » منفضة الفدان ، وهي مسحاة في اسفل منسأة الفدان وهذه من عامية الموصل(١٤٩) .

لاعوب ـ

وتعني اللاعب في اية لعبة او رياضة جسمية وهي من عامية بغداد .

لاقوط ـ

وتعني من يلقط الحب من عمال الزرع او يلقط الرطب ويتخيره في أول نضجه .

وهي من العامية العراقية بوجه عام .

لاهوت ـ

مصدر سامي قديم وله نظائر في سائر اللغات السامية . غير انه ليس اصيلا في العربية وان جاء منه ملكوت وجبروت ورهبوت ورحموت وغيرها .

لاهوب ـ

ويراد به الريح الحارة في ايام القيظ الشديدة الحرّ فكأنها لاهبة .

لاهون ـ

بلد بصعيد مصر به مسجد يوسف الصديق ، والسِكْر الذي بناه لردّ الماء الى الفيّوم(١٥٠) .

---

(١٤٨) معجم البلدان ٤/٢٣١ .
(١٤٩) الآثار الارامية ص ٧١ .
(١٥٠) معجم البلدان ٤/٣٤٤ .

باب الميم

ماثـور ـ

قضيب من حديد تحرّك به النار في التنور من « ماثور » في السريانية. وهي من عامية الموصل(١٥١) .

ماحـوز ـ

جاء في المعرّب : « واهل الشام يسمّون المكان الذي بينهم وبين العدوّ الذي فيه اساميهم ومكاتبهم « ماحوزا »(١٥٢) .

قال الازهري : واحسبه بلغة غير العربية(١٥٣) .

ماروت ـ

اسم ملك اشارت اليه الاية الكريمة « ومـــا انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ... »(١٥٤) .

ماروس ـ

قرية في جبل جزين بلبنان .

مارون ـ

اسم علم مذكر .

ماشوحـة ـ

من عامية الموصل ، وهي خرقة يبلّها العامل بالماء فيمسح بها المرمر بعد تركيبه وهي من السريانية « ماشوحا »(١٥٥) .

ماصول ، ماصولة ـ

آلة صغيرة يصفر بها فتخرج اصـــوات ومنها الحان موسيقية . وهي عامية عراقية .

---

(١٥١) الآثار الارامية ص ٨١ .
(١٥٢) المعرب ص ٣٢٣ .
(١٥٣) اللسان (محز) .
(١٥٤) سورة البقرة ١٠٢ .
(١٥٥) الآثار الارامية .

ماعون ـ

فاعول من العون اي المعونة •

ماغوط ـ

اسم علم مذكر •

ماموسة ـ

من اسماء النار ، قال ابن احمر :

تطايَح الطلُّ من أردانها صُعداً كما تطايَحَ عن ماموسه الشَرَرُ •

قيل : هي النار بالرومية • ورواه بعضهم: « عن مانوسه الشررُ » •

وقال ابن الاعرابي : المانوسه النار[١٥٦] •

مانوسة ـ

انظر « ماموسة » •

باب النون

نابور ـ

الغصن اول طلوعه • كلمة يستعملها الفلاحون واهل الزرع ، وهي من « نابورا » في السريانية وتعني المخلب او المنقار او الظفر • ومادة «نبر» تفيد البروز والارتفاع •

ناجود ـ

الباطية ، وقيل : هي كل اناء يجعل فيه الخمر من باطية او جفنة او غيرها ، وقيل : هي الكأس بعينها • ويقال للخمر ناجود • وقال الاصمعي : الناجود اول ما يخرج من الخمر اذا بزل عنها الدنّ ، واحتج بقول الاخطل :

---

(١٥٦) لسان العرب (ممس) •

كأنما المسك نُهبَى بين أرحلنا
بما تضرّع من ناجودها الجاري

فاحتج عليه بقول علقمة :

ظلّت ترفرف في الناجود يُصعقُها
وليدُ أعجمَ بالكتّان ملثوم

الاصمعي : الناجود : الدم . والناجود : الزعفران[157] .

ناسوت —

مصدر ويعني « الناس » يقابل « **لاهوت** » أي الالوهية .

ناسور —

العرق الذي يقطع بالجراحة لفساده .

ناصور —

لغة في « الناسور » . وهو من السريانية « ناصورا » .

ناطور —

حافظ النخل والشجر . وقد تكلمت به العرب . قال ابو حاتم : قال الاصمعي هو « الناظور » والنبط تجعل الظاء طاء .

وفي العامية العراقية المعاصرة تعني الحارس مطلقاً .

ناظور —

آلة ينظر فيها لتقريب الشخوص البعيدة .

ناعور —

آلة بدائية تستعمل للسقي في الحقول وهي دولاب فيه اوعية عدة فاذا ادارته الريح امتلأت الاوعية بالماء وتصبه في ساقية فتذهب الى انحاء الحقل .

ناعورة —

مثل الكلمة السابقة .

نافورة —

ما يقام من البناء والنصب الذي يتفجر منه الماء لغرض الزينة .

---

(157) لسان العرب (**نجد**) .

ناقوس ـ

مضراب النصارى الذي يضربونه لاوقات الصلاة ، قال جرير :

لما تذكرت بالديرين أرقني
صوت الدجاج وضرب بالنواقيس[(١٥٨)]

الناقور ـ

الصور ينفخ فيه للنداء والتنبيه يوم الحشر . وهو القلب عن ابن الأعرابي[(١٥٩)] .

ناقوط ـ

ما يتقطر من الماء المحفوظ في الفخّار .

الناموس :

ما يَمَسّ به الرجل من الاحتيال . والناموس : المكر والخداع .

والناموس : دويبة أغبر كهيئة الزرّ تلكع الناس،والناموس :فترةالصائد التي يكمن فيها للصيد ، قال أوس بن حجر :ـ

فلا في عليها من صُباح مُدمّراً
لناموسه من الصفيح سقائف

والناموس : بيت الراهنة . ويقال للشرك ناموس لأنه يوارى تحت الارض .

والناموس : وعاء العلم . والناموس : جبريل ـ عليه السلام ـ .

وفي حديث المبعث : ان خديجة ـ رضي الله عنها ـ وصفت امر النبي(ص) لورقه بن نوفل وهو ابن عمها ، وكان نصرانياً قد قرأ الكتب ، فقال : ان كان ما تقولين حقاً فانه ليأتيه الناموس الاكبر .

---

(١٥٨) لسان العرب (نفس) .
(١٥٩) المصدر السابق (نقر) .

ابو عبيد : الناموس صاحب سرّ الملك والرجـــل الذي يطلعه على سرّه[160] .

مقابر النصارى . وهو موضع قرب همذان ، ذكره ابن الفقيه[161] .

ناووسة ـ

من قرى هيت لها ذكر في الفتوح[162] .

باب الهاء

هاروت ـ

اسم ملك . انظر « ماروت » . وهو ايضاً قرية بأسفل واسط[163] .

هارون ـ

علم : اعجمي معرّب . في العبرانية « أهـَرون » .

الهارونية ـ

مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية استحدثها هارون الرشيد[164] .

هاضوم ـ

دواء يسهل الهضم ـ انظر حاطوم .

هامور ـ

ضرب من السمك معروف في بلدان الخليج العربي .

هاوون ـ

أعجمي معرّب على فاعول وليس « هاوَن »[165] .

باب الياء

ياجُور ـ

لغة في « آجور » .

---

(١٦٠) المصدر السابق (نمس) .
(١٦١) معجم البلدان ٤/٧٣٣ .
(١٦٢) المصدر السابق ٤/٧٣٤ .
(١٦٣) معجم البلدان ٤/٩٤٥ .
(١٦٤) المصدر السابق .
(١٦٥) المعرب ص ٣٤٦ .

ياشوف -

قرية بنابلس من فلسطين مشهورة بكثرة الرمان[166] .

مستدرك

الجارور - نهر يحفره السيل فيجرّه . (اللسان جرر) .

الحاروق - من النساء الضيقة الفرج . (اللسان حرق) .

عاقور - سرج عاقور أي يعقر ظهر الدابه (اللسان عقر) .

فاتور - ماء فاتور اي فاتر دافيء .

ناصور - وبنو الناصور من الامم البائدة والقرون الخالية ، وقد يقال في بني الناصور ان أصلهم من الروم (البيان والتبيين ١/١٨٧) .

الراهون - جبل بالهند هبط عليه آدم - عليه السلام - .

الحاقورة - اسم للسماء الرابعة .

الصاقورة - اسم للسماء الثالثة .

الفاعوس - لعبة للأعراب .

الحاقول - سمك اخضر طويل .

الحالوم - ضرب من الاقط أو لبن يغلظ شبيهاً بالجبن الطريّ .

الفالوذ - الرعديد .

الطاروني - ضرب من الخزّ .

---

(١٦٦) معجم البلدان ٤/١٠٠٢ .

قاشور وقاشورة ـ السنة المجدبة التي تقشر كل شيء • والقاشـــور والقُشَرة المشؤوم •

والقاشور الذي في الحلبة آخر الليل •

العاطوس ـ ما يعطس منه ودابة يتشاءم بها •

الصاهور ـ غلاف القمر ، أعجمي معرب •

الصاقور ـ اللسان •

الساعور ـ كهيئة التنور يحفر في الارض يختبز فيه •

الساعورة ـ النار وقيل لهبها •

حازوق ـ هو حازوق الخارجي ، ورد ذكره في شرح الحماسة للتبريزي ٢٥٥/١

الفصل الخامس

نموذج من عربية محلية

لقد اخترت حاضرة البصرة لاعرض فيها اشتاتاً من فوائد لغوية تظهر صفحات من تاريخ العربية في هذه البيئة التي كانت مهداً للدراسات الاولى الجادة في العربية نحواً وصرفاً ولغة .

وقد بدا لي ان أتخير هذه البيئة وأؤثرها على غيرها من حواضر العراق وذلك لان هذا المجتمع البصري مجتمع غريب نادر مفيد للدارس التاريخي . لقد حفلت هذه المدينة ببنية اجتماعية تقرب مما ندعوه في عصرنا بالبيئةالعالمية cosmopolite ومن غير شك ان هذه البيئة قد غيرت من واقع اللغة فجعلت منها لغة « بصرية » .

وهذه اللغة البصرية تغرس اصولها في العربية كما تمد فروعها الى لغات شتى من اهمها الفارسية بما يؤلف النازلون من الفرس في هذه المدينة من ثقل وحجم واتساع .

وسنرى ان ذلك قد بدا واضحاً في العربية السائرة الدارجة في هذه الحاضرة . وقد أسميت هذه الفوائد بـ « أشتات بصرية » .

أشتات بصرية

هذه فوائد تتصل باللغة البصرية اعرض فيها جملة مواد عرفت في العربية « البصرية » قد يستقبل القارىء هذه الصفة بشيء من الاستغراب ،

وانني لواثق انه سيعرف من حقيقة الامر ما قد يحمله على ان يسير معي في اثبات هذه الصفة الاقليمية .

ان الفصيح من العربية الذي يلتزم فيه بضوابط من الاعراب وابنية مخصوصة صرفية لم يكن مما يعرفه الناس بداهة في اواخر القرن الثاني للهجرة . ومن غير شك ان الجمهور من الناطقين بالعربية كانوا يعربون بلغة سائرة دارجة زاخرة باللحن وبالالفاظ الدخيلة غير العربية . وكانوا يعمدون الى تعلم العربية تعلماً يقوم به معلمون من علماء اللغة والنحو وحسبك ان تعرف ان المتأدبين من اللغويين والنحاة والادباء والشعراء وغيرهم من أهل العلوم الاخرى كانوا قد ثقفوا « العربية » واخذوها عن شيوخ هم الاساتذة في تلك الاحقاب المتقدمة .

لقد اخذ الجاحظ مثلا عن الاصمعي وابي عبيدة وابي زيد الانصاري وغيرهم وكان يلازم المربد فيحضر مجالس اللغويين وغيرهم حين يأتي البدو فيسألونهم عن اللغة والشعر والاخبار والانساب . وكان يحضر مجالس « المسجديين » والمسجديون جماعة تجتمع في المسجد الجامع يتحدثون احاديث شتى في الادب والتاريخ والاخبار والانساب والقرآن والحديث والفقه وعلم الكلام .

وهكذا كان المجتمع البصري في منتصف القرن الثاني للهجرة . ولا يظن ظان ان هذا المجتمع قد انقطع للعرب وللعلوم العربية فقد كان يشتمل على اخلاط واوشاب من عناصر شتى من غير العرب ولا سيما ممن كانوا من أصول فارسية .

وسأعنى بهذا المجتمع لأتبين شيئا من خصائصه اللغوية . لقد شغلت البصرة مكاناً في الدراسات اللغوية كما شغلت صنوها الكوفة الشيء نفسه في تاريخ هذه العربية .

ولا أريد ان أعرض لما يسمى بـ « المدارس النحوية » أتساعاً ومبالغة ، ذلك ان ملاك الامر فيها آراء نحوية ولغوية لا يزيد الخلاف بينها على اشكال

لا تمس الجوهر الا مساً رفيقاً ولا تخلو في كثير منها من الافتعال والتزيد .

ولكني اعرض لمسائل قد تكون وقفات مفيدة في تاريخ العربية الذي نجهل من مادته الشيء الكثير .

وهل عليّ من حرج ان اعرض لمادة « البصرة » فماذا قيل فيها ؟

قالوا : البَصرْ والبِصْر (بفتح الباء وكسرها وسكون الصاد) والبَصرة : الحجر الابيض الرِخو ، وقيل : هو الكذّان فلما جاؤوا بالهاء قالوا بَصرة (بالفتح) لا غير وجمعها بصار كما في « اللسان » .

وفي « التهذيب » : البَصْر الحجارة الى البياض فاذا جاؤوا بالهاء قالوا البَصرة .

وفي « الصحاح » البصرة حجارة رخوة الى البياض ما هي وبها سميت البصرة ، وقال ذو الرمة :

تداعَين باسم الشيب في مُتَثَلَّم
جوانبه من بصرةٍ وسِلام

قال : فاذا اسقطت منه الهاء قلت بِصرٌ بالكسر .

وقال ابو عمرو : البَصرة والكذّان ، كلاهما : الحجارة التي ليست بصلبة .

وقالوا : وأرض فلان بُصُرة (بضم الباء والصاد) اذا كانت حمراء طيبة . وأرض بَصِرة اذا كانت فيها حجارة تقطع حوافر الدواب .

وفي « المحكم » لابن سيدة ان البُصْر (بضم فسكون) الارض الطيبة الحمراء .

ثم قالوا :

والبَصْرة (بفتح فسكون) والبَصَرة (بفتحتين) والبَصِرة (بفتح فكسر) : أرض حجارتها جصّ .

قال : وبها سُمّيت البَصرة . والبَصْرة (بالفتح) أعمّ .
والبَصِرة (بفتح فكسر) كأنها صفة .

والنسب الى البَصرة بِصريّ (بكسر الباء) وبَصريّ (بالفتح) والاولى شاذّة ، قال عُذافر :

بَصريّةٌ تزَوّجَت بَصْريا يُطعمها المالح والطريّا

وفي البَصرة ثلاث لغات : بَصْرة وبِصرة وبُصرة (بفتح الباء وكسرها وضمّها) واللغة العالية هي بفتح الباء .

أقول : وكأن « البِصريّ » بكسر الباء هي النسبة الشاذة كما قالوا الى الوجه القليل وهو « البِصرة » بكسر الباء وعلى هذا يكون ما يتفيهق به اصحابنا في هذا العصر بالتزامهم بالكسر في النسبة اي « البصريّ » وجهاً مرجوحاً وليس من « اللغة العالية » كما قال اهل اللغة واين التفيهق والتحذلق من العلم ؟

وقال الفرّاء : البِصْر (بالكسر) والبَصرة (بالفتح) الحجارة البراقة .

وقال ابن شميل : البصرة أرض كأنها جبل من جصّ وهي التي بنيت بالمِربد ، وانما سُمّيت البصرة بَصرة بها .

أقول : لقد خرجت من هذه المسيرة الطويلة بشيء لم أطمئن اليه ولم استقرّ من أمره على حال ذلك ان مادة (ب ص ر) تعني حجارة هي رخوة بيضاء كالجص حيناً وبرّاقة حيناً آخر ثم هي حمراء طيبة .

ولا أريد ان أنكر هذا الوصف بالرخاوة والبياض للحجارة التي بنيت في أرضها المدينة عند المربد كما لا انكر الوصف بالحمرة ولكني أتردد قليلاً في ان تكون حاضرة البصرة قد سميت بدلالة هذه الكلمة في العربية.

وقد قالوا مثل هذا في « البصرة » الاخرى التي بالمغرب قرب السوس التي ذكرها ابن حوقل ثم ياقوت[1] وغيرهما .

---

(1) معجم البلدان ٦٥٣/١ .

ولا أدري أمن الحقيقة ان دلالة الحجارة الرخوة البيضاء أم التربة الحمراء كانت أصلا وسبباً في اطلاق اسم البصرة على الحاضرتين المعروفتين ؟

وهل لنا ان نجد شيئا آخر قد يكون فيه الحل لهذه المسألة التاريخية ؟

أقول : لعل في كلمة « البَسرة » (بفتح الباء وسكون السين) شيئاً مفيداً •

البَسرة[٢] : من مياه بني عُقَيل بنجد بالاعراف اعراف عمرَة ، فاذا شرب الانسان من مائها شيئا لم يَرْوَ حتى يرسل ذنبه (كذا) وليست ملحة ولكنها غليظة •

قال ابو زياد الكلابي : واخبرني غير واحد انهم يَردونها فيتقبل احدهم فرغ الدلو فكل يَرْوَى حتى يرسل ذنبه ولا يملكه اي أنها تُسهل البطن •••••••• انتهى كلام ياقوت •

أقول : لعل العرب سمّوا هذه الحاضرة التي مصروها فكانت البصرة باسم تلك الماءة لشبه مائها بماء تلك ! ثم كان ما كان من السين والصاد من الابدال الصوتي ومن المفيد أن اشير الى ان الكثير من الحواضر العراقية قد احتفظت بأسمائها الآرامية مثل بعقوبا وديالى وبقسايا وعكبرا وباصيدا وبعشيقا وبرطلا وكوثا وباجرمى وباجسرا •

ولا أقطع إن كان « بصرة » من هذه المواد التي انتهت بالالف المقصورة للدلالة على التأنيث في الآرامية فتحولت الى تاء التأنيث في العربية السائرة فقالوا : بعقوبة كما قالوا بعشيقة • الا تكون « بصراً» مثل بُصرى مثلاً !

وهل يكون من هذا سامرّا وكربلا ؟ ولِمَ لا ؟

أقول : لعل « البصرة » من هذه الاصول الآرامية ، ولكني لم أجد في مادة (ب ص ر) ولا في مادة (ب س ر) الآراميتين ما يعين على هذه النسبة المتصوّرة•لعلي لم أطل على القارىء المعنيّ بهذه المواد التاريخية فاقول

---

(٢) المصدر السابق ١/٦٢٢ .

له : أن اللغويين الاوائل قد استنجدوا باللغة ففسروا كثيراً من المواد تفسيراً قد يبتعد عن الحقيقة فيفتقر الى العلم .

ألم يقولوا أن (الكوفة) مثلا قد سميت بهذا الاسم لانها الرملة المجتمعة ثم زادوا فقالوا « الحمراء » ولا أدري مبلغ العلم في هذه المقولة . وذكروا أن سعداً لما اراد أن يبني الكوفة ارتادها لهم وقال : تكوّفوا في هذا المكان اي اجتمعوا فيه .

وقال المفضل : انما قال كوّفوا هذا الرمل اي نحّوه وانزلوا . ومنه سُمّيت الكوفة .

فانت ترى اضطراب القوم في تفسير الكلمة واتصالها بالحاضرة المعروفة

ويقول ياقوت : قال ابو بكر محمد بن القاسم سُمّيت الكوفة لاستدارتها[٣] . أي أنها الرملة المستديرة .

ولا يعين جماع هذه الاقوال على اكتساب الحقيقة الاكيدة .

وأقول : ألم تكن « الكوفة » الحاضرة التي مصّرها المسلمون في مكان الحاضرة الآرامية القديمة « كوثا » أو في جوارها ؟ ان الحاضرتين الاسلامية والآرامية كانتا في أرض بابل من سواد العراق كما يقول ياقوت . وليس شيئاً ان تكون حاضرة المسلمين قد تبدلت بالثاء فاء ، وهذا كثير في الاصوات السامية .

ومثل هذا ما ذكروا في قوله تعالى « أن أول بيت وضع للناس ببكّة مباركاً وهدىً للعالمين »[٤] أن « بكّة » هذه هي مكّة ، سميت بذلك لانها تبكُّ أعناق الجبابرة اذا الحدوا فيها بظلم . وقيل : لان الناس يتباكّون فيها من كل وجه أي يتزاحمون[٥] ولو اقتصروا على التفسير الصوتي وان الباء والميم يتعاقبان لاستراحوا من هذا التزيّد والعبث .

---

(٣) المصدر السابق ٣٢٢/٤ .
(٤) سورة آل عمران ٩٦ .
(٥) اللسان (بكك) .

ثم ماذا ؟

ألم يقولوا أن « البصرة » كلمة اعجمية عرّبت . قال حمزة بن الحسن الاصبهاني سمعت مُوبَذ بن أسوحشت يقول : البصرة تعريب بَس راه لانها كانت ذات طرق كثيرة أنشعبت منها الى اماكن مختلفة[٦] .

وبعد فهذا عرض مفتقر اشد الافتقار الى زيادة تفي بهذه الحاجة اللغوية التاريخية ولنعد الى الاشتات البصرية الاخرى .

قلت في اول هذا البحث ان البصرة مجتمع ضم جمهرة من امم شتى ظهر فيها العنصر الفارسي . ومن غير شك ان العربية في منتصف القرن الثاني الهجري قد عرض لها من اللغات الاخرى ولا سيما الفارسية ما عرض وقد تبدلت الى لغة سائرة دارجة بحيث لا يصير المعرب الى الفصيحة الا بعد استعداد وتعلم ودربة .

ولعل هذه الحالة كانت معروفة طوال القرن الثاني للهجرة .

وفي كتاب « فتوح البلدان » للبلاذري في الباب الخاص بتقسيم البصرة طائفة من اسماء الامكنة المنسوبة الى اصحابها وكان اهل البصرة يزيدون في اسم الرجل الذي تنسب اليه القرن الفاً ونوناً . وهذه من غير شك لم تكن نسبة عربية بل هي فارسية محضة ومن ذلك قولهم :

طلحتان : نهر ينسب الى طلحة بن أبي رافع مولى طلحة بن عبيدالله .

خيرتان : نهر منسوب الى خيرةبنت حمزة القشيرية امرأة المهلّببن ابي صفرة

مهلّبان : نهر منسوب الى المهلّب بن ابي صُفرة ويقال : بل كان لزوجته خيرة فغلب عليه اسم المهلب وهي أم أبي عُيينة ابنه .

جُبَيران : قرية لجُبَير بن حيّة .

---

(٦) معجم البلدان ١/٦٣٧ .

خلفان : قطيعة لعبدالله بن خلف الخُزاعيّ والد طلحة الطلحات .

طليقان : قطيعة لولد خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حُصين الخزاعيّ، وكان خالد ولي قضاء البصرة .

روّادان : قطيعة لروّاد بن أبي بكرة .

شط عثمان : ينسب الى عثمان بن ابي العاصي الثقفي ، فاقطع عثمان أخاه حفصاً حَفْصان ، وأخاه أميّة أميّتان ، وأخاه الحكم حكمان وأخاه المغيرة مغيرتان .

ازرقان : ينسب الى الازرق بن مسلم مولى بني حنيفة .

محمّدان : منسوب الى محمد بن علي بن عثمان الحنفيّ .

زيادان : منسوب الى زياد مولى مولى بنى الهُجَيم جدّ مؤنس بن عمران بن جميع بن يسار بن زياد ، وجدّ عيسى بن عمر النحوي وحاجب بن عمر لامهما .

عُمَيران : منسوب الى عبدالله بن عمير الليثي ، نهر مقاتل بن حارثة بن قدامة السعديّ .

حُصَينان : لحصين بن أبي الحُرّ العنبريّ .

عبداللیان : لعبدالله بن ابي بكرة .

عُبيدان : لعُبيد بن ابي كعب النُميريّ

مُنقذان : لمُنقذ بن علاج السُلَميّ .

عبدالرحمانان : لعبدالرحمن بن زياد .

نافعان : لنافع بن الحارث الثقفيّ .

أسلمان : لاسلم بن زُرعه الكلابيّ .

حُمرانان : لحُمران بن ابان مولى عثمان بن عفان .

أقول : لعل ما هو معروف الآن من اسم نهر بهذا الاسم بين القرنة وكرمة علي هو الاسم التاريخي الذي اشار اليه المؤرخون .

قُتَيبان : لقتيبه بن مسلم .

أقول : ولعل « كتيبان » بالكاف المعروف في خطط البصرة الحديثة في عصرنا هو الاسم التاريخي ، وقد يتحول الى « چتيبان » بالجيم الاعجمية

خَشْخَشان : لآل الخشخاش العنبريّ .

سعيدان : لآل سعيد بن عبدالرحمان بن عتّاب بن أسد .

سُلَيمانان : قطيعة لعُبَيد بن نشيط صاحب الطرف أيام الحجاج فرابط بها رجل من الزهّاد يقال له سليمان بن جابر فنسبت اليه .

عُمَران : لعُمرَ بن عبيدالله بن معمر التيميّ .

فيلان : لفيل مولى زياد .

خالدان : لخالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية .

سُوَيدان : قطيعة كانت لعبيدالله بن ابي بكرة مبلغها اربعمائة جريب فوَهَبها لسُوَيد بن مَنجون السَدوسيّ فنسبت اليه .

جبر°ان : لآل كلثوم بن جَبْر نهر أبي برذعة بن عبيدالله بن ابي بكرة .

كَثيران : لكثير بن سيّار .

بلالان : لبلا بن أبي بُردة كانت قطيعة لعبّاد بن زياد فاشتراها .

شِبلان : لشبل بن عُميَرة بن تِيري الضبّيّ .

هذا ما ذكره ياقوت في « معجمه »(٧) .

واضيف الى هذه المجموعة ما أفدته من « فتوح البلدان »(٨) للبلاذري:

أنَسان : نسب الى أنَس بن مالك في قطيعة من زياد .

سيحان : نهر كان للبرامكة وهم سموه سَيْحان .

وعُبَيدلآن : لعبيدالله بن ابي بكرة .

---

(٧) المصدر السابق ١/٦٤٥ ـ ٦٤٦ .

(٨) فتوح البلدان ص ٣٤٦ ـ ٣٧٢ .

أقول : وفي المجموعة التي جاءت في « معجم » ياقوت خلاف طفيف في التسمية !

المسرُقانان : قطيعة لآل ابي بكرة .

صلْتان : نُسب الى صلْت بن حُرَيث الحَنفيّ .

قاسمان : قطيعة القاسم بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب .

نهر خالدان الأجَمة : لآل خالد بن أسيد وآل ابي بكرة .

نهر ماسُوران : كان فيه رجل شرّير يسعى بالناس ويبحث عليهم فنُسب النهر إليه . والماسُور بالفارسية الجُرْبُز الشرّير .

جُبَيران : قطيعة جُبَير بن أبي زيد من بني عبدالدار .

معقِلان : قطيعة معقل بن يَسار .

جَندلان : لعبيدالله بن جَندل الهلاليّ .

حَرْبانان : قطيعة حرب بن عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاصي .

كَوسجان : نُسب الى عبدالله بن عمرو الثقفي الكوسج .

عَبّادان : قطيعة لحُمران بن أبان مولى عثمان من عبدالملك بن مروان .... وكان حمران قد وهب لعباد بن حُصَين الحَبْطيّ مزبيّ النهر وحبس الشرقيّ فنسب الى عباد بن الحصين .

وقال هشام بن الكلبي : كان أول من رابط بعبّادان عباد بن الحصين .

أقول : وليست هذه النسبة على النحو الأعجميّ هي كل ما استعمله البصريون فقد عرفنا جملة اسماء جرت على النسبة العربية ومن ذلك :

المسماريّة : قطيعة مسمار مولى زياد بن ابيه .

السُبَيطية : أجمة لرجل من الدهاقين يقال له سُبَيط .

القاسميّة : قطيعة للقاسم بن سليمان .

الخالدية : لخالد بن صفوان بن الاهتم[٩] .

وغير هذا كثير جداً .

وقد اتبعوا ايضاً اسلوب « الاضافة » التي تعني النسبة فقالوا :

نهر بشّار : نُسب الى بشّار بن مسلم بن عمرو الباهليّ أخي قتيبة .

نهر العلاء : نُسب الى العلاء بن شريك الهذلي أهدى الى عبدالملك شيئاً اعجبه فأقطعه مائة جريب .

نهر حبيب : نُسب الى حبيب بن شهاب الشاميّ التاجر .

نهر أبي الخصيب : نُسب الى ابي الخصيب مرزوق مولى المنصور امير المؤمنين

نهر البنات : بنات زياد أقطع كل بنت ستين جريباً .

نهر ابن عمر : جاء في « فتوح البلدان »[١٠] : وفد اهل البصرة على ابن عمر ابن عبدالعزيز بواسط فسألوه حفر نهر لهم فحفر لهم نهر ابن عمر .

أقول :

ولعل من بقايا هذه الاعلام المنسوبة على الطريقة الاعجمية ما نجده الآن في خطط البصرة الحديثة من « يوسفان » ولم اجد في مصادر « البلدان » من نسب اليه هذا الموضع . ومن غير شك انه « يوسف » ومثله « مهيجران » واغلب الظن أنه تحريف « مهاجران » وهو مما لا نعرف أصله الذي نسب اليه الموضع . ولعل «باب سليمان» شيء من « سلمانان » الذي ورد في مصادرنا القديمة وقد اشرنا اليه .

ولعل من الطبيعي ان تحفل لغة البصرة بالدخيل الفارسي لغلبة الفرس على غيرهم من الاعاجم في هذه الحاضرة . لقد كان للأصبهانيين مثلا مكان فيها فشاركوا غيرهم في عمارتها ونشاطها .

---

(٩) المصدر السابق .

(١٠) المصدر السابق ص ٣٧٠ .

قال البلاذري : ويقال انهم كانوا مع الأساورة الذين صاروا بالبصرة[11] وقد ترك هؤلاء أثراً تجاوز هذه الظواهر اللغوية الى الاعـلام نفسها فقالوا : « درجاه جنك » وهذا من اقوال ثقيف وانما قيل له ذلك لمنازعات كانت فيه ، وجنك بالفارسية « صَخَب » .

ولقد كان للغة الفارسية مكان واضح فقد وجـدت في ألقاب الجنـد فالفارسي هو الاسوار الذي جمع في العربية على « أساورة » والنسبة اليه أسواري .

ومن هؤلاء موسى الاسواري الذي تحدث الجاحظ في « البيان » عن بيانه وفصاحته[12] وقد صحب ابن مفرّغ الشاعر عباد بن زياد بن ابي سفيان الى خراسان فجرت بينهما خصومة فهجا ابن مفرّغ صاحبه عبّـاداً وعرض بلحيته الطويلة فقال :

الا ليت اللحى كانت حشيشـاً   فنعلفهـا خيول المسـلمينا

فبلغ ذلك عبّاداً فجفاه وحقد عليه فاخذه عبيدالله بن زياد فحبسه وعذّبه وسقاه التربُذ في النبيذ وحمله على بعير ، وقرن به خنزيره ، فأمشاه بطنه مشياً شديداً فكان يسير (منه ما يخرج) على الخنزيرة فتصيء فكلما صاءت قال ابن مفرغ :

ضجتّ سُمَيَة لمـا مسها القرَنُ

لا تجزعَنْ ان شرّ الشيحة الجَزَع

وسُميّة ام زياد ، فطيف به في ازقة البصرة وأسواقها والناس يصيحون خلفه إين جيست لما يسيل منه وهو يقول :

آبسـت نبيـذاسْت عصـارات زبيبت

---

(١١) المصدر السابق ص ٣٦٦ .

(١٢) البيان والتبيين ١/٣٦٨ .

سُمَيَة   روسفيدست[13]

وفي رواية «الخزانة» « روسبي » أي سمية البغي ويريد بها الخنزيرة .
وهذا الخبر يشعرنا ان الفارسية كانت شائعة متداولة فليس عجيباً ان تفعل فعلها في العربية السائرة في المجتمع البصري في منتصف القرن الاول الهجري.
والجاحظ يشير الى الدخيل الفارسي في لغة اهل البصرة ولكنه يراه شيئاً لابد منه فقد حصل مثله بل اكثر من ذلك في لغة أهل الكوفة فيقول :ـ

ولو علِق ذلك لغة اهل البصرة اذ نزلوا بأدنى بلاد فارس واقصى بلاد العرب كان ذلك اشبه ، اذ كان اهل الكوفة قد نزلوا بادنى بلاد النبط واقصى بلاد العَرب .

ويسمي اهل الكوفة الحوك الباذروج ، والباذروج بالفارسية ، والحوك كلمة عربية.واهل البصرة اذا التقت اربع طرق يسمونها مُربّعة ويسمّيها اهل الكوفة الجهارسوك والجهارسوك بالفارسية .

ويسمون السوق والسُوَيقة « وازار » والوازار بالفارسية . ويسمّون القثاء خِياراً والخيار بالفارسية[14] .

ولا يريد ان يفضّل لغة البصرة على لغة الكوفة ولكنه يريد ان يقول ان مسألة الدخيل لابد أن تعرض لكل مجتمع يشتمل على عناصر مختلفة ولقد كان تأثر العربية بالفارسية عاماً فقد ذكر الجاحظ في « البيان »[15] :

« وقد يتملّح الاعرابيّ بأن يدخل في شعره شيئاً من كلام الفارسية كقول العُماني للرشيد في قصيدته التي مدحه فيها :ـ

من يلقَه من بطلٍ مُسْرَنْدِ
في زغفة محكمةٍ بالسَرْدِ

(١٣) الشعر والشعراء ص ٢٧٧ .
(١٤) البيان والتبيين ١/١٩ ـ ٢٠ .
(١٥) البيان والتبيين ١/١٤١ ـ ١٤٢ .

تجول بين رأسه والكَرْد

يعني العنق . وفيها يقول :ـ

لمـــا هوى بين غِياض الأُسْـــد

وصـــار في كفّ الهِزَبر الوَرْد

آلى يذوق الدهرَ آب سَرْد

لقد استعمل الشاعر العماني « الكرد » وهو مُعرّب « گردَن »[16] بمعنى العنق ، كما استعمل « آبِ سَردِ » أي ماء بارد .

واذا عرفنا ان كلمة « كرد » وردت في شعر الفرزدق ادركنا قِدم تأثر العربية بالدخيل الفارسي قال الفرزدق :

وكنـــا اذا القيســـيُّ نبَّ عَتودُه

ضَرَبْناه دون الاُنثيين على الكَرْدِ

ولابد لي من الوقوف على الفاظ بصرية ، واقول « بصرية » لشيوعها في البصرة واستعمالها فيها ووجودها الطبيعي في تلك البيئة . وانا ابدأ هذه الالفاظ بما يتصل بالأطعمة مما استقريته من مصادر الادب والتاريخ .

ومن الطريف ان شيئا من هذا ما زال معروفا في البيئة البصرية . وقد استقريت كتاب « البخلاء » للجاحظ فتهيأ لي قدر من هذه الالفاظ وهي :

أُسْبور : نوع من السمك ذكره الجاحظ في « الحيوان »[17] في عداد قواطع السمك كالأُسبور والترستوج والجواف « فان هذه الانواع تجيء دجلة البصرة من أقصى البحار ، تستعذب الماء في ذلك الابّان ، كانما تتحمض بحلاوة الماء وعذوبته بعد ملوحة البحر » . وهي تقبل مرتين في السنة في اشهر معروفة ، لكل صنف منها إبّانه[18] .

---

(16) المعرب ص ٢٧٩ .

(17) الحيوان ٢٩٥/٣ .

(18) المصدر السابق ١٠١/٤ .

البُرني : ضرب من الرطب مما كان من تمر البصرة . ذكره الجاحظ غير مرة في « البخلاء » .

البستندود : شرحها فان فلوتن في الملاحظات والايضاحات ، بأنها تدل في الفارسية على نوع من الفطائر المحشوة .

البياح السبخي : في « اللسان » البياح « بالكسر والتخفيف » ضرب من السمك ، صغار امثال شبر وهو اطيبه(١٩) .

وجعل أمين المعلوف هذه الكلمة مرادفة لكلمة « البوري » التي تطلق في مصر على ذلك النوع من السمك ، وقد وصفه بقوله « سمك مشهور صغير أو متوسط الحجم ، كبير الحراشف يكون في معظم البحار ويصعد في الانهار احيانا وهو انواع كثيرة . وبعد ان ذكر بعض هذه الانواع نقل عن العالم الهندي جاياكار Jayakar ان في مسقط على خليج عمان نوعين آخرين يطلق عليهما اسم « البياح »(٢٠) ومن هذا نعلم ان كلمة البياح التي كانت تطلق في عصر الجاحظ على ذلك الضرب من السمك لا تزال مستعملة حتى الآن في ذلك الاقليم .

والبياح السبخي الذي يذكره الجاحظ هنا إما أن يكون منسوباً الى السبخة ، وهي قرية من قرى البحرين أو الى ذلك الموضع من نواحي البصرة ، وهو الذي ينسب اليه مرقد السبخي الزاهد(٢١) .

ومهما يكن من أمر فقد كان ذلك الضرب من السمك كثيراً في البصرة . يذكر صاحب « الاغاني » عن عيسى بن سليمان بن علي الهاشمي انه كان له في البصرة محابس تُحبس فيها البياح ويبيعه،ويعيّره ابو عيينة المهلبي بذلك اذ يقول في قصيدة له فيه :

---

(١٩) اللسان (بيح) .
(٢٠) معجم الحيوان ص ١٦٣ – ١٦٤ ، ط المقتطف ١٩٣٢ .
(٢١) معجم البلدان ٣/٣٠ .

رأيت أبا العبـــاس يســمو بنفسـه

الى بيـع بياحـاته والمبــاقل[٢٢]

البَهطة : طعام . قال ادي شير : الارزّ يطبخ باللبن والسمن تعريب بهت[٢٣] .

ترستوج : ضرب من السمك . انظر « أسبور » .

جَزورية : نوع من الطعام ، لابد ان تكون منسوبة الى الجَزور وهي الناقة تجزر ويعمل منها الطعام المذكور .

جواف : ضرب من السمك . انظر « أسبور » .

جوذابه : طعام . قال ادي شير الجوذاب طعام يتخذ من سكر وجوز ولحم ، تعريب كوزاب .

جيسران : نوع من التمر ، وصفــه ابن قتيبة : « واحمـد البسور الجيسران »[٢٤] .

قال أدي شير : الجيسران جنس من افخر النخل فارسيته « كيسران » ومعناه الذوائب[٢٥] .

وفي البخلاء : « فلم يلبث ان جاءنا بطبق عليه رطب سُكرّ وجيسـران اسود فوضعه بين ايدينا »[٢٦] .

حُلقان : جمع حُلقانة وهو البُسر يبلغ الارطاب فيه ثلثيه وهو محلقن أيضا . وفي البخلاء : « .... فذكروا ان أتاناً تعتاد نخلة فترفع يديها وتغطو بفيها وتاخذ الحُلقان والمنُسبتة ...... »[٢٧] .

---

(٢٢) الاغاني ١١/١٨ – ١٢ ط التقدم . وقد افدت هذه المواد من البخـلاء ٣٩٨ ط الحاجري .

(٢٣) كتاب الالفاظ الفارسية المعرّبة ص ٢٩ .

(٢٤) عيون الاخبار ٩٧/٣ .

(٢٥) كتاب الالفاظ الفارسية المعربة ص ٤٩ .

(٢٦) البخلاء ص ١٩٧ .

(٢٧) المصدر السابق ص ٢٢١ .

خشكار :

ذكر أدّي شير ان « الخُشكرَ » ما خش من الطحين فارسيته « خُشكار » وهو القصري[٢٨] .

اقول : ان « الخشكار » ورد في « البخلاء » للجاحظ ص ٩٦ بلفظه الفارسيّ وهذا يعني ان اللفظ الفارسيّ هو المتداول المعروف في البيئة البصرية وليس « الخُشكر » وهو الصيغة المُعرّبة .

ومن المفيد ان اشير الى ان الجواليقي لم يذكر « الخشكار » في « المُعرّب » ولعل هذا بسبب ان الكلمة لم تشع في العربية العامة الفصيحة.

خُشكنان :

من المُعرّبات التي وردت في البخلاء ص ١٢٢ .

وفي « المعرّب » للجواليقي : ان العرب قد تكلمت بها واستشهد لها ببيت من الرجز .

يا حبذا الكعك بلحم مثرود وخشكنان وسويق مقنود[٢٩]

ولم يزد الخفاجي شيئاً فقال : انه معروف تكلمت به العرب قديماً[٣٠] .

وقد أوضح المستشرق « دوزي » في « مستدركه » فقال :

خشكنانج : نوع من الخبز المصنوع بالزبد والسكر والجوز والفستق ويكون على هيئة الهلال[٣١] .

خوامزكه : علق طه الحاجري على هذه الكلمة فقال :

لم استطع ان اجد من المعاني المحتملة لهذه الكلمة .... غير انه يبدو أن هناك صلة بين هذه الكلمة وبين كلمة « خاميز » التي نصّ صاحب العين

---

(٢٨) كتاب الالفاظ الفارسية المعربة ص ٥٥ .
(٢٩) المعرّب ص ١٣٤ .
(٣٠) شفاء الغليل ص ٧٦ .
(٣١) Supplement aux Dictionnaires Arabes 1 : 373

كما ينقل عنه ابن منظور في مادة (أمص) أنها فارسية الاصل • ومعناها ـ كما جاء في سياق مادة « عمص » ـ هو : « ان يشرح اللحم رقيقاً ويؤكل غير مطبوخ ولا مشوي ، يفعله السكارى » وزاد في مادة « أمص » انه ربما يلفح لفحة ـ النار اما المعنى الذي أورده صاحب القاموس في تفسير « الخاميز » من انه مرق السكباج المبرّد المُصفىّ من الدهن فأحسبه بعيداً مما نحن فيه[٣٢] •

أقول : لا نستطيع ان نقطع ان « خوامزكه » و « خاميز » شيء واحد• وان الذي ذكره الحاجري لا يمكن ان يكون حقيقة اكيدة ولكنه مفيد • والكلمة من غير شك نوع من الطعام لا نعرفه على وجه الضبط ، وقد اغفلته كتب المعرّب والدخيل •

دوشـــاب :

ذكره الجاحظ في « البخـــلاء » ص ٦٤ • ولم تذكر في كتب المعرّب والدخيل ولا في المعجمات العربية وقد ذكره ابن البيطار في « الجامع » وافاد انه نبيذ التمر[٣٣] •

وفي معجمات اللغة الفارسية انها عصير التمر او العنب او الســكر المعقود بالماء اي « الشيرة » وهذا يعني سعة انتشار الالفاظ الفارسية في بيئة الجاحظ وعصره •

السكباج :

ذكره ادي شير : ان السكباج مرق يعمل من اللحم والخل ، معرّب « سكبا » وهو مركب من « سك » أي خل ، ومن « با » أي طعام[٣٤] •

---

(٣٢) البخلاء ص ٣٣٤ •

(٣٣) الجامع لمفردات الأدوية ٢/١٢٠ •

(٣٤) كتاب الالفاظ الفارسية المعربة ص ٩٢ •

وقد ورد في « البخلاء » ص ٢٣ .

سُكَّرٌ : ضرب من الرُّطَب مما هو معروف في البصرة وما زال موجوداً باسم « الشُكَّر » بالشين المعجمة على النطق العاميّ .

وقد استعمله الجاحظ في « البخلاء » ص ١٣٤ فقال : « انك اذا اطعمتهم اليوم البرنيّ اطعمتهم غداً « السُكَّرَ ..... » .

وفي الصفحة ١٩٧ قال : « فلم يلبث ان جاءنا بطبق عليه رطب سُكَّرٌ .... » .

سهريز -

ضرب من الرُّطب مما هو معروف في البصرة . ذكره الجاحظ في البخلاء » ص ١٩٧ .

قال : « .... فلو جئتنا بشيء من السهريز والبرنيّ لأكلنا » .

الشبارقات والأخبصة والفالوذجات :

الشبارقات جمع شبارق . وقد ذكرها الجواليقي ، فقال نقلاً عن ابن دُرَيد :

والشبارق الذى تسميه الفرس بيشباره . ولحم شبارق يقطع صغاراً ويطبخ وزعموا أنه فارسيّ معرّب . وقال في موضع آخر : فأما الشبارقات وهي ألوان اللحم في الطبائخ ففارسيٌّ مُعرّب ، وهو الشفارج الذي تقول له العامة فيشفارج وبشارج[٣٥] .

على انه ذكر « الفيشفارج » وفسرّها بقوله : « ما يُقَدَّم بين يَدَيَ الطعام من الأطعمة المشهية له »[٣٦] .

وأما الأخبصة فجمع خبيص ، وهو طعام عربي يعمل من التمر والسمن ،

---

(٣٥) المعرب ص ٢٠٤ .

(٣٦) المصدر السابق ص ٢٣٩ .

ويظهر أنه صار يعمل بعـد ذلك من العسل بدلاً من التمر ، ومن ذلك ما ذكره الراغب : « وقيل » :

« ذهبت بهجة الخبيص منذ عمل من عسل »[٣٧] .

وأما الفالوذجات فجمع فالوذج وهو طعام اخذه العرب من الفرس ، كما يؤخذ من القصة التي تروى عن عبدالله بن جدعان وجملة صفته تؤخذ من كلمة الحسن حين سمع رجلاً يعيبه ، فقال : « فتات البر ، بلعاب النحل، بخالص السمن ، ما عاب هذا مسلم »[٣٨] .

الشفارق : لعلها الشبارق المذكورة .

الطباهج : ذكر ادي شير انه معرب وأصله الفارس « تباهه » وانه طعام من بيض وبصل ولحم[٣٩] واشار الخفاجي الى انه « الكباب » ثـم قال : والعرب تسميه الضعيف[٤٠] .

الفانيذ : ضرب من الحلواء ، معرب بانيد[٤١] . وذكره ادي شير فقال : معرب بانيد وهو نوع من الحلواء يصنع من السـكر ودقيق الشـعير والترنجبين . والترنجبين تعريب ترنكبين وهو طلّ حلو اكثر مـا يسقط بخراسان وما وراء النهر ويجمع كالمنّ[٤٢] .

الكردناج :

وهو اللحم المشوي على السفافيد ، ولعلها السفّود كما جاء في شعر اسماعيل بن عمار :

---

(٣٧) محاضرات الراغب ٢٩٦/١ ط الشرفية .

(٣٨) عيون الاخبار ٢٠٣/٣ .

(٣٩) كتاب الالفاظ الفارسية المعربة ص ١١١ .

(٤٠) شفاء الغليل ١٢٩ ط السعادة مصر ١٣٢٥ هـ .

(٤١) القاموس المحيط (فنذ) .

(٤٢) كتاب الالفاظ الفارسية ص ١٢١ .

يشوي لنا الشيخ شورين دواجنه
بالجردناج وشحاج الشقابين[٤٣]

المَعْوَة ـ

ضرب من الرُطب كما في « البخلاء » للجاحظ[٤٤] .

المنُسبتة : ضرب من الرطب .

المُنَصَّفة : ضرب من الرطب[٤٥] .

المهلباثا : ضرب من الرطب[٤٦] .

ومن المفيد ان اختم هذا الضرب من الفاظ الاطعمة بما ذكره المقدسي في كتابه « احسن التقاسيم » عن اصناف الرطب والتمر وهي كما يأتي :

وبالبصرة من أجناس التسور تسعة واربعون وهي :

الضبيّ والحرثيّ والخيشوم والصحريّ والشكرّ والبسكر والطبرزدْ الاحمر والاصفر والخستواني والمعقليّ والازاذ والهلباث والكراميّ والقثرية والقريطيّ والهيروم والبداليّ والريفي والعروسي والباذنجاني والابراهيمي والزنبوري واليعضوض والبرناج والمحدّر والبيرونيّ والشويقيّ والخيشوان والعسريّ والقرشيّ واليماميّ والبرنيّ والسهريز والخزلان والحاسران (كذا) الاصفر والمحكرم (كذا) والقصب ، والجنانيّ والمدحرج والغرانيّ والشرقيّ والخوارزميّ والفحل والمابوريّ وبيض البغل والفاوسان والصيحانيّ[٤٧] .

---

(٤٣) الاغاني ٣٦٦/١١ ط دار الكتب . وانظر تفصيل ما جاء في الموضوع في البخلاء ص ٤٠٨ وهو تعليق الاستاذ الحاجري .

(٤٤) البخلاء ص ٢٢١ .

(٤٥) المصدر السابق ص ٢٢١ .

(٤٦) المصدر السابق ص ١٣٤ .

(٤٧) احسن التقاسيم ص ١٣١ .

ولابد من الاشارة الى ان « السُكرّ » وهو الشُكرّ في اللغة المعاصرة ما زال موجوداً معروفاً ومثـــله الطبرزذ وهـــو المعروف الآن في بغداد بـ « الطبرزل » .

وبيض البغل ما زال معروفاً بشيء يقرب من هذا الاسم وهو مشهور وقد يكون الخستوانيّ هو الخستاوي المشهور الآن في المنطقة الوسطى .

ويحسن ايضا ان اشير الى ما ذكره المقدسي في « كتابه » من اجناس السمك الدجلية في البصرة فقال : هي اربعة وعشرون :

الشيم والزجر والبُنيّ والجِرّي والشلق والزنجور والبمي (كذا) والساج والشائم والكرتك والشلابيّ والدبقاء والرماين[٤٨] والبيضـــاوي والأربيان والبراك والبرسوج أو البرستوج والاســـبول[٤٩] والجوان[٥٠] والربلتيّ او الربيثيّ والعين والسحدان[٥١] .

ومن المفيد ان اشير ان اجناس البني والجرّي والشـــلق والاربيان والاسبور ما زالت معروفة مشهورة في البصرة وفي غيرها ولم تشر المعجمات الا الى طائفة قليلة منها .

الفاظ أخرى ـ

هي بضع الفاظ رأيت ان الحقهـــا بالمجموعة التي قدمتهـــا وهي مواد وجدتها هنا وهناك مما يتصل بالبيئة البصرية .

بارجين : وردت في البخـــلاء »[٥٢] في قول الجاحظ : «وحين اكلوا بالبارجين وقطعوا بالسكين » .

---

(٤٨) ذكره الجاحظ بـ « الرمان » البخلاء ص ١٢٩ .

(٤٩) هو الأسبور ذكره الجاحظ ايضاً وقد اشرنا اليه .

(٥٠) ذكره الجاحظ وقد اشرنا اليه .

(٥١) احسن التقاسيم ص ١٣١ .

(٥٢) البخلاء ص ٦٨ .

ويبدو انها اداة كالشوكة في عصرنا التي يستعان بها مع السكين في الاكل وهي من مصدر فارسي « پرجنيدن » ومعناه الالتقاط .

ولم نجد في كتب المعرّبات ولا في المعجمات هذه الكلمة ويبدو انها من الأدوات التي تستعار للحاجة اليها في اللغة السائرة وتبقى محتفظة بصورتها في اللغة الاعجمية ومثل هذا كثير في لغة البصـرة في القرنين الثاني والثالث الهجريين .

بَرْبند ـ

ذكره الجاحظ في « البخلاء » فقـال : ولا يرتقى عليها الا بالتبليـا والبَرْبند » والبَرْبند كلمة فارسية معناها الرباط وما زالت معروفة لدى العاملين بالنخيل في البصرة منهم يقولون : « فَرْوَند » .

بَرْنكان ـ

ذكره الجاحظ في « البخلاء »[٥٤] فقال : « ..... فجعله (أي القميص) برنكاناً لامرأته قال صاحب القاموس : انه الكساء الاسود[٥٥] .

ونقل الجواليقي عن ابن دريد : انه الكساء مطلقا وانه بالفارسية[٥٦] . وانشد الجاحظ :

انى وان كـان ازاري خلَقـا

وبرنكاني سملاً قـد أخلقـا

قد جعل الله لساني مطلقـا[٥٧]

البواري ـ

ذكرها الجاحظ في « البخلاء »[٥٨] فقال : « ... فبطّنـوا البواري وبطّنوا الحصر » .

---

(٥٣) البخلاء ص ٢١٢ .
(٥٤) المصدر السابق ص ٣٠٠ .
(٥٥) القاموس المحيط (برد) .
(٥٦) المعرّب ص ٥٦ .
(٥٧) البيان والتبيين ١/٦٠ ط هرون .
(٥٨) البخلاء ص ١٠٤ .

جاء في « اللسان » والبوري والبوريّة والبورياء والباري والبارياء والباريّة فارسي معرّب وهو الحصير المنسوج[٥٩] .

وفي « الصحاح » التي من القصب .

قال الاصمعي : البورياء بالفارسية وهو بالعربية باريٌّ وبوري وانشد للعجاج يصف كناس الثور :

كالخُصِّ اذ جَلَّلَه الباريُّ[٦٠]

تبليا ـ

كلمة آرامية تعني اداة منسوجة من الحبال تستعمل لصعود النخل .

وقد ذكر فرنكل Frankel ان هذه الكلمة لا يستعملها الا العراقيون[٦١] .

أقول : وما زالت مستعملة في العراق في عصرنا ولا اخص البصرة وحدها .

الجريب ـ

مساحة يقدر بها النخيل فالجريب عشرة أقفزة والقفيز عشرة اعشراء .

وعن ابن دريد قال : لا أحسبه عربياً[٦٢] .

اقول : والجريب معروف في عصرنا هذا ويكاد ينحصر استعماله في البصرة . ومن غير شك ان الجريب من الفاظ المقادير البصرية .

الخور ـ

مصب الماء في البحر ، وقيل هو خليج من البحر .

---

(٥٩) اللسان (بور) .

(٦٠) الصحاح (بور) .

(٦١) Z.D.M.G. 1906, 369-370

(٦٢) اللسان (جرب) .

اقول وما زالت الكلمة حبة في استعمال البصريين دون غيرهم . وهي من غير شك مما استعمل في البصرة في العصور المتقدمة .

وانا اختم هذه الالمامة فأحيي" هذه المدينة المباركة ولا اقول كما قال الفرزدق :

لولا أبو مالك المرجو" نائله

ما كانت البصرة الرعناء لي وطنا

ولكني اقول :

لولا الزخارف من دنيا شَقِيتُ بها

لكانت البصرة الشمّاء لي وطنا

الخاتمة

تطور العربية وسلامتها

العربية في العصر الحديث لغة تواجه « مشكلة » العصر شأنها في ذلك شأن اللغات الاخرى .

ان طبيعة هذه المشكلة واضحة كل الوضوح وذلك ان هذه اللغة يجب ان تكون لغة الحضارة الجديدة المعاصرة كما كانت لغة الحضارات السابقة . فما السبيل الى هذا ؟

السبيل ان نعمل بجد في توفير المصطلح الجديد . وما الطرائق الى توفير هذا المصطلح ؟

اننا نملك من التجارب القديمة والحديثة ما يعين على حل المشكل . ومن التجارب :

١ ـ الترجمة وهي ان تترجم المصطلح العلمي فنتخير الكلم العربي المناسب وتتفق عليها في كل البلاد العربية .

٢ ـ التعريب واقصد به ان نأخذ المصطلح الأعجمي فنعربه بالحفاظ على شيء من أصواته أو بتغيير شيء منها الى الأصوات العربية كما نفعل مثل ذلك في أبنية هذه المصطلحات فنقربها من الابنية العربية .

ولقد اتبع المتقدمون من علماء اللغة وأهل الاختصاصات العلمية هذا الأسلوب في تهيئة المصطلح العلمي القديم .

٣ ـ ان نكفل سلامة اللغة باستعمال الفصيحة وعدم اللجوء الى العامية وهذا يتطلب منا أن نعمل على تيسير النحو بما يكفل هذه الغاية .

ولن تتأتى لنا هذه السلامة المرجوة الا بعد ان نكون قد عرفنا من تاريخ اللغة ما يعين على تهيئة معجم تاريخي وآخر حديث معاصر فنكون بذلك غاية واصبنا هدفاً وكان لنا خير كثير .

المصادر والمراجع

١ ـ الاتقان في علوم القرآن للسيوطي . حجازي ١٣٦٨ هـ .

٢ ـ الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية لداود الجلبي . الموصل ١٩٣٥ م .

٣ ـ أحسن التقاسيم للمقدسي . ليدن ١٨٩٢ م

٤ ـ اخبار النحويين البصريين للسيرافي . طبع الحلبي وطبع المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٤ م .

٦ ـ الاصنام لابن الكلبي . الاميرية ، القاهرة ١٩١٤ م .

٧ ـ الاعلام للزركلي . الطبعة الثانية ، القاهرة .

٨ ـ الاغاني لابي الفرج الاصبهاني . طبعات : التقدم ودار الكتب ومكتبة الحياة ببيروت .

٩ ـ الاقتراح للسيوطي . حيدرآباد .

١٠ـ الاكليل للهمداني .الجزءان الاول والثاني ، القاهرة ١٩٦٣م ، والجزء الثامن برنستون . ١٩٤٠ م ، والجزء العاشر بتحقيق محب الدين الخطيب ، القاهرة .

١١ـ الأمالي للقالي . دار الكتب ١٣٤٤ هـ .

١٢ـ الأمثال لمؤرج السدوسي . الرياض ـ السعودية الطبعة الاولى .

١٣ـ انباه الرواة للقفطي . دار الكتب .

١٤ـ البخلاء للجاحظ . تحقيق الحاجري ، دار المعارف في القاهرة .

١٥ـ البرهان للزركشي . القاهرة ١٩٥٧ م .

١٦ـ بغية الوعاة للسيوطي . السعادة ١٣٢٦ هـ .

١٧ـ البيان والتبيين للجاحظ . القاهرة ١٩٤٩ م والطبعة المصرية القديمة ١٣١١ ـ ١٣٣١ هـ .

١٨ـ تاج العروس للزمخشري . القاهرة ١٣٠٦ هـ

١٩ـ تاريخ آداب اللغة العربية للرافعي . القاهرة ١٩١١ م .

٢٠ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . القاهرة ١٣٤٩ هـ .

٢١ـ تفسير الطبري . بولاق ١٣٣٠ هـ .

٢٢ـ التلخيص للعسكري . مجمع اللغة العربية بدمشق .
٢٣ـ التهذيب للازهري . صدر الجزء الاول منه ١٩٦٤ م في القاهرة ثم تلته الاجزاء الاخرى .
٢٤ـ التوضيح والبيان عن شعر نابغة بني ذبيان. طبعة قديمة في القاهرة.١٩١٠ م
٢٥ـ التيسير للداني . استنبول ١٩٣٠ .
٢٦ـ الجامع لاحكام القرآن للقرطبي . دار الكتب ، ١٩٤٦ م .
٢٧ـ الجامع لمفردات الادوية والاغذية لابن البيطار . بولاق ١٢٩١ هـ .
٢٩ـ الحيوان للجاحظ . القاهرة ١٩٣٨ ـ ١٩٤٥ م .
٣٠ـ الخصائص لابن جني . دار الكتب ـ القاهرة .
٣١ـ الدرس النحوي في بغـداد للمخزومي . طبع وزارة الثقافة ببغـداد ١٩٧٤ م .
٣٢ـ ديوان الأعشى ، تحقيق محمد حسين وطبع صادر .
٣٣ـ ديوان امرىء القيس .دار المعارف بمصر .
٣٤ـ ديوان أمية بن أبي الصلت . طبع وزارة الثقافة ببغـداد ١٩٧٥ م .
٣٥ـ ديوان بشر بن ابي خازم . دمشق ١٩٦٠ م
٣٦ـ ديوان سلامة بن جندل . باريس ١٩١٠ والطبعة السورية .
٣٧ـ ديوان طرفة بن العبد . طبع صادر ببيروت والطبعة الاوربية ١٩٠١ م .
٣٨ـ ديوان عبيد بن الابرص . البابي الحلبي .
٣٩ـ ديوان عنترة . الطبعة الاوربية ، هوارت .
٤٠ـ ديوان لبيد . الكويت ١٩٦٢ م .
٤١ـ ديوان النابغة بيروت ١٩٦٨ م .
٤٢ـ الروض الأنف للسهيلي . الجمالية ١٣٣٢ هـ .
٤٣ـ زهر الآداب للحصري . القاهرة ١٩٤٦ م .
٤٤ـ السيرة النبوية لابن هشـام . الطبعة الاوربيـة (گوتنگن) وطبعات مصريـة اخرى .
٤٥ـ شرح اشعار الهذليين . مكتبة دار العروبة ، القاهرة .

٤٦- شرح الحماسة للتبريزي . بولاق ١٢٩٦ هـ .
٤٧- شرح الحماسة للمرزوقي . القاهرة ١٩٦٧م .
٤٨- شرح القصائد العشر . السلفية ١٣٤٣ هـ .
٤٩- الشعر والشعراء لابن قتيبة . الحلبي ١٣٧٠ هـ .
٥٠- شفاء الغليل للخفاجي . القاهرة ١٣٣٥ هـ .
٥١- الصحاح للجوهري . دار الكتاب العربي بمصر .
٥٢- صحيح البخاري . بولاق ١٣١٣ هـ .
٥٣- صفة جزيرة العرب للهمداني . القاهرة ١٩٥٣ م .
٥٤- طبقات فحول الشعراء لابن سلام . مكتبة دار العروبة بمصر الطبعتان الاولى والثانية .
٥٥- طبقات النحويين للزبيدي . مطبعة السعادة ١٩٥٤ م .
٥٦- العربية ليوهان فك (ترجمة عربية) القاهرة ١٩٥٤ .
٥٧- العقد الفريد لابن عبد ربه . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٦ م .
٥٨- العمدة لابن رشيق . مطبعة السعادة ١٩٥٥ م .
٥٩- عيون الاخبار لابن قتيبة . دار الكتب ١٣٤٣ هـ .
٦٠- غاية النهاية لابن الجزري . الخانجي ١٩٣٣ م .
٦١- فتوح البلدان للبلاذري . الطبعة الاوربية وطبعات مصرية .
٦٢- فقه اللغة (الصاحبي) لابن فارس . المؤيد ١٣٢٨ هـ .
٦٣- الفهرست لابن النديم . الرحمانية في القاهرة .
٦٤- في الادب الجاهلي لطه حسين . القاهرة ١٩٥٢ م .
٦٥- القاموس المحيط للفيروزابادي . القاهرة عدة طبعات .
٦٦- الكتاب لسيبويه . بولاق ١٣١٦ هـ .
٦٧- كتاب الالفاظ الفارسية المعربة . بيروت ١٩٠٨ م .
٦٨- كتاب الخيل للاصمعي . فينا ١٨٨٨ م .
٦٩- كتاب الخيل لابي عبيدة . حيدر آباد ١٣٥٨ هـ .

٧٠- كتاب العين للخليل بن احمد . الجزء الاول بغـداد ١٩٦٦ م .
٧١- كتاب يفعول للصاغاني ، تونس واعيد نشره في بغـــداد .
٧٢- الكشاف للزمخشري . مطبعة الاستقامة ١٩٤٦ م .
٧٣- لسان العرب لابن منظور ، القاهرة ، وطبعة صادر ببيروت .
٧٤- ليس في كلام العرب لابن خالويه . السعادة ١٣٢٥ هـ .
٧٥- مجلة المشرق الكاثوليكية (مجلد سنة ١٩٣٧) .
٧٦- محاضرات الراغب الاصفهاني . الشرفية ١٣٢٦ هـ .
٧٧- المحتسب لابن جني . المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة .
٧٨- مختصر البديع لابن خالويه . الرحمانية ١٩٤٣ م .
٧٩- المزهر للسيوطي . القاهرة ١٣٢٥ هـ .
٨٠- المصاحف لابن ابي داود . الرحمانية ١٩٣٦ م .
٨١- منتخبات من كتاب شمس العلوم للهمداني . ليدن ١٩١٦ م .
٨٢- المعارف لابن قتيبة . الاسلامية ١٣٥٣ هـ .
٨٣- معجم الادباء لياقوت . الحلبي ١٣٥٣ هـ .
٨٤- معجم البلدان لياقوت . وستنفلد .
٨٥- معجم الحيوان للمعلوف . المقتطف ١٩٣٢ م .
٨٦- المعرب للجواليقي . دار الكتب ١٣٦١ هـ .
٨٧- المقنع للداني . دمشق ١٩٤٠ م
٨٨- نزهة الالباء للانباري . بغـداد ١٩٥٩ م .
٨٩- النشر في القراءات العشر لابن الجزري . دمشق ١٣٤٥ هـ .
٩٠- نقائض جرير والفرزدق . ليدن ١٩٠٥ م .
٩١- النهاية في غريب الحديث لابن الاثير . القاهرة ١٣٦٣ هـ .
٩٢- الوساطة للجرجاني . القاهرة ١٩٤٥ م .
٩٣- وفيات الاعيان لابن خلكان . القاهرة ١٩٤٨ م .

ثبت المـواد

تصميم الغـلاف : راجحـة القدسـي

التصميم الداخلي : عالية محمد كريم

الخطـــــوط : خالد الخالدي

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
١٦٥٠ لسنة ١٩٧٨

دار الحرية للطباعة بغداد

١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والفنون

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان ١٩٧٨

دار الحرية للطباعة - بغداد

السعر ٢٥٠ فلسا